التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء السادس

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء السادس

الأستاذ الدكتور

عبّـــاس عَليُّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية

طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء السادس

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّـــاس عَليّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣١١

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما

هاتف: 009647801233129

E-mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

سورة التوبة

مدنية، وهي مائة وتسع وعشرون آية

نزلت السورة في السنة التاسعة من الهجرة بعد فتح مكة، وأمر الرسول ﷺ عليا عليه السلام أن يبلغ بها قريشا، لإعلان البراءة من الكافرين والمشركين، والأمر بقتالهم، ولها أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: تالله لقد عُلِّمتُ تبليغ الرسالات. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾

قوله (براءة من الله ورسوله) تفتتح السورة بإعلان رسمي غاضب بإبلاغ النبي ﷺ والمسلمين بالحكم على إلغاء العهد المبرم بينهم وبين المشركين، الذين نكثوا العهد وخانوا المسلمين، أي: نقض بنقض، وهذا الحكم يعني رفع الأمان عن المشركين.

وارتفع لفظ البراءة على أنه خبر لمبتدأ محذوف على تقدير: هذه براءة، والبراءة لفظ مأخوذ من البرء والتبري وأصله الخروج والتفصي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض وبرأت من فلان وتبرأت. قاله الراغب.

وتنكير اللفظ والتصريح بلفظ الألوهية يدل على تعظيم شأن الخبر، ويدل حرف الجر (من) على الابتداء، بمعنى صدور هذا التبليغ من الله تعالى، وعطف لفظ الرسالة على الله يدل على التشريك في التبليغ، وليس التشريك

في التشريع، لأنها ليس من قبيل التشريع المحض، ولو كانت كذلك لما أشرك الله معه أحدا قال تعالى (ولا يشرك في حكمه أحدا) [الكهف ٢٦].

وفعل المعاهدة يدل على المشاركة في حصول الفعل، والعهد اتفاق بين طرفين أو أكثر، و(من) الثانية للتبيين، والمشركون هم الذين جعلوا أصنامهم شركاء لله في الربوبية.

قوله تعالى ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢ ﴾

قوله (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) الفاء للتفريع على معنى البراءة، والأمر بفعل السياحة للمشركين، والسياحة السير في الأرض والجري، ومنه الماء يقال له سائح لجريانه.

والمعنى من الأمر إعطاء المشركين مهلة أمان أربعة أشهر، ليرجعوا فيها إلى أنفسهم، علهم يؤمنون بالله، وإلا فآخر الدواء الكي.

وفي تحديد بدء مهلة الأمان تفسيرات كثيرة أقربها البدء من بعد يوم النحر، أي: تبدأ في العشرين من ذي الحجة، لتشمل ما تبقى منه والمحرم وصفر وربيع الأول وعشرة من ربيع الآخر.

وفي الكلام وما بعده التفات من خطاب الغيب إلى خطاب الحضور، يراد به التهديد لأنه يناسب مقام إظهار القدرة على المشركين.

قوله (واعلموا أنكم غير معجزي الله) الأمر بفعل العلم يراد به تنبيه المشركين من الغفلة، وفي الكلام بنفي القوة عنهم ـ فلا يملكون ما يعجز الله عن أخذهم ـ تلويح إلى دعوتهم إلى التوحيد.

قوله (وأن الله مخزي الكافرين) العطف يدل على دخول الإخبار في حكم الأمر بالعلم، وجيء بلفظ الكفر من دون الشرك لأن حكمهما واحد، والخزي الذل ويكون بالقتل والأسر وخزي عذاب الآخرة، وأورد باسم الفاعل لأنه مقضي مقدر عند الله إجراؤه ما داموا متلبسين بالكفر.

قوله تعالى ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾

قوله (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) يحاذي قوله (براءة من الله ورسوله) غير أن الإعلان ـ وهو معنى الأذان ـ هنا للناس لتكليفها بإنفاذ أمر البراءة في المشركين وإلغاء المعاهدة، ففيها معنى الأمر: أذنوا، ويفيد لفظ الناس العموم مسلمين ومشركين.

قوله (يوم الحج الأكبر) توقيت لأذان الله ببراءته من المشركين، وقيل: إنه يوم عرفة، والأنسب ـ بحسب النقل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ أنه يوم النحر لأنه مجتمع المسلمين من كل عام، ولهذا وصف بالأكبر.

قوله (أن الله بريء من المشركين ورسوله) جملة متعلقة بـفعل الأذان تفسير لها، على تقدير حذف حرف الجر الباء: بأن الله بريء من المشركين.

ورفع لفظ الرسول لأنه معطوف على الجملة التي قبله، فيكون على تقدير: ورسوله بريء من المشركين، وقيل: إن هذه النكتة التركيبية هي السبب في وضع الإمام علي عليه السلام النحو بعد مراجعة أبي الأسود الدؤلي له في شأن لفظ (ورسوله) بالكسر، وفائدة الإطناب بتكرار جمل البراءة من الله والرسول لإرادة التفصيل في إعلام الناس حتى لا يبقى عذر لمعتذر.

قوله (فإن تبتم فهو خير لكم) الفاء لتفريع التوبة على البراءة، والشرط تلويح للمشركين بأفضلية اختيار التوحيد على الكفر.

قوله (وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله) التولي كناية عن الإعراض، ولفظ الأمر بالإعلام والخبر بعده واقع في جواب الشرط ومتضمن معنى التهديد والوعيد.

قوله (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) فعل التبشير استعارة على سبيل التهكم، لأنه يستعمل في معاني ما يسعد به الإنسان ويفرح، والتعبير عن الكافرين بجملة الموصول التفات من مخاطبة المشركين إلى خطاب النبي

ﷺ لأن من تمام رسالته التبشير والتنذير، والباء المقترن بلفظ العذاب متعلق بفعل التبشير، ووصفه بالأليم مبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ ﴾

قوله (إلا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من إعلان البراءة، بإخراج هذه الفئة من المشركين المعاهدين الذين لم يغدروا، وضمير الجمع في فعل المعاهدة انتقال بالكلام إلى المجموع من النبي ﷺ والمسلمين، وتفيد (من) التبيين.

قوله (ثم لم ينقصوكم شيئا) تفيد (ثم) معنى التراخي الرتبي، وفعل النقص يراد به عدم الالتزام التام بالعهد، وتنكير لفظ الشيء يدل على العموم للمبالغة في الإيفاء بالعهد، والكلام قيد أول لاستثناء المخرجين من حكم التبري.

قوله (ولم يظاهروا عليكم أحدا) وهو القيد الثاني للمشمولين بالمحافظة على العهد، وتقيد بالذين لم يساعدوا أعداء المسلمين، فلم يمدوهم بمال وسلاح أو رجال.

والفعل (يظاهروا) لفظ مأخوذ من الظهر الذي يسند الإنسان به نفسه ويتقوى، فكأنه يعير ظهره لغيره ليحمل عليه، أو من الظهور بعد خفاء، لذلك يقترن به حرف الجر (على) لأنه في معنى الاستعلاء والتمكين المجازي، وتنكير لفظ الأحد على العموم.

قوله (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) الفاء يراد بها التفريع على ما أفاده الاستثناء، ولفظ الإتمام هو التوفية ببنود الاتفاق إلى مدته المضروبة بينهم، وضمائر جمع الغائبين (هم) كلها عائدة إلى المشركين.

قوله (إن الله يحب المتقين) الإخبار تأكيد لمعنى ثبوت حب الله للمتقين يراد به التعليل لأمر الإتمام والإيفاء بالعهد، وحب الله مجاز لقبول الأعمال ومجازاتها بالإثابة.

قوله تعالى ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾

قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) الفاء لتفريع الحكم بالقتل بعد انتهاء مدة الأمان الممنوحة لهم، وفعل الانسلاخ استعارة للزوال من الشيء المتلبس بالشيء الملازم له كتلبس الجلد باللحم، بجامع التدرج والبطء في الزوال.

واللام في لفظ الأشهر يراد بها العهد لأنها معلومة حاضرة تحددت فيما سبق من الآية، وليس المراد بها الأشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ولفظ الحرم وصف للأشهر، وهو جمع حرام ويقصد به الممنوع من سفك دماء المشركين فيها، تعظيما لمعنى الأمان الممنوح فيها.

قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الفاء واقعة في جواب (إذا) الشرطية، والأمر بالقتل إذن وإباحة لانتهاء مدة الأمان، ولأن المشركين مُعلِنون بحربهم ومُشهِرون سلاحهم بوجه المسلمين، وقوله (حيث وجدتموهم) دلالة على عموم المكان والزمان.

قوله (وخذوهم واحصروهم) العطف لدخول أوامر الله في الحكم، ومعنى فعل الأخذ يكون بإثباتهم أو قتلهم، والحصر هو الحبس.

قوله (واقعدوا لهم كل مرصد) دلالة فعل القعود ملازمة المكان للمشركين لمراقبتهم والاستعداد الدائم لقطع الطريق عليهم، ومنعهم المرور في الأرض، واللام في (لهم) لتعدية الفعل، وضمير جمع الغائبين راجع إلى المشركين.

ولفظ الرصد كناية عن الترقب والاستعداد، والمرصد مكان الرصد، والمعنى العام: اقتلوهم بأي وسيلة كانت وافنوهم، لأنهم غير صالحين للمخالطة بالناس.

قوله (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) الفاء لتفريع شرط التوجيه للمسلمين والوعظ والنصح للمشركين، والقيد بالتوبة مشروط

معه إيمان وعمل بالإيمان كالصلاة والإنفاق بالمال، وخصا بالذكر لما لهما من أثر في تعديل سلوك الإنسان وتصحيحه، ولأنهما أشرف مظاهر المؤمن، وفعل الإقامة للصلاة بمعنى أدائها على أتم ما يكون، وفعل الإيتاء بمعنى الإعطاء، وتخلية السبيل كناية عن إطلاق السراح، وعدم التعرض لهم.

قوله (إن الله غفور رحيم) إخبار وتعليل، وهو أسلوب قرآني متكرر بديع، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، والغفور الرحيم صيغ مبالغة للمغفرة والرحمة.

قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) العطف والشرط لبيان الأحكام المفترضة في شأن المشركين، ولفظ الأحد بمعنى الواحد وتنكيرها لإفادة العموم، و(من) للتبيين، وتعريف المشركين للعموم، وفعل الاستجارة طلب الجوار ويراد به الأمن لأنه مأخوذ من الجار الآمن بمستقره، فيكون المعنى: من طلب منك الأمن فأمنه.

قوله (حتى يسمع كلام الله) أي: لغاية فهم الدين، أطلق السمع وأراد الفهم، وكلام الله مجاز لشريعته النازلة في آياته المباركة في القرآن.

قوله (ثم أبلغه مأمنه) تفيد (ثم) معنى التراخي الرتبي في الكلام لترتيب الأحكام، وفعل الإبلاغ معناه الإيصال، والمأمن مكان الأمن، وهو مجاز مرسل يراد به موطن المستجير وبيته، أي: أمن له الرجوع إلى مكان إقامته بين قومه.

وفي الكلام بيان لعلة تأمين المستجير، وهي إمكان سماع شريعة الله عله يؤمن، لأن الغاية هداية الناس، وليس قتلهم.

قوله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) لفظ الإشارة بمعنى: ذلك الأمر والحكم، والباء في (بأنهم) بمعنى: لأنهم، والكلام تعليل لفعل الإجارة وفعل التبليغ، كون الجهل فيهم متأصل لنشأتهم على الشرك، لذا جعل جملة نفي العلم عنهم قيدا لا خبرا فلم يقل: بأنهم لا يعلمون.

قوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قوله (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) الاستفهام لإنكار أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، والتصريح بلفظ المشركين لبيان علة الإنكار، لأن الشرك داع للفساد ونقض العهود، والعندية مجاز لاستمرار العهد.

قوله (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) استثناء من النفي لمن التزم منهم العهد وحافظ عليه، وتقييد مكان المعاهدة عند المسجد الحرام، لإفادة تعيين قوم بعينهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة.

قوله (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) الفاء لتفريع حكم على الاستثناء، و(ما) مصدرية ظرفية بمعنى: مدة استقامتهم، وهي متضمنة معنى الشرط، وفعل الاستقامة كناية عن الوضوح التام في التزام العهد، أي: التزموا ما داموا ملتزمين، والفاء الثانية واقعة في جواب الشرط، والأمر باستقامة المسلمين يراد به معنى الإيفاء بالعهد بحفظ أمانهم، واستعمال فعل الاستقامة مختلفان في المدلول متشابهان في اللفظ.

قوله (إن الله يحب المتقين) الإخبار لإفادة التعليل للأمر بالاستقامة، والجملة الإسمية لتثبيت المعنى، وحب الله للمتقين مجاز في قبول أعمالهم.

قوله تعالى ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُوٓاْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾

قوله (كيف) استفهام على سبيل الإنكار، وتفيد التأكيد لجملة (كيف يكون للمشركين عهد).

قوله (وإن يظهروا عليكم) الواو تفيد الحال، وفعل الظهر كناية عن الانتصار، وضمير جمع الغائبين فيه راجع إلى المشركين، وحرف الجر

(على) يفيد التمكن والاستعلاء، وضمير جمع المخاطبين راجع إلى المسلمين.

قوله (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) الجملة جواب (إن) الشرطية، أي: يقتلونكم فلا يراعوا قرابة ولا عهدا، و(في) المخاطب بها المسلمون للظرفية المجازية.

والإل كما قال الراغب: أصلها اللمع، ويستعمل للنسب والقرابة، وكل حالة ظاهرة من عهد حلف وقرابة: تئل، أي: تلمع فلا يمكن إنكاره. انتهى. والذمة والذمام ما يذم الرجل على إضاعته من عهد، وتنكير اللفظين للعموم.

قوله (يرضونكم بأفواههم) إخبار استئنافي عن نفاق المشركين، وتزويق الكلام، وهو من المجاز العقلي، نسب الإرضاء إلى الأفواه وأراد به ما يكون منها من القول والكلام.

قوله (وتأبى قلوبهم) الواو للحال، وفعل الإباية بمعنى الرفض الشديد، وإسناد الفعل للقلوب مجاز يراد به النفوس أو العقول، والكلام تعليل لإنكار وجود العهد للمشركين.

قوله (وأكثرهم فاسقون) جملة حالية، أي: أكثرهم ناقض للعهد لا يراعي فيكم قرابة ولا ذمة إن غلبوكم وظهروا عليكم، والفسق أصله الخروج، ويراد به خروجهم على ما تعارف عليه الناس من حفظ للعهد والإل، لا خروجهم على الدين لأنهم أصلا كافرون.

قوله تعالى ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩ ﴾

قوله (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) الكلام تعليل لمعنى فسق المشركين، وفعل الاشتراء بمعنى البيع استعمل استعارة مأخوذة من حياتهم التجارية للاستبدال، أي: استبدلوا الإيمان بآيات الله بثمن قليل من حطام الدنيا، والباء المقترن بلفظ الآيات باء العوض والمقابل، والآيات البينات والحجج الظاهرة، ونسبتها إلى الله لتعظيمها.

قوله (فصدوا عن سبيله) الفاء للتفريع، والصد المنع الشديد ويراد به قطع الطريق على الناس من الالتحاق بدين التوحيد، والهاء في لفظ السبيل عائد إلى الله تعالى.

قوله (إنهم ساء ما كانوا يعملون) الفصل باستئناف الجملة الخبرية لتأكيد ذم عملهم الذي اعتادوه في صد الناس عن الإيمان بالله، وفعل السوء للذم، والتعبير عن عملهم بمضي الكون لرسوخ كفرهم في نفوسهم.

قوله تعالى ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝١٠ ﴾

قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) أي: هؤلاء المشركون في مكة لا يراعون حقا لمؤمن يتصل بهم بصلة رحم ولا حقا لذمام العهد

والمجاورة، و(في) للظرفية المجازية، وإعادة جملة النفي عن مراعاة الإل والذمة في حفظ العهد، أريد به المعنى الأوسع من دون تقييده بالظهور كما في الآية السابقة في قوله (إن يظهروا عليكم) لبيان أن حقد المشركين على المؤمنين متأصل في نفوسهم سواء كانوا ضعفاء أو أقوياء.

قوله (وأولئك هم المعتدون) العطف لترتيب الحكم على ما سبق من وصف المشركين، وهو حصرهم بهذا العنوان، وهو الاعتداء والظلم.

قوله تعالى ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) الفاء لتفريع شرط الحكم على النفي، وأسلوب الشرط لإظهار بيان القيود في فعل الشرط وجوابه في بيان أحكام توبة المشركين، ولإقامة الحجة عليهم حتى لا يبقى احتمال عذر لأحد منهم في التعذر، وذكر الصلاة والإنفاق مخصوصين مع أنهما من جملة ما تقع عليه التوبة لشرفهما عند الله، ولأنهما خير مصداق للتائب.

قوله (فإخوانكم في الدين) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، وإقامة الإخبار مقام الجزاء، لأنه أثبت في معنى استحقاق حقوق الأخوة والمساواة في الدين، ولفظ الأخوة استعارة لمعنى المساواة، ولام العهد في لفظ الدين لإفادة حضور الدين الإسلامي في الذهن.

قوله (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) الواو عاطفة على ما قبلها لأن الإخبار متعلق بتوبتهم وأخوتهم في الدين، وتفصيل الآيات تبيين دلائل توحيد الله وإظهارها، واللام المقترن بلفظ القوم للتعليل، ووصفهم بالعلم لأنهم أصبحوا إخوان المسلمين بعد إنابتهم وتوبتهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله تعالى (وإن نكثوا أيمانهم) الكلام عن بيان فئة غير المشركين الموصوفين بالمعتدين في الآية السابقة، ونكث الأيمان نقضها وعدم الإيفاء بما أقسموا عليه من حفظ للعهد.

قوله (من بعد عهدهم) تفيد (من) تأكيد إعطاء أيمانهم في عهدهم للمسلمين بترك مقاتلتهم، لبيان تأكيد نقضهم لها.

قوله (وطعنوا في دينكم) العطف لدخول الكلام في معنى الشرط، والطعن في الدين استعارة بالكناية عن ثلبه والافتراء بإظهار نواقصه، والظرفية (في) للمبالغة في معنى الطعن، والمخاطبون في (دينكم) المسلمون لإفادة التمهيد لما بعده من توجيه أمر القتال.

قوله (فقاتلوا أئمة الكفر) الفاء واقعة في الجزاء، والأمر بالمقاتلة مأخوذ فيه معنى التشارك الجماعي والإشارة إلى وحدة المسلمين في محاربة الكافرين، ولفظ الأئمة جمع إمام مجاز يراد بهم القادة الذين يأتمّ بهم الكافرون، وإطلاق المصدر (الكفر) دون المشتق للمبالغة والإثبات.

قوله (إنهم لا أيمان لهم) الفصل لأن الجملة تعليل لأمر القتال، والإخبار بنفي الأيمان عنهم كناية عن نفي حفظ العهود عنهم، وإثبات لصفة الغدر فيهم بأسلوب (لا) المستغرقة للجنس، المؤكدة لمطلق المعنى.

قوله (لعلهم ينتهون) تعليل ثان لأمر قتال المشركين، أي: ليكفوا عن الغدر، والانتهاء الامتناع.

قوله تعالى ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾

قوله (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يفيد حرف الابتداء (ألا) معنيين: الأول: الاستفهام لتأكيد الحث على القتال، والثاني: أداة تحضيض، والكلام يفيد تهييج حماس المسلمين للقتال، والتحذير من التهاون في قتال المشركين.

والإتيان بلفظ القوم منكرا لإرادة تقييده بصفات مبينة لعلة الأمر بقتالهم، فقوله (نكثوا أيمانهم) بمعنى: غدروا بنقض العهد، فلم يحافظوا عليه.

قوله (وهموا بإخراج الرسول) تقييد وتعليل ثان، والهم هو العزم، والمراد عزمهم بالتحالف مع القبائل في أحد وفي الأحزاب لإخراج النبي ﷺ من المدينة وإبعاده عنها لإفشال دعوته، وتعريف الرسول للعهد الحضوري ويراد به محمد ﷺ.

قوله (وهم بدؤوكم أول مرة) العطف لدخول الإخبار في العلة، أي: إن البدء بنقض العهد صدر منهم أولا، حين انتصروا لأحلافهم من كنانة على خزاعة أحلاف المسلمين، فكان ذلك مسوغا للرد عليهم.

قوله (أتخشونهم) الاستفهام يراد به الإنكار على المسلمين لترددهم في القتال، والخشية أشد الخوف.

قوله (فالله أحق أن تخشوه) الفاء لترتيب الإخبار على الإنكار، والتصريح بلفظ الألوهية لتعظيم حق استحقاق الخشية.

قوله (إن كنتم مؤمنين) تعلق الإيمان بالله بالخشية لتهييج إيمان المؤمنين في نفوسهم بوصف الخشية مظهرا إيمانيا حقيقيا تترتب عليه طاعة الله ورسوله.

قوله تعالى ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (قاتلوهم) إعادة الأمر للمسلمين بقتال الكافرين تأكيد صريح بتقبل تكليفه بعد الحض والتحذير الشديد من التواني في قتالهم.

قوله (يعذبهم الله بأيديكم) جزم فعل التعذيب لأنه جواب أمر القتال، ويراد به قتل المشركين أو أسرهم، وإسناد فعل العذاب إلى الله لبيان أحقية ذلك وجعله بأيدي المسلمين المخاطبين لتشريفهم بطاعة الله وقتال اعدائه، والكلام تعليل لأمر القتال.

قوله (ويخزهم) العطف لإدخال الفعل في الحكم والتعليل، ويراد به إذلالهم بالقتل أو الأسر بعد أن كانوا عتاة مستعلين.

قوله (وينصركم عليهم) تعليل ثالث بدلالة العطف، وهو ظهور المسلمين على الكافرين والقضاء على شركهم.

قوله (ويشف صدور قوم مؤمنين) تعليل رابع لأمر قتال المشركين، وهو تطييب قلوب المؤمنين بإزالة الألم منها بأخذ الثأر من المشركين، وفعل الشفاء استعارة بالكناية عن زوال الغيظ والألم، وذكر الصدور مجاز يراد به النفوس والإدراكات الباطنية.

قوله تعالى ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥ ﴾

قوله (ويذهب غيظ قلوبهم) الواو عاطفة للفعل على (يشف)، وإذهاب الغيظ استعارة يراد به إزالته من القلوب، تطييبا لنفوس المؤمنين، والغيظ ألم القلب وإضافته إلى القلوب مجاز يراد به أنفس المؤمنين.

قوله (ويتوب الله على من يشاء) العطف لبيان حال من يتوب من المشركين ويستدرك نفسه.

قوله (والله عليم حكيم) التذييل بالإخبار بصيغة الجملة الإسمية ثبوت لمعنى صفته تعالى بعلم من تاب من المشركين، وحكمته بحكم الأمر بالقتال.

قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾

قوله (أم حسبتم أن تتركوا) الخطاب للمسلمين، والحرف (أم) للإضراب بمعنى (بل)، وفعل الترك يراد به تركهم للاستكانة من دون جهاد، حذف متعلقه لأنه مفهوم من السياق، ومقام الكلام التعليل لفعل أمر المسلمين بالقتال.

قوله (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو للحال من (تتركوا)، وتفيد (لما) النفي، ويراد بمضارع الفعل (يعلم) حاضر ما يظهر من المسلمين واستمراره، لبيان حصول امتثال المسلمين لأمر الجهاد، وإلا فإن الله عالم بما كان وما لم يكن.

قوله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) العطف على الحال حال ثانية، أي: ولا تحسبوا أن الله يترككم من دون تمييز بين المؤمن المخلص وغير المخلص، لأن الوليجة ما يدخل القلب من دخائل الغدر والخداع ونحوه، وهو من وزن فعيلة ويراد به المفعول، فيخفى فاعل من يولجها في القلب، ومن مظاهرها اتخاذ أعداء الله أولياء، وتسريب أسرار المؤمنين إليهم، وتنكير اللفظ لإفادة العموم، والظرف في قوله (من دون الله) موقعه الحال.

وأخذ الإمام علي عليه السلام لفظ الوليجة فقال مخبرا عن الزبير: يزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقر بالبيعة، وادعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (والله خبير بما تعملون) تذييل بالإخبار متضمن معنى التحذير، والخبير العارف ببواطن الأمور ناسبت لفظ الوليجة.

قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) نفي الكون عن المشركين بمعنى: ما كان من عهدهم، أو لا يحق لهم، أو ليس من شأنهم، واللام المقترن بلفظهم للملك، و(أن) المصدرية وفعلها بمعنى: عمارة، ولفظ العمارة نقيض الخراب، يعني به الترميم والإصلاح لما أشرف على الخراب، والمساجد هي بيوت الله للعبادة، وإضافتها إلى لفظ الجلالة لتعظيمها، والمراد بيت الله الحرام وعموم المساجد.

قوله (شاهدين على أنفسهم بالكفر) حال، بمعنى مقرين على أنفسهم بالكفر، والمعنى: لا يحق للمشركين تعمير البيت الحرام أو المساجد وهم معترفون بكفرهم قولا وفعلا.

قوله (أولئك حبطت أعمالهم) لفظ الإشارة للبعيد لتمييز الكافرين، وفعل الحبط هو السقوط، ويراد به إبطال الأثر، والفصل للإخبار عنهم وتعليل للحكم، ويراد: أن أعمالهم لا قيمة لها فيما يرمّون من دون الإيمان بالله، لأن الأثر مفقود وإنما تقاس الأمور بما ينتفع بها فاعلها من آثار قلبية تنفعل معها النفس.

قوله (وفي النار هم خالدون) الجملة نتيجة لحبوط الأعمال، وتقديم الظرف لتعجيل المساءة للمشركين بالنار، وضمير الفصل لقصرهم على الخلود في النار.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله (إنما يعمر مساجد الله) بعد نفي تولية المشركين على رعاية البيت الحرام خاصة ومساجد الله عامة بتوليها وعمارتها، شرعت الآية في تبيان من يحق له ذلك، فأورد الكلام بصيغة الإخبار بإضمار الإنشاء فيه.

واستعمال القصر بـ (إنما) للتأكيد ولحصر الفئات المذكورة بعدها بولاية بيت الله وعمارته.

قوله (من آمن بالله واليوم الآخر) وهذه هي الفئة المعنية بعمارة المساجد، وهم المتصفون بالإيمان بالله وبالمعاد.

قوله (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) العطف للجمع لأنها الصفات الحقة للمؤمنين، وتخص إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالإفراد بالذكر غالبا مع أنهما داخلان في معنى الإيمان وذلك لأنهما أشرف مظاهر المؤمن.

قوله (ولم يخش إلا الله) وزاد عليه قيدا آخر هو خشية الله وأكده بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء زيادة في تصوير الإيمان لأن من يؤمن صادقا بالله لا يخشى سواه، ومفهوم الخشية مفهوم عبادي رفيع له مقامه في صفة المؤمنين، سيرد ذكره في مواضعه.

ويتحصل المعنى بذلك: يحق لهذه الفئة المؤمنة التي يظهر عليها أثر الإيمان بالله أن تتولى مساجد الله بالرعاية والعمارة، وخص بالذكر الصلاة والزكاة لأنهما من أجلى مظاهر المؤمن بالله.

قوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) الفاء للتفريع، وفعل المقاربة لحملهم على تهييج عمل الإيمان منهم أكثر وعدم الاتكاء على فعل واحد، ولفظ الإشارة للتنويه بهم، والمعنى: أن المذكورين بصفاتهم من المهتدين إلى الجنة ورضوان الله، وأن فعل الاهتداء حصل منهم بدليل صفاتهم المذكورة، وإنما الرجاء في ثبوت صفة الاهتداء فيهم باستمرار الاستزادة منه.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) الاستفهام والتشبيه لإنكار المساواة بين فعل

السقاية والعمارة وبين فعل الإيمان بالله وبالمعاد والجهاد، والسقاية والعمارة مصدران، بتقدير: أهل السقاية وأهل العمارة، والمراد المقابلة بين من يفعل ذلك من دون إيمان ومن يؤمن ويجاهد في سبيل الله لنفي المساواة بينهما، والألف واللام في لفظ الحاج لاستغراق الجنس، وتفيد العموم، و(سبيل الله) كناية عن توحيده تعالى لأنها الطريق الموصلة إلى رضاه والفوز بجنته سبحانه، وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم.

قوله (لا يستوون عند الله) الكلام تعليل لجملة الاستفهام الإنكاري، وهو أن الطرفين لا يتساويان في المنزلة والإثابة عند الله، ففضل أصحاب الإيمان بالله واليوم الآخر والمجاهدين في سبيل دينه تعالى أكبر، ولا يساوي عند الله مع من يدعي الإيمان وهو يشرك به سبحانه، ولفظ العندية تفيد القرب والكرامة.

قوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) الإخبار تأكيد وتعليل ثان لإنكار المساواة، ولا يخلو الكلام من تعريض بأهل التباهي بعمل من دون إيمان واعتقاد، وإظهار لفظ الله في موضع الإضمار لإفادة استقلال الجملة، ووصف القوم بالظلم لأن عبادتهم الشرك، والإتيان بالصفة لتعليل نفي هداية الله لهم.

وأكثر أهل التفسير قالوا في أن سبب نزول الآية الشريفة أن طلحة بن شيبة تفاخر فقال: أنا صاحب البيت، وبيدي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، وقال علي (عليه السلام):

ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد.

وقالوا في سبب آخر: إن عليا (عليه السلام) قال للعباس: يا عم، ألا تهاجر، وألا تلحق برسول الله؟ فقال: ألست في أفضل من الهجرة أعمر المسجد الحرام، وأسقي حاج بيت الله؟. قاله الطبري وغيره. انتهى.

وفي نهج البلاغة قوله (عليه السلام): أنا وضعت في الصغر بكلا كل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾

قوله (الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا) فصل الكلام تعليل لنفي المساواة في الآية السابقة، وتفصيل لقوله تعالى (كمن آمن بالله واليوم الآخر)، وعبّر عنه بلفظ الجمع حملا على المعنى في الصفة دون الشخص.

قوله (أعظم درجة عند الله) لفظ التفضيل خبر الابتداء لاسم الموصول، وهؤلاء المؤمنون المهاجرون المجاهدون أعظم في المنزلة بالقياس إلى هؤلاء الذين لا درجة لهم أصلا كما قال العلامة الطباطبائي: فاسم التفضيل هنا لا للمفاضلة بين صفتين اشترك بهما الطرفان، بل المراد المقايسة بينهما، وهذا نوع من الكناية عن أن لا نسبة حقيقة بين الفريقين، لأن أحدهما ذو قدم رفيع فيما لا قدم للآخر فيه أصلا. انتهى. ونصب لفظ

الدرج على التمييز، وهو استعارة لمعنى الرفعة وعلو المنزلة، مر تحليلها في سورة الأنفال الآية الرابعة.

قوله (وأولئك هم الفائزون) الواو لعطف الإخبار على الحكم وتقريره، فأكد اختصاصهم بالفوز باعتبار أصالة صفات الإيمان فيهم، ولذلك جاء الكلام بأشد تأكيداته فصيغ بالجملة الإسمية وبقصرين هما ضمير الفصل (هم) وأل الفائزين، ولفظ الإشارة للتنويه باستحقاقهم بالفوز، الذي عبر عنه بثبوت المعنى بالجملة الاسمية المؤكدة.

قوله تعالى ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (يبشرهم ربهم) الكلام في صفات المؤمنين، وفعل البشارة تقال للخبر السعيد وأصلها فيما يظهر من علامات الفرح على بشرة المخبر، وإضافة الرب إلى ضمير أنفسهم إضافة تشريف وعناية.

قوله (برحمة منه ورضوان وجنات) الباء لتعدية فعل التبشير، والرحمة رقة قلبية استعملت مجاز لرضا الله وقبوله للمؤمنين، وروعي الترتيب في الكلام على أساس التدرج في البشارة، وقصد بتنكيرها تعظيمها بعدّها بشارات من الله، والرضوان تكثير لمعنى الرضا، وكذلك جمع الجنات.

قوله (لهم فيها نعيم مقيم) اللام في (لهم) تفيد الاستحقاق، وضمير جمع الغائبين للمؤمنين المذكورين بصافاتهم في الآية السابقة، والهاء في (فيها)

راجع إلى الجنات، والتقديم لإفادة الاختصاص، وتنكير لفظ النعمة لإفادة التعظيم، وصفة الإقامة وإسنادها إلى النعيم مجاز عقلي للمبالغة، أي: لا ينقطع أبدا.

قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾

قوله (خالدين فيها أبدا) نصب لفظ الخالدين على الحال من ضمير (لهم)، والخلد دوام البقاء، والضمير في حرف الجر عائد على الجنات، ولفظ التأبيد لتأكيد الدوام، قال الراغب: ومعنى الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وسمي الوحش أوابد لطول أعمارها. انتهى.

قوله (إن الله عنده أجر عظيم) الفصل لتعليل الخلود واستبعاد التعجيب من مجازاة الله لهم، والإخبار المؤكد لإفادة ثبوت المعنى وتحققه، ولفظ العندية تعني التمليك لا الظرف المكاني، والأجر يراد به الثواب سمي بذلك لمراعاة جزاء العمل، ووصفه بأنه عظيم مجاز يراد به كثرته وجزالته.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) النداء بصفة الإيمان تهيئة لما بعده من الإقبال على الأوامر والنواهي.

قوله (لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) خصوصية النهي عن تولي الآباء والإخوان دون سواهم لما لهما من أثر في الأبناء في صرف القلوب عن الإيمان بالتوحيد، والتولي هو الاتباع والانقياد.

قوله (إن استحبوا الكفر على الإيمان) الشرط لتعليل النهي، وفعل الاستحباب مبالغة في حب النفس وميلها إلى الكفر وتفضيله على الإيمان، وتعدية الفعل بـ (على) لتضمنه معنى التفضيل.

قوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) الواو عاطفة، والتولية الاتباع على سبيل التفضيل، وضمير الجمع فيها (هم) عائد إلى المذكورين من الآباء والإخوان المفضلين للكفر على الآباء، وحرف الجر في (منكم) للتبعيض، وضمير (كم) للمؤمنين. والفاء في لفظ الإشارة واقعة في جواب (من) الشرطية، ولفظ الإشارة للإحضار والتمييز لاستحقاقهم بما يخبر عنهم من تأكيد مشدد بظلمهم بضمير الفصل وأل لفظ الظالمين، والإتيان بالجملة الإسمية في جواب الشرط لإفادة ثبوت المعنى، ولفظ الظلم باعتبار ظلمهم لأنفسهم بهذا التولي.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ

كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

قوله (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) الأمر بـ (قل) موجه للنبي ﷺ ويراد به تهديد قومه، وفيه عدول من مخاطبة المؤمنين في الآية السابقة إلى خطاب النبي لإشعارهم بأن انشغالهم عن حب الله ورسوله موجب للإعراض عنهم.

والإطناب في ذكر الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن لأنها موارد الضعف التي تحمل النفس على تولي الكافرين.

قوله (وأموال اقترفتموها) يدخل في لفظ الأموال الحرث والأنعام، وفعل الاقتراف أصله الاقتراب، ويراد به الاكتساب.

قوله (وتجارة تخشون كسادها) الخشية خوف شديد، دال على خوف بعض المسلمين من ضياع التعامل التجاري مع قريش في مكة، وكساد التجارة فسادها وهلاكها.

قوله (ومساكن ترضونها) أي: الدور التي تسكن ويستطاب بها للألفة بها.

قوله (أحبّ إليكم من الله ورسوله) نصب اسم التفضيل لأنه خبر (كان)، والتفاضل لملاحظة إقبال القلب على الموارد المذكورة وميله إليها على حساب حب الله ورسوله، ولذلك ذكرت من دون سواها، فكأنه يراد بها إثارة الضد من معناها أي: أن يكون ميل القلب وانصرافه إلى حب الله ورسوله والجهاد في سبيله.

قوله (وجهاد في سبيله) وتنكير لفظ الجهاد لإفادة تعظيمه، والضمير في لفظ السبيل عائد على لفظ الجلالة.

قوله (فتربصوا) الفاء للربط بين فعل الشرط وجوابه. وفعل التربص القعود للمراقبة والانتظار، ويقال فيما يكره، لذلك يراد بالأمر التهديد.

قوله (حتى يأتي الله بأمره) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، وإتيان الله بأمره مجاز في عقابه، وأمر الله شأنه تعالى الذي يحكم به ويفصل ويقضي.

قوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) التصريح بلفظ الله للتعظيم، ونفي الهدي لإفادة تيسير أسبابه لهم، والإخبار متضمن معنى التهديد بخروجهم من أصل العبودية لذلك علل نفي الهدي بالإتيان برسوخ فسقهم فيهم.

قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ﴾

قوله (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) الكلام في مقام تذكير المسلمين بمننه تعالى عليهم، التي هي مدعاة للثقة به سبحانه، وتوليه بالتبري من المشركين.

واللام في (لقد) مشعرة بالقسم، والحرف يفيد التحقيق لأنه داخل على فعل المضي، وإسناد النصر إلى لفظ الألوهية تذكير بتأييده سبحانه لهم في معاركهم السابقة في بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة بدلالة قوله (في مواطن كثيرة)، ولفظ الموطن اسم للمكان يتوطنه الإنسان ويسكن فيه، وقيل إنها ثمانون موطنا، والتذكير بها تمهيد لما سيأتي بعدها من ذكر يوم حنين.

قوله (ويوم حُنيْن) الواو عاطف على قوله (نصركم)، ولفظ اليوم منصوب على الظرفية، وإضافته إلى حنين لإرادة التعظيم والتعريف، كما قيل: يوم بدر ويوم أحد، وحنين اسم واد بين مكة والطائف، وغزوة حنين وقعت بعد فتح مكة، إذ انتصرت هوازن وثقيف لقريش، فقاتلهم النبي ﷺ، وكان يوما شديدا أُخِذ فيه المسلمون أولا، ثم أيدهم الله فانتصروا.

قوله (إذ أعجبتكم كثرتكم) تفيد (إذ) معنى: وقت، وفعل الإعجاب أصله السرور بما تشاهده النفس على سبيل الندرة، والكثرة يراد بها كثرة عديد المسلمين بعد فتح مكة إذ كان جيش المسلمين قوامه اثنا عشر ألف رجلا.

وتخصيص ذلك بالذكر للإشارة إلى عاقبة نسيان الاتكال على الله، بعدهم كثرة عديدهم سببا للنصر، لذلك ابتلاهم الله بحنين للرجوع إلى أنفسهم

والإيمان بأن القلة والكثرة ليست المعيار، بل خلوص القلب بالاتكال على الله هو الأساس.

قوله (فلم تغن عنكم شيئا) الفاء للتفريع، أي: لم يغن اعتماد الكثرة من دون الله شيئا في دفع العدو وجلب النصر.

قوله (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) الواو للحال، وفعل الضيق ضد السعة، وتعديته بحرف الاستعلاء لإفادة تمكن ضيق الأرض من نفوس المسلمين، وتعريف الأرض للجنس، والباء في (بما) للملابسة، والرحب السعة، والظرف موقعه الحال.

والصورة المتقابلة بين الضيق والسعة كناية عن الانهزام لحفظ النفس والالتجاء إلى البحث عن زاوية آمنة من الأرض لحفظها من الهلاك، فقد تفرقت تلك الآلاف عن النبي ﷺ لا تلوي على شيء بعد أن باغتتهم كتائب هوازن وثقيف بهبة رجل واحد، فقد ذكر أن رسول الله ﷺ لما رأى هزيمة القوم عنه قال لعمه العباس - وكان جهوريا صيِّتا - اصعد هذا الظَّرِب [أي الجبل المنبسط] فناد: يا معشر المهاجرين والأنصار يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة إلى أين تفرون؟ هذا رسول الله، فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا: لبيك لبيك، ولحقوا بالراية حياء من النبي ﷺ، وتبادر الأنصار خاصة، وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ﷺ: الآن حَمِيَ الوطيس.

قوله (ثم وليتم مدبرين) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وفعل التولي كناية عن الإعراض، ونصب لفظ الإدبار على الحال، وإعطاء الأدبار للغير صورة كنائية عن الفرار من المعركة تفيد الهزيمة باحتقار.

وإلى هذا المعنى قول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة مشيرا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام نجدة أكرمني الله بها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾

قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) يفيد العطف بـ (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وفعل الإنزال مجاز في رعاية الله لرسوله والمؤمنين ومنع تمكن الخوف منهم، ولفظ السكينة مأخوذ من السكون وأصله زوال الحركة بطمأنينة النفس وثباتها وهدوئها بعد اضطرابها، وترد في آيات القرآن مخصوصة دائما بإسنادها إلى الله تعالى وبلفظ الإنزال وفي تعزيز للإيمان، وليس للشك فيه باضطراب ونحوه، فعلى هذا يبدو أن إنزال السكينة مع فهم بيئة معركة حنين وفرار المسلمين وثبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع بضعة من أصحابه هو نوع من طمأنينة إلهية يهبها الله للمتكلين عليه الذين لا يخشون أحدا سواه.

ودلالة الضمير المقترن بلفظ الرسول توحي بالعناية بنبيه بنزول تلك الحالة الإلهية الوادعة وقت الشدائد، وتكرار حرف التمكن (على) لافتراق إنزال السكينتين، فالسكينة المنزلة على النبي ﷺ لا لاضطراب نفسه إذ لم يعهد من النبي ذلك البتة، وإنما لشدة خوفه على حال المسلمين لهزيمتهم وفرارهم من المعركة، وأما السكينة المنزلة على المؤمنين فهي لأنهم نخبة من الثابتين الذين شملتهم حالة السكينة والثبات، وعلى هذا التفسير إن تعريف المؤمنين يراد به العهد وليس الجنس.

وروي في الكافي وغيره: أن الله تعالى خلّى بين المسلمين وبين عدوهم لإعجابهم بكثرتهم، وبقي علي عليه السلام ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل من آل عبد المطلب، ومر المنهزمون بالنبي ﷺ لا يلوون على شيء، فدعا الرسول ربه رافعا يده وقال: اللهم لك الحمد ولك الشكر وإليك المشتكى وأنت المستعان، فنزل إليه جبرئيل فقال: يا رسول الله دعوت بما دعا به موسى بن عمران حين فلق الله له البحر ونجّاه من فرعون. انتهى.

قوله (وأنزل جنودا لم تروها) تكرار لفظ الإنزال في غاية التناسب الذي يشير إلى اختلاف إنزالين من مُنزِل واحد: الأول معنى عقلي مثّله إنزال السكينة، والثاني: إنزال الملائكة وهو كيان مادي، وتنكير لفظ الجنود يراد به نوعية من الجنود يسمون ملائكة النصر، وجملة نفي الرؤية موقعها الصفة، لأنهم موكلون بنصرة النبي، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائه.

قوله (وعذب الذين كفروا) فعل التعذيب يطلق ويراد به في مثل هذا المقام القتل أو الجرح أو الأسر، وأسند العذاب إليه سبحانه لأن المقام مقام تعجيز وخرق للعادة، جاء في الكافي قول سعيد بن المسيب: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يقفوا لنا حلب شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله ﷺ فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا أكتافنا فكانوا إياها يعنى الملائكة. انتهى.

قوله (وذلك جزاء الكافرين) لفظ الإشارة للتعذيب، والجزاء المجازاة والاستحقاق، والإخبار نتيجة لما سبق.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٧ ﴾

قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) الكلام إخبار عن المتولين المدبرين، و(ثم) للتراخي الرتبي، ومعنى التوبة الإنابة والرجوع إلى الله تعالى بالندامة والاستغفار، والتأكيد بحرف الجر في قوله (من بعد ذلك) إشارة إلى إثمي غفلة التوكل على الله وإثم الفرار من الزحف، ومشيئة الله إرادته التي بنيت على الحكمة والرحمة.

قوله (والله غفور رحيم) إخبار عن كثرة غفرانه وعظمة رحمته مضمونه التأكيد والتعليل لفعل التوبة، والإظهار للفظ الله في موضع الإضمار للتعظيم واستقلال الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) النداء للاستئناف بالرجوع إلى موضوع المشركين، والحصر فيه بـ (إنما) لتأكيد قذارتهم النفسية التي لا تتناسب وطهارة البيت الحرام.

قوله (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) الفاء لتفريع النهي على القصر، لأن النهي نتيجة لما سبق من تأكيد نجسهم، والمراد بالقرب النهي عن توليه أو الطواف به وزيارته، حتى يؤمنوا، والظرف في قوله (بعد عامهم هذا) أي بعد تلاوة الإمام علي (عليه السلام) لآية براءة عليهم، وهو عام تسع من الهجرة الذي منع فيه الطواف عرايا.

قوله (وإن خفتم عَيْلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) الواو عاطفة، وفعل الخوف مجاز لشدة التأثر، والخطاب لبعض المسلمين، والعيلة هي الفقر، ونصبها على الحال، والخوف منه باعتبار مقاطعة التبايع مع المشركين.

والفاء المقترن بأداة الاستقبال واقعة في جواب (إن) الشرطية، وفعل الوعد من الله بإغنائهم في مقام الجزاء تسكينا لنفوسهم وإزالة لخوفهم، وقد تحقق بكثرة الرفادة مما جاءهم من اليمن وغيرها، وتعليق الوعد بالإشاعة إظهار لمقام عظمته سبحانه.

قوله (إن الله عليم حكيم) الفصل لتعليل خوفهم العيلة، لأنه تعالى يعلم المصلحة وحكمة عواقبها، والإخبار بالجملة الإسمية لثبوت المعنى وتحقيقه، والعليم الحكيم صفتا مبالغة لعلم الله وحكمته.

قوله تعالى ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الأمر بالقتال موجه إلى المسلمين، وفائدة الصياغة بالموصولية لإرادة التفصيل في بيان علة الأمر بقتالهم، فقدمت التوصيف وأخرت التصريح بالموصوف، وعدت الآية أربعة أسباب لمقاتلتهم:

الأول: إثبات كفرهم: وهو قوله (لا يؤمنون بالله) لأنهم يجزئون الإيمان بالله ورسله فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، فكان ذلك سببا لنفي الإيمان بالله أصلا.

الثاني: إنكار المعاد: وهو في قوله (ولا باليوم الآخر) لأن منهم ـ ولاسيما اليهود ـ من لا يؤمن بالمعاد وحرفوا التوراة لذلك.

الثالث: التلاعب بالشريعة الإلهية: في قوله (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لأنهم أحلوا لأنفسهم ما حرمه الله ورسوله كفعل اليهود وقد فصل الكلام فيه في سورتي البقرة والنساء، وكما فعل النصارى في إباحة الخمر ولحم الخنزير، وربما أريد بالرسول في قوله (ورسوله) رسول أنفسهم أو يمكن أن يكون المراد نبينا محمد ﷺ تهييجا للمؤمنين لقتال الكافرين.

الرابع: إنكار الإيمان بالإسلام: وهو قوله (ولا يدينون دين الحق) أي: لا يؤمنون به، وكنى عن دين الإسلام بدين الحق.

قوله (من الذين أوتوا الكتاب) معنى (من) التبيين لا التبعيض، والكلام تصريح بالمخبر عنهم يدخل فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والصابئون من المجوس الذين صبوا إلى دين اليهود، ولفظ الكتاب يراد به التوراة والإنجيل، وصيغة الفعل المبني للمجهول (أوتوا) ولم يقل أنزل: للإشارة إلى أنه ليس الكتاب المنزل على موسى وعيسى عليهما السلام بسبب ما دخلهما من دس وتحريف.

قوله (حتى يعطوا الجزية) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، والجزية سميت بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم، عبر عنها الطباطبائي في الميزان بأنها: عطية مالية تؤخذ منهم وتصرف في حفظ ذمتهم كما تأخذ حكومات عالمنا اليوم الضريبة من كل أحد لتقديم ما هو أفضل في الإدارة والخدمة. انتهى.

والكلام تعليق لأمر القتال بإعطاء ضريبة الجزية كبحا لجماحهم في مزاحمة إظهار دين الإسلام عليهم، وليس المراد إثراء المسلمين من ذلك.

قوله (عن يد وهم صاغرون) حرف التجاوز ولفظ اليد يراد به التأكيد بالإعطاء بأنفسهم من دون غيرهم، لقمع تكبر نفوسهم، ويمكن أن تكون بمعنى القدرة والتمكن من باب المجاز المرسل بعلاقة السببية، أي: عن قوة وسلطة لكم عليهم.

وجملة (وهم صاغرون) جملة حالية مقيدة، والصغار هو الذل، والصاغر من رضي به، وجيء بها بصيغة الإخبار بالجملة الإسمية لجدارتهم بمعنى الضعة والحط في نفوسهم، لأن المعنى مأخوذ فيه معنى القتال ولذلك يستفاد من معنى الصغار وجوب احترامهم للشريعة الإسلامية لا معنى إهانتهم والسخرية منهم، فذلك ليس من أخلاق الإسلام في شيء.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ﴾

قوله (وقالت اليهود عزير ابن الله) يقوم الكلام مقام التعليل للحكم السابق على أهل الكتاب، وقول اليهود زعم بلا دليل وادعاء وشرك لا مسوغ له بعد دلائل التوحيد التي جاء بها إليهم نبيهم موسى عليه السلام من قبل، وقد مر ذكر عزير في سورة البقرة، وعزير تعريب لعزرا عند اليهود، كما أن المسيح تعريب ليسوع، ويحيى ليوحنا، ويبدو أن اليهود قالوا ذلك على أساس البُنُوّة التشريفية كما قالوا عن أنفسهم أنهم أبناء الله، وهذا لا يعفي جرأتهم على الله، وذلك لأنهم كانوا يعظمون شأن عزرا ويقدرونه فهو الذي جدد دين اليهود وجمع أسفار التوراة وكتبها بعد ما افتقدت في غائلة بخت نصر ملك بابل الذي فتح بلادهم وخرب هيكلهم وأحرق كتبهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وذراريهم والباقين من ضعفائهم وسيّرهم معه إلى بابل، فبقوا هنالك ما يقرب النصف قرن، ثم لما فتح (كورش) ملك إيران بابل شفع لهم عنده عزرا وكان ذا وجه عنده، فأجاز له ان يعيد اليهود إلى بلادهم وأن يكتب لهم التوراة ثانيا بعد ما افتقدوا نسخها، وكان ذلك في حدود سنة ٤٥٧ قبل المسيح على ما ذكروا فراجت بينهم ثانيا ما جمعه عزرا من التوراة وإن كانوا افتقدوا أيضا في زمن أنتيوكس صاحب سورية الذي فتح بلادهم حدود سنة ١٦١ ق م وتتبع مساكنهم فأحرق ما وجده من

نسخ التوراة وقتل من وجدت عنده أو اخذت عليه على ما في كتب التاريخ. ذكر في الميزان. أه.

قوله (وقالت النصارى المسيح ابن الله) ادعاء النصارى بالبنوة لله دعوة حقيقية واجتراء منهم، مع أن المسيح عيسى ابن مريم هو معجزة بحد ذاته لإثبات أحدية الله تعالى، وقيل في معنى النصارى لنصرتهم عيسى أو لانتسابهم إلى الناصرة موطن ميلاد عيسى، والمسيح لقب لعيسى سمي بذلك لمسحه رؤوس المصابين بالمس أو الجذام أو البرص فيبرؤون، وقيل بسبب سياحته برجليه.

قوله (ذلك قولهم بأفواههم) لفظ الإشارة بمعنى: ذلك القول، ونسبة القول إلى الأفواه من المجاز المرسل بعلاقة الكلية، ويريد به أنه كلام غير مبني على دليل عقلي فلا يتعدى لقلقة اللسان.

قوله (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) الكلام تقرير لما تقدمه، وفعل المضاهاة يعني المشابهة، والمعنى: يريدون التشبه بقول الوثنيين في الأمم القديمة في ادعاء الشركة مع الله كالهند والصين ومصر القديم.

قوله (قاتلهم الله) صيغة دعاء شديدة الوقع، إذ لا قبل لأحد من المخلوقين بقتال الخالق، وهو مجاز دال على غضب الله تعالى عليهم.

قوله (أنى يؤفكون) الاستفهام بمعنى: كيف، يراد به التعجيب من صرفهم دلائل الحق وتحويلها إلى طريق الباطل، والإفك المنصرف عن الوجه

الذي هو عليه، فيكون المعنى: دعاء عليهم بالقتل لانصرافهم عن الحق إلى الباطل.

قوله تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾

قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) قطع الكلام لأنه تعليل لقوله (أنى يؤفكون)، وواو الجماعة في فعل الاتخاذ إشارة إلى جمع الفريقين من اليهود وكنى عنهم بأحبارهم، ومن النصارى وكنى عنهم برهبانهم، والحبر مأخوذ من الأثر المستحسن، قال الراغب: والحبر العالم وجمعه أحبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها، قال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوله: العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة. انتهى.

والرهبان جمع راهب والرهبة خوف مع تحرز واضطراب. قاله الراغب. انتهى. وقال: والترهب التعبد وهو استعمال الرهبة، والرهبانية غلو في تحمل التعبد من فرط الرهبة، قال: (ورهبانية ابتدعوها) والرهبان يكون واحدا وجمعا، فمن جعله واحدا جمعه على رهابين ورهابنة بالجمع أليق. انتهى.

ولفظ الأرباب جمع رب، ونصبه لأنه مفعول ثان لفعل الاتخاذ، واتخاذ الأحبار والرهبان أربابا لأنهم أنزلوا أنفسهم منزلة الرب فحرّموا ما أحلّه الله وأحلوا ما حرّم، وأدخل عزير ضمن الاتخاذ لأن البنوة بنحو من التشريف، وليس كما فعل النصارى بنحو من الحقيقة كما زعموا، ولذلك خص عيسى عليه السلام بالذكر.

قوله (من دون الله) الظرف محله الحال، ولفظ الدون يقال للقاصر عن الشيء، وتستعمل في القرآن كثيرا بمعنى: من غير الله، إشارة إلى الضعة في عبادة غير الله.

قوله (والمسيح بن مريم) الواو لعطف الكلام على لفظ الأرباب لأنه معمول فعل الاتخاذ، وخص المسيح بالذكر لأن النصارى ادعت ولديته لله، ومنهم من اتخذه إلها، وذكر أمه مريم نوع رد عليهم لتذكيرهم بأنه إنسان ابن امرأة، فكيف تنطبق عليه الربوبية؟

قوله (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) جملة حالية، والكلام احتجاج عليهم، فلا عذر لهم وقد بلغتهم الرسل بعبادة الله الواحد، فأوجزت الجملة رسالات موسى وعيسى بالفعل المبني للمجهول (أمروا)، وصيغ المعنى بالتوكيد بأسلوب الحصر بالنفي والاستثناء بقصر مهمة الرسل بالتبليغ بعبادة الله، واللام في قوله (ليعبدوا) للتعليل وتفيد تبيان الغرض الوحيد من إرسال الرسل إليهم، وقوله (إلها واحدا) فصرح بلفظ الألوهية بدلا من لفظ

الربوبية للإشعار بأن المعبود هو الله الواحد الذي لا شريك له الجامع بين المقامين الربوبية والألوهية.

قوله (لا إله إلا هو) الكلام محله الصفة للإله الواحد، واستعمال القصر بالنفي والاستثناء، تأكيد لنفي الألوهية عن سواه تعالى، ولفظ الغيب للإشارة إلى علوه وتعظيمه.

قوله (سبحانه عما يشركون) والتسبيح بصيغة المصدر بمعنى أسبحه سبحانا، مبالغة في تنزيه مقام الألوهية عن الشرك الذي عبرت الآية عنه بلفظ المضارع إشارة إلى استمرار فعلهم المشين.

قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله (يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم) الضمير عائد إلى بعض أهل الكتاب، ولفظ الإرادة إشارة إلى رغبتهم الراسخة في نفوسهم المنحرفة، ولفظ الإطفاء استعارة لفعلهم في تكذيب النبي ﷺ، ولفظ النور استعارة لدين الإسلام بجامع الهداية والوضوح، وإضافته إلى لفظ الجلالة لتعظيم شأن الإسلام وتسفيه من يحاول إطفاءه، والباء المقترن بلفظ الأفواه للملابسة، والأفواه جمع فيه، وهو وسيلة النفخ.

والصورة تهكم بهم واستخفاف، قال في المجمع: وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم، لأن الفم يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة. انتهى.

قوله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) الواو واو الحال، والجملة حالية في قبال إرادتهم، ولفظ الإباء يعني الامتناع، وصيغ معناه في أسلوب القصر للتوكيد والتشديد في إنفاذ إرادة الله تعالى، والإتمام الإكمال بلا تقطع ويدل على الانتشار هنا، والنور استعارة لدين الإسلام، فيتحصل المعنى: أن أهل الكتاب يريدون القضاء على الإسلام وإرادة الله سبحانه تأبى إلا انتشار نوره في الأرض، ولا يكون إلا ما يريد الله، وفي الكلام وعد ببشارة نصر الإسلام وانتشاره.

وجيء بهذا التركيب هنا لشدة مماحكة أهل الكتاب وتصلبهم في دينهم ولم يُجَأ به في سورة الصف إذ قال: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) [الآية ٨] لأن المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خفية وفي لين وتملق. ذكره ابن عاشور. انتهى.

قوله (ولو كره الكافرون) أي: لا قيمة لكراهة الكافرين، ويعني بهم اليهود والنصارى، وأطلق عليهم لفظ الكفر لأنهم بتجزئتهم الإيمان بحسب أهوائهم في معناه أشبهوا أهل الكفر.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) ضمير الفصل (هو) قصر يفيد التعظيم، وهو بمنزلة التصريح لعظم شأنه ومعلوميته سبحانه، ولام الرسول للعهد يراد به النبي محمد ﷺ، والتجنيس بين فعل الإرسال والاسم وإضافته إليه سبحانه يدل على التشريف والعناية بنبيه، والباء في (بالهدى) للملابسة، ولفظ الهدى استعارة للقرآن الكريم بجامع الهداية، والظرف محله الحال.

قوله (ودين الحق) الواو لعطف الكلام على الحال، وإضافة الدين إلى الحق للإشارة إلى الإسلام، وسماه بالحق لصدوره عن الله تعالى.

قوله (ليظهره على الدين كله) اللام تفيد الغاية من الإرسال، وفعل الظهور وتعديته بحرف الاستعلاء (على) لإفادته معنى الغلبة والانتصار، واللام في لفظ الدين للجنس والاستغراق، ولفظ الكل زيادة في تأكيد شمولية الظهور.

قوله (ولو كره المشركون) ذكر كراهة المشركين لأنهم الأشد حسرة بغلبة دين التوحيد عليهم.

والتدبر في شدة تأكيد الكلام بألفاظ الغلبة والشمول مع ما يدعمها من الروايات المعتبرة يدل على أنه معني بظهور القائم المنتظر في آخر الزمان الذي تتحقق على يديه هذه الكلية لدين الحق في عموم الأرض،

وهو الحجة المهدي بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، وفي تفسير البرهان عن الصدوق بإسناده عن أبي بصير قال الصادق عليه السلام في الآية: والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم، فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى لو كان الكافر في بطن صخرة قالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله. انتهى. ويروى أن بظهور الإمام (عج) تترك الجزية.

قوله تعالى ﴿ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) نداء وعظ وتوجيه للمؤمنين، وفيه رجوع بالخطاب من الإخبار عن تأليه أهل الكتاب لأحبارهم كعزير إلى خطاب المؤمنين لتبيان انحراف الأحبار والرهبان.

قوله (إن كثيرا من الأحبار والرهبان) إخبار عن أحوال أهل الكتاب وانحراف علمائهم يراد به تعليل أمر القتال السابق، ولفظ الكثرة دون الجميع للفرز بين الأكثرية الغالبة والقلة من الصالحين، وفي ذلك إشارة إلى حفظ حق القلة وتأكيد انحراف الكثرة.

والأحبار صفة علماء اليهود، والحبر هو العالم المؤثر بعلمه، والرهبان صفة علماء النصارى، مأخوذ من الرهبة والخوف من الله كما تقدم.

قوله (ليأكلون أموال الناس بالباطل) اللام في (ليأكلون) واقعة في خبر (إن) للتأكيد، وفعل الأكل استعارة بالكناية عن أموال الرشوة التي يأخذونها لتغيير أحكام الله النازلة في التوراة والإنجيل، ولذا أكده بلفظ البطلان، لأنهم يأخذونها من غير وجه حق.

قوله (ويصدون عن سبيل الله) إخبار آخر عن فعلهم، وهو منع الناس من اللحاق بدين الإسلام الذي استعير له لفظ السبيل وأضيف إلى اسم الله لتعظيم أحقية اتباعه، وصدهم يكون بتشويهه وتضليل العامة عن حقيقة الدين الإسلامي.

قوله (والذين يكنزون الذهب والفضة) الواو لاستئناف الإخبار، وهو وإن اتصل بما قبله إلا أنه غير مختص بالأحبار والرهبان، وفعل الكنز كما قال الراغب: الجمع بجعل بعضه على بعض، وأصله من كنزت التمر في الوعاء. انتهى. والذهب والفضة يراد بها الدنانير والدراهم من معادنهما، وتعريفهما للجنس، وذم ادخار المال واكتنازه باعتبار منعه من إنفاقه في موارده.

قوله (ولا ينفقونها في سبيل الله) والضمير في لفظ الإنفاق عائد إلى الذهب والفضة، ولفظ السبيل كناية عن موارد الإنفاق في البر ونحوه، ويراد به هنا الجهاد.

قوله (فبشرهم بعذاب أليم) الفاء في معنى الشرط المتضمن في الموصول، ولفظ التبشير استعارة للتهكم بهم، ومفاجأتهم لأنها تستعمل فيما يفرح الإنسان فكأنهم يدهشهم ببشارة غير متوقعة من العذاب الأليم، وصفة الأليم مبالغة في شدة ما يؤلم.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (يوم يحمى عليها في نار جهنم) ظرفية اليوم إشارة إلى يوم القيامة، والحمي والإحماء شدة الحرارة وهو فوق التسخين في الشدة، والتعدية بحرف الجر في (عليها) للإشارة إلى تمكن النار منها إلى حد اكتساب الحرارة ذاتها من نار جهنم، وضمير الهاء عائد إلى ما يكنزون من الذهب والفضة من الدراهم والدنانير، و(في) للظرفية المجازية، وإضافة النار إلى جهنم إشارة إلى بلوغها أقصى شدتها في الحرارة.

قوله (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) الفاء لتفريع إخبار على إخبار، والكي وضع الشيء الحامي على البدن، وتخصيص تقديم الجباه وهو أول الوجه إذلال لهم وتمييز لوجوههم، والمراد بالإطناب بذكر الجباه الجنوب والظهور إحاطة عذاب الكي بالنار بأجسادهم زيادة في إذاقتهم ألوان العذاب، وقد يراد بالظهور أدبارهم.

قوله (هذا ما كنزتم لأنفسكم) الفصل لأنه مقول قول محذوف يفيد التوبيخ، يحتمل أن يكون قائله خزنة النار، ولفظ الإشارة بالقريب لإرادة معنى ما آل إليه الحرص والبخل من نار وكي وعذاب، فكأنهم كانوا يكنزون العذاب بدلا من الذهب والفضة، وهو من باب المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، واللام المقترن بلفظ الأنفس يفيد الغاية.

قوله (فذوقوا ما كنتم تكنزون) الفاء تفريع من الجملة السابقة، والأمر بالتذوق استهزاء بهم واستخفاف، وإعادة لفظ الكنز للتفنن في الكلام وإظهار بؤسهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦ ﴾

قوله (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) استئناف ابتدائي لتثبيت حرمة الأشهر الحرم وإبطال العمل بنسيء الجاهلية، والتأكيد بحرف النسخ للتنبيه إلى أهمية الإخبار، والعدة من العدد، والمراد بالشهور الشهور القمرية لأنها الأساس في احتساب العدة، وتقسيم السنة اثني عشر شهرا من هداية الله للإنسان بحكم الاعتياد والتنبه إلى الحس، اعتمادا على حركة القمر بزوغا وأفولا، فاهتدوا إلى تقسيم الأيام إلى شهور، وبطبيعة حركة

الأرض والشمس التي تنتج عنها تكرار فصول السنة، قسموا الشهور إلى اثني عشر شهرا، وعرفوا السنة الشمسية تتألف من ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وبعض يوم لا تنطبق على اثني عشر شهرا قمريا هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما تقريبا إلا برعاية حساب الكبيسة، ومن هنا ذكرت السموات والأرض معا.

والظرف في لفظ العندية وإضافتها إلى اسم الله بمعنى عندية العلم، لإفادة أن هذا التقدير ثابت لا يتغير في احتساب السنين والشهور.

قوله (في كتاب الله) شبه الجملة موقعها الحال، وكتاب الله بمعنى أن ذلك في قضائه تعالى وتدبيره.

قوله (يوم خلق السماوات والأرض) أي: التقسيم المذكور للشهور مقدر بحساب متقن بخلق السموات والأرض، لأن حركة الكواكب هي الأساس في دقة احتساب ذلك.

قوله (منها أربعة حرم) الضمير عائد إلى الشهور، وخص منها أربعة لتعظيم شأنها وسماها بالحرم على الجمع لحرمة القتال فيها مراعاة لقدرها عند الله، وهي شهر ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب، وحرمتها جاءت من شريعة إبراهيم ﵇ لإقامة الحج، وقد كان أول المسلمين، وإنما جعلت حرما لتحريم القتال فيها، لتكون فرصة للناس لطاعة ربهم والرجوع إلى صوابهم بحقن الدم وبسط الأمن، وعظم حرمتها العرب في الجاهلية

غير أنهم احتالوا بالنسيء بتحويل حرمتها إلى شهر سنة أو أزيد منها، وهو ما حرمته الآية.

قوله (ذلك الدين القيم) الإشارة بلفظ البعيد إلى تقسيم الشهور، واللام في لفظ الدين للعهد الحضوري ويراد به الإسلام لأنه ناسخ لجميع الأديان وضبط مواقيتها في أعيادها الدينية، ووصفه بالقيمومة لإفادة معنى التدبير في القيام على شؤون الناس ومصالحها.

قوله (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الفاء لتفريع النهي على الحكم السابق، والنهي يراد به تعظيم حرمة الأشهر الحرم - بدلالة الضمير في (فيهن) - وصولا لتعظيم حرمة القتال، وإنما استعمل ضمير المؤنث الجمعي (هن) لإرادة جمع القلة، أي: أشهر حرم، لأن من عادة العرب ذلك، ولو أراد جمع الكثرة بلفظ الشهور لاستعمل ضمير المؤنث المفرد فقال: فيها، قال الفراء: وكذلك كلام العرب لما بين الثلاثة إلى العشرة تقول: لثلاث ليال خلون، وثلاثة أيام خلون إلى العشرة، فإذا جزت العشرة قالوا: خلت، ومضت، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة (هن) و(هؤلاء) فإذا جزت العشرة قالوا (هي، وهذه) إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير. انتهى.

قوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين) قيل في موضع الكلام من الآية إنها للاحتراس من النهي عن القتال في الأشهر الحرم في حال الاعتداء، و(كافة) موضعه الحال بمعنى: كافين مانعين، ولفظ الكف أصله المنع، وقد يراد بها معنى الإحاطة فيكون الوجه

الأقرب لمعنى الإحاطة: قاتلوا المشركين جميعهم كما يقاتلونكم جميعكم، والآية معنية بأمر قتال المشركين وهم عبدة الأوثان، لا أهل الكتاب فهي غير ناسخة لآية أخذ الجزية. قاله الطباطبائي. انتهى.

قوله (واعلموا أن الله مع المتقين) الأمر بفعل العلم للتنبيه، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، والمعية مجاز للتأييد والتسديد، والمراد بالمتقين المراعون لحرمات الله ومراقبة أنفسهم.

والكلام تنبيه من الغفلة وقت المغازي والحماس في القتال بمراعاة الحذر في حفظ الحرمات، مثلما حصل في قتل خالد لرجال من جذيمة ودفع النبي ﷺ دياتهم، أو بقتله امرأة في غزوة حنين وتبرؤ النبي من ذلك ثلاثا، ومثل تعجل أسامة حين قتل يهوديا أظهر له الإسلام.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (إنما النسئ زيادة في الكفر) الفصل لأنها معنى مستأنف من الآية السابقة الممهدة للكلام بحرمة النسيء، فابتدأ بالقصر بـ (إنما) لتأكيد حرمة هذا الفعل الجاهلي، ومعنى النسيء التأخير، إذ كانوا يحولون حرمة الشهر

من الأشهر الأربعة إلى آخر غيره من السنة، فيجعلون ما هو محرم غير محرم وبالعكس، لأجل عصبيتهم في الاستمرار بالغزوات والحروب، فقد كانوا يشق عليهم المكث ثلاثة أشهر متوالية من دون قتال، وفي فعل ذلك اختلال أمن الناس وقطع لسبيل الحجيج، ولذلك أخبر عنه بأنه (زيادة في الكفر) لأنهم مشركون أصلا، فيكونون بعملهم في استحلال حرم الله يزيدون إلى كفرهم كفرا، ولفظ الزيادة استعارة للمبالغة.

قوله (يضل به الذين كفروا) الجملة موقعها الخبر الثاني، والضلال بعمل النسيء إضلال لغيرهم وزيادة في ضلال الكافرين، وقيل: إن ذلك من ابتداع بني كنانة.

قوله (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) الفصل لأنه تعليل لجملة الضلال، وتفصيل لنسيئهم وتدخلهم في شريعة الله، فيحلون العام الذي فيه شهر محرم بتأخيره إلى عام آخر لتحريمه، ويدل إيراده بلفظ المضارع إلى استمرار ضلالهم بهذا الفعل، وتنكير لفظ العام لإفادة النوعية، فهم يحلونه في بعض الأعوام ويحرمونه في بعضها.

قوله (ليواطؤا عدة ما حرم الله) أي: ليوافقوا عدد الأشهر الأربعة التي حرم فيها القتال، فهم لا يلغونها بل يتلاعبون بها، واللام بمعنى لام الصيرورة، ولا يخلو التعليل من إشعار التوبيخ لهم والتهكم بهم.

قوله (فيحلوا ما حرم الله) الفاء عاطفة تفيد تفريع تعليل على تعليل، لذلك نصب فعل التحليل، واستعمال جملة الموصول بإعادة صلة التحريم وإسناده إلى لفظ الجلالة إشارة إلى تعظيم الفعل وشناعته.

قوله (زين لهم سوء أعمالهم) الفصل في الكلام لتعليل حالهم العجيبة، وإضمار فاعل التزيين للإشارة إلى الشيطان فهو من عمله وغوايته، والمطابقة بين لفظي الزين والسوء يحمل معنى التحذير من فعل الشيطان الذي من شأنه قلب الحق باطلا.

قوله (والله لا يهدي القوم الكافرين) العطف لأن الإخبار بنفي هدي الله للكافرين تعليل ثان، والإتيان بلفظ القوم ثم تعقيبه بلفظ الكافرين لإفادة رسوخ صفة الكفر فيهم.

وروي في تحف العقول أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، و(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) ثلاثة متوالية، وواحد فرد، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب بين جمادى وشعبان. انتهى.

والتمثيل بـ (استدارة الزمان) استعارة لمعنى استقرار أحكام الله ومنها إلغاء النسيء.

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) النداء بصفة الإيمان تهيئة وإعداد لما سيأتي من تكليف، والكلام وما بعده يخص الاستعداد للنفير في غزوة تبوك ضد الروم.

قوله (ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) الاستفهام تعجيب وتوبيخ، وإضمار فاعل (قيل) بتقدير أمر النبي ﷺ لهم، أو آيات الله التي تدعو إلى قتال المشركين، وأسلوب الشرط لبيان حال المسلمين حال دعوتهم إلى الجهاد، والنفور هو الخروج بأهبة إلى الجهاد.

و(في) للظرفية المجازية، وسبيل الله كناية عن الجهاد لأنه السبب المؤدي إلى رضاه وجنته سبحانه.

قوله (اثاقلتم إلى الأرض) الجملة جواب (إذا) الشرطية، موقعها الحال، وفعل التثاقل أصله من الثقل وهو الوزن الثقيل الذي لا حركة له، وأدمج التاء مع الثاء لتقارب مخرجيهما واجتلاب همزة الوصل لإمكان تسكين الحرف الأول عند إدغامه. قاله الفراء. انتهى.

وتضعيف صوت الثاء مشعر بمعنى شدة البطء، واستعير لشدة بطء حركتهم وميلهم إلى السكون في الأرض، وتعدية الفعل بحرف الجر (إلى) لأنه بمعنى الإخلاد والميل إلى الاستقرار إلى حوائطهم وظل بيوتهم تكاسلا وتثاقلا عن مشقة الجهاد.

ومراد الصورة توبيخ المسلمين على تباطئهم في تلبية أمر الخروج إلى مجاهدة الأعداء.

قوله (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) الاستفهام إنكاري في معنى تقريع المتثاقلين وتوبيخهم، وفعل الرضا متضمن معنى القناعة بتفضيل الدنيا الفانية على الأخرة الباقية، و(من) للبدل بمعنى: أرضيتم بالحياة الدنيا بدلا من الآخرة، والجملة المنكرة تحمل معنى تعليل تثاقلهم.

قوله (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) الفاء للتفريع، والكلام احتجاج على رضائهم بالدنيا من الآخرة، لذلك أكد نفي ما استقر في نفوسهم من أن الدنيا متاع زائل قليل إذا ما قورنت بنعيم الآخرة الدائم، وحرف الجر (في) بمعنى المقايسة، أي: ما متاع الحياة الدنيا إلا قليل بالقياس إلى الآخرة.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾

قوله (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) الخطاب للمسلمين، والشرط متضمن معنى التهديد الشديد المطلق، و(إلا) مكونة من (إن) الشرطية، ولا النافية، وفعل النفير مجزوم لأنه فعل الشرط، ومعناه الخروج للجهاد، وفعل التعذيب جواب الشرط لذلك جزم، ودلالة تضعيفه التكثير والمبالغة، ونصب العذاب لأنه مفعول مطلق يفيد النوعية، وصفته بالأليم للمبالغة في معنى المؤلم، والوعيد بالعذاب ليس محصورا بمعنى عذاب الآخرة، فربما كان من عذاب الدنيا وأحواله شتى.

قوله (ويستبدل قوما غيركم) الواو لعطف جملة على جملة، لذا جزم فعل الاستبدال، والاستبدال مبالغة في إبدال قوم بقوم لا يتثاقلون في النفرة إلى الجهاد، لذلك نكر لفظ القوم لإفادة النوعية في الطاعة، ويكون ذلك الاستبدال بالتغيير لا بالاستئصال.

قوله (ولا تضروه شيئا) الواو للحال، أي: يستبدلهم في حال هوان أمرهم لأنهم لا أثر لهم ولا قيمة عند الله، وتنكير لفظ الشيء لنفي العمومية في تصور أدناها إلى أعلاها.

قوله (والله على كل شيء قدير) الإخبار يقوم مقام التعليل في قدرته على الاستبدال بوصفه تعالى قادرا على فعل كل شيء.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾

قوله (إلا تنصروه فقد نصره الله) الكلام وعيد بعد وعيد، والشرط متضمن معنى التهديد والوعيد، وضمير الجمع في فعل النصر راجع إلى المسلمين، وضمير الإفراد عائد إلى النبي ﷺ، وإسناد النصر إلى لفظ الجلالة استغناء بالخالق عن المخلوق متضمن معنى التهديد، لأن المؤيد بالله غير محتاج إلى غيره.

قوله (إذ أخرجه الذين كفروا) الظرفية (إذ) تفسير وتعضيد لنصر الله لنبيه، ونسبة الخروج إلى الذين كفروا ـ وهم المشركون ـ مجاز عقلي بعلاقة المسببية لإفادة المبالغة في كونهم هم السبب في خروج النبي ﷺ من داره ومدينته.

قوله (ثاني اثنين) لأنهما كانا اثنين في غار جبل ثور ـ بينه وبين مكة خمسة أميال إلى جنوبيها ـ وصلا إليه للاختباء من لحاق قريش بهما، والمقصود بالثاني هو الرسول ﷺ، وأما الآخر فهو أبو بكر بن أبي قحافة.

قوله (إذ هما في الغار) تفصيل اختبائهما في غار في الجبل أنجاهما الله بمعجزة نسج العنكبوت خيوطها ببابه وأمر حمامتين وقفتا بفم الغار، لإيهام

المشركين باستحالة الولوج إلى الغار، ولذلك ورد هذا الإسهاب في حديث الغار، لأن خروجه ﷺ معجزة وعناية من الله ونجاته بمعجزة ورعاية خاصة، والألف واللام في لفظ الغار للعهد لأنه معلوم للمخاطبين.

قوله (إذ يقول لصاحبه) ضمير القول عائد إلى النبي ﷺ، وسمي الثاني بالصاحب لملازمته السفر مع النبي ﷺ.

قوله (لا تحزن) النهي عن الحزن من قول النبي ﷺ، والحزن أشد الكمد، بسبب قلة الناصر واستطاعة قريش اللحاق بهما والتمكن من معرفة مكانهما والوصول إلى الغار، وإمكان الدخول إليه لولا لطف الله وعنايته بنبيه، فلهذا ينهى النبي ﷺ ـ وليس العكس ـ صاحبه الذي معه في الغار من الحزن والخوف.

قوله (إن الله معنا) جملة تعليل للنهي عن الحزن، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن)، والتصريح بلفظ الألوهية للتعبير عن المعية الإلهية الموجبة للحفظ والأمن، وفي ذلك معنى يقيني بالله لا تفي حقه الكلمات، وذلك من أدب الأنبياء الرفيع الذي يعلّم الله به عباده، يُذكّر بموقف موسى عليه السلام أمام البحر وقد أدركه من ورائه فرعون وجيشه في قوله تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين) [الشعراء ٦١ ـ ٦٢].

قوله (فأنزل الله سكينته عليه) الفاء للتفريع، وإنزال الله مجاز في عنايته ورعايته بنبيه، والسكينة هدوء النفس وطمأنة القلب، وهي شعور خاص

يغمر الله به أنبياءه وأحباءه، ولذلك وردت في آيات القرآن مخصوصة بهذا المعنى، ولهذا خص إنزالها على النبي ﷺ وحده في قوله (عليه) دون صاحبه.

قوله (وأيده بجنود لم تروها) العطف تفريع ثان، بفعل التأييد للنبي ﷺ لأنه هو المخصوص بالكلام، وهو هنا كناية عن النجاة، لأن من يتأيد بالله ظافر منصور، وتنكير لفظ الجنود لإرادة النوعية والتعظيم، والتقييد بنفي الرؤية لإرادة معنى الملائكة لأنه لم يصرح بهم، ولدفع توهم الصورة المعهودة للجنود من الإنس.

قوله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) كنى بـالكلمة السفلى عن اتفاق المشركين في دار الندوة على كلمة واحدة للقضاء على النبي في بيته وهو نائم، ولفظ السفلى مبالغة في صفة الحط والضعة، وليس بمعنى الجهة، والإيراد بالجعل إشارة إلى قدرته سبحانه في التصرف بالأحوال من جهة إلى أخرى غير متوقعة.

قوله (وكلمةُ الله هي العليا) الواو ليست للعطف، ولذلك ارتفع لفظ الكلمة، فلم تعطف (كلمة الله) على (كلمة الذين كفروا)، وليس فعل الجعل عاملا فيها، وإنما الكلام استئناف بالإخبار عن علاء كلمة الله لذلك استعمل القصر فيها.

ولفظ الكلمة إشارة إلى وعده سبحانه لنبيه بالنصر والظفر وإظهار الدين، وضمير الفصل للقصر، وأل العليا قصر ثان، وصفة العليا مبالغة في العلو

والغلبة والتمكن، والآية في قبال التقابل بين المعنيين، فلم تعطف كلمة الله على كلمة الذين كفروا، وليس الفعل: جعل عاملا فيها، بل هي استئناف وثبوت في الإخبار عن علاء كلمة الله كما ذكرنا.

قوله (والله عزيز حكيم) الإخبار بالجملة الاسمية بعزة الله وحكمته تعليل لما سبق، وإشارة إلى أن صفاته هي عين اسمه سبحانه.

والآية في مقام الاحتجاج لعدم النفرة ونصرة النبي ﷺ، فتعرض الدليل على استغناء الله ونبيه لنصرتهم، فقد نصره الله وهو ثاني اثنين من الأعداء المحيطين به وهم في كامل عدتهم وعديدهم.

قوله تعالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (انفروا خفافا وثقالا) بمعنى: هبوا للجهاد جميعا، فالخفاف جمع خفيف كناية عن السرعة لأنه لازم المخف، والثقال جمع ثقيل كناية عن المتباطئ لأنه لازمه، وعلى معنى الإطلاق فكل متعذر بعذر مستلزم للتباطؤ فهو ثقيل بالمعنى، وكلا اللفظين انتصبا على الحال.

قوله (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) تقديم المال للتنبيه في الأمر بالجهاد لأن زمن إطلاق الجهاد كان زمن عسرة لدى المسلمين كما تقدم، وسبيل الله دينه التوحيدي.

قوله (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الفصل تعليل لأمر المجاهدة، واسم الإشارة لعظيم الجهاد، والقيد بفعل العلم كون خير الجهاد ومآله غائب عن إدراكهم.

قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) الكلام من تتمة توبيخ المتثاقلين في الخروج إلى النفرة خلص منه إلى بيان حال المنافقين لذلك عدل بالكلام من خطاب المتثاقلين إلى خطاب نبيه لإخباره عن المنافقين، أي: لو كان مغنما قريب المأخذ سهل التناول وسفرا غير بعيد لسمعوا أمرك وانقادوا لك، والكلام بعد غزوة تبوك.

ولفظ العرض يقال للشيء الزائل الذي ليس بأصل الشيء، ووصفه بالقريب أراد به السهل الأخذ من دون مشقة، والسفر القاصد هو السفر المتوسط غير البعيد، مأخوذ من القصد وهو الاعتدال، واللام المقترن بفعل الاتباع واقعة في جواب (لو)، والاتباع الانقياد لطاعة النبي ﷺ.

قوله (ولكن بعدت عليهم الشقة) الاستدراك ليس لالتماس العذر لهم، بل لتوبيخهم، والمراد تعليل تثاقل اتباع النبي ﷺ بسبب طول السفر وثقل

مشقته، وتعدية فعل البعد بحرف الاستعلاء لتضمنه معنى الثقل، وناسب ذلك لفظ الشقة التي تعني المسافة الطويلة التي فيها مشقة.

قوله (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) إخبار عن المنافقين وتلك صفتهم: القسم الكاذب، وكثرة الأعذار في عدم تلبية الخروج للحرب، وفعل الخروج يعني الخروج لغزو تبوك التي قادها الرسول ﷺ وتخلف عنها المنافقون.

قوله (يهلكون أنفسهم) الجملة موقعها الحال، وفعل الإهلاك مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه حالهم، لأنهم بكذبهم ونفاقهم يقضون بحتمية عقابهم في الدنيا والآخرة وفي ذلك ضرهم وهلاكهم.

قوله (والله يعلم إنهم لكاذبون) إخبار واقع موقع الحال، أي: يفعلون ذلك في حال عدم جدواه، لأن الله يعلم كذبهم ويخبر رسوله بذلك.

قوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣ ﴾

قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم) دعاء للنبي ﷺ بالعفو وهو متعلق بقوله (لم أذنت لهم) أي لم أذنت للمنافقين بالتخلف والقعود، والاستفهام للإنكار، أي: ما كان ينبغي تركهم للركون والتخلف عن اللحاق بكم للقتال، وهو نوع عتاب يراد به معنى أبعد من ظاهره، وهو كشف حيل المنافقين وفضح حالهم، وليس المقصود عتاب الرسول حقيقة.

قوله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) تعليل للاستفهام، أي ليتبين لك الصادقون من المدعين الكاذبين، والخطاب للنبي ﷺ وأريد به أمته، وهو نوع من البيان يراد به افتضاح شأن المنافقين.

قوله تعالى ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الاستئذان هو طلب الإذن، ونفيه عن المؤمنين إثبات لمعنى رغبتهم في الجهاد، فهو إخبار عن استعدادهم الدائم في القتال وتحمل مشاقه، ليست بهم حاجة لأن يستأذنوا في ذلك، وصلة الموصول في قوله (يؤمنون بالله واليوم الآخر) تعليل لنفي الاستئذان.

قوله (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) جملة تفسير لفعل الاستئذان، والمجاهدة بالأموال والأنفس من أخلص مظاهر إيمان المؤمن.

قوله (والله عليم بالمتقين) إخبار بالجملة الإسمية لفائدة التنبيه وإيراد المتقين مراد به التنويه بالمؤمنين بالله واليوم الآخر.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) الحصر بـ (إنما) لقصر المنافقين على الاستئذان، فأثبت كثرة أعذار المنافقين بالتخلف عن الجهاد، ونفي الإيمان بالله واليوم الآخر عنهم، ومتعلق الاستئذان بالجهاد محذوف لأنه سبق ذكره في الآية السابقة.

قوله (وارتابت قلوبهم) الواو للعطف على الصلة، وفعل الارتياب من الريبة وهو الشك نقيض اليقين، وإسنادها إلى القلوب مجاز عقلي للمبالغة، يراد بها اضطراب نفوسهم، والمراد شك المنافقين في النبوة وأحقية رسالة التوحيد.

قوله (فهم في ريبهم يترددون) الفاء لتفريع ترددهم بين الإيمان بالنبي ورسالته وبين استبطان الكفر، وضمير الفصل للتأكيد، و(في) للظرفية المجازية، والريبة شدة الشك، والتردد الحيرة وإيرادها بفعل الحضور للإشارة إلى استمرارها في نفوسهم، وليس الظرف متعلقا تقدم على عامله.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) جملة افتراضية لبيان حال المنافقين، وفعل الإرادة يستعمل للعزم، وفعل الخروج يقال للنفرة إلى الحرب، واللام المقترن بفعل الإعداد واقعة في جواب (لو)، واللام في (له) لتعدية الفعل، وعدة جهاز الحرب.

والكلام إخبار غيبي عن خبث نفوس المنافقين، فلو خلصت نيتهم للخروج لهيأوا نفوسهم وجهزا عدة القتال من خيل وسلاح، واستعدوا للجهاد.

واشتقاق المصدر من فعل العدة تجنيس للفت الأسماع والقلوب، ونفي إرادة الخروج عنهم تكذيب لهم في زعمهم بالخروج مع المسلمين في قوله تعالى (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم).

قوله (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) العطف والاستدراك لتعليل نفي خروجهم، وكراهة الله مجاز في رفع ألطافه عنهم لارتكاسهم في مهالك الضلالة أكثر، والانبعاث شدة المبادرة وهي صفة حسنة في حماس الجهاد كرهها الله لهم فحرمهم منها وخذل نفوسهم، فبعث فيها الكسل وثبطها من اللحاق بنعمة الجهاد، والفاء المقترن في فعل التثبيط للتفريع، والتثبيط التكاسل والتخاذل.

قوله (وقيل اقعدوا مع القاعدين) الواو للعطف على فعل التثبيط، والأمر بلفظ القعود أمر تكويني بمعنى: كوّن فيهم القعود عن الغزو، ومعية القاعدين يراد به مذمتهم، لأن من شأن أهل الزمانة والصبيان والنساء القعود عن الجهاد، والآية والتي بعدها تؤكد حقيقة توجيه التوبيخ والعتاب إليهم في قوله تعالى (لم أذنت لهم) لا إلى النبي ﷺ كما تبين.

قوله تعالى ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ ﴾

قوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) الآية كشف غيبي لخبث ما انطوت عليه نفوس المنافقين، وهي تعليل لكره الله انبعاثهم، وتعدية الخروج بالحرف (في) بدلا من (مع) أسلوب شائع في الاستعمال مع الحرب والجيش، وزيادة الخبال تصوير يفيد التهكم، لأن الزيادة تستوجب النفع للجيش في الحرب لا الاضطراب والتفكك الذي هو معنى الخبال.

قوله (ولأوضعوا خلالكم) أي: ولألقوا بينكم الشائعات وفرقوا جمعكم، ولفظ الإيضاع يعني السرعة، والخلال جمع خلل وهي الفرجة بين الشيئين ويراد بها الجماعات، والكلام تصوير بالاستعارة التمثيلية لتشبيه المنافقين بحال من يركب راحلة يسرع بها ويجهدها لإيصال خبر ما.

قوله (يبغونكم الفتنة) جملة حالية، أي: يفعلون ذلك مبتغين إيقاع الفتنة بينكم، وعدي الفعل بنزع الخافض، وأصله يبغون لكم الفتنة، ولفظ الفتنة تعني الاختلال والفساد في أمور الجيش واضطرابها.

قوله (وفيكم سماعون لهم) ظرفية الحرف (في) وليس (من) للدلالة على أن استماع أراجيف المنافقين يكون من طرفي المنافقين والمسلمين المستعدين للتأثر بهم، وصيغة (سماعون) صيغة مبالغة تفيد تكثير تقبل الإشاعة

والبناء عليها بنقلها والتأثر بها، وتعدية السمع باللام لتضمن الصيغة معنى القبول.

قوله (والله عليم بالظالمين) تذييل وإخبار للتحذير من المنافقين الذين سماهم ظالمين فأنزلهم منزلة المشركين الكافرين.

وفي نهج البلاغة قول الإمام علي عليه السلام في صفة المنافقين: وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألوانا، ويفتنون أفتنانا، ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد. قلوبهم دوية، وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء وصفهم دواء، وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء ومؤكدوا البلاء، ومقنطوا الرجاء، لهم بكل طريق صريع وإلى كل قلب شفيع، ولكل شجو دموع. يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكل حق باطلا، ولكل قائم مائلا، ولكل حي قاتلا، ولكل باب مفتاحا، ولكل ليل مصباحا. يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق. انتهى.

قوله تعالى ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) القسم باللام المشعرة به وحرف التحقيق تأكيد لمعنى سعي المنافقين للفتنة قبل هذه الحادثة، وقد كان لهم أثر سيء في يوم أحد وفي غيرها من الخيانات كخيانة عبد الله بن أبي بن سلول وانسحابه وقومه من أحد وهم ثلث الجيش، والآية تعليل لقوله تعالى (يبغونكم الفتنة).

قوله (وقلبوا لك الأمور) الخطاب للنبي ﷺ، وفعل التقليب بتضعيف الفعل استعارة لكثرة دهائهم بالنظر في باطن الأمور وظاهرها أو للبحث والتفتيش من أجل الكيد بالنبي ﷺ والمسلمين، ومنه قول الإمام علي عليه السلام: الحُوّل القُلّب. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (حتى جاء الحق) مجيء الحق استعارة للنصر على المشركين وغلبتهم.

قوله (وظهر أمر الله) العطف للتقرير والتأكيد، وفعل الظهور استعارة لمعنى غلبة الدين وانكشافه، وأمر الله دينه وقضاؤه في وعد نبيه بالنصر بفتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا.

قوله (وهم كارهون) الواو للحال، وضمير الفصل الجمعي عائد إلى المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، والإخبار واقع موقع الحال، أي: ظهر أمر الله في حال كرههم لذلك.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) إخبار عن بعض المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك بحجة تعلقهم بعلائق مختلفة من الأبناء والأموال، فقطعوا أمرهم بالتخلف وطلبوا الإذن بالقعود دفعا للتأثيم ووقاحة منهم لأنها كلا إذن، ومقولهم بالنهي عن الفتنة بمعنى: لا تغرني بمغانم الحرب، أو بمعنى: لا تبتلني بالحرب.

ولا أدري كيف يسوغ المسوغون لأنفسهم رواية سبب النزول في أن رسول الله ﷺ لما استنفر الناس إلى تبوك قال: انفروا لعلكم تغنمون بنات الأصفر [يعني بنات الروم]، فقام جد بن قيس، أخو بني سلمة من بني الخزرج، فقال: يا رسول الله، ائذن لي، ولا تفتني ببنات الأصفر، فإني أخاف أن افتتن بهن، فقال: قد أذنت لك.

قوله (ألا في الفتنة سقطوا) تفيد (ألا) الاستفتاحية التنبيه، والألف واللام في تعريف الفتنة للجنس، لأن أشكال الفتن شملتهم بمقولهم هذا، كفتنة النفاق وفتنة الجبن والبغض وسوء السمعة، وتدل (في) الظرفية المبالغة في ولوجهم الهوة، وتقديم المتعلق (في الفتنة) على عامله ـ فعل السقوط ـ للعناية والاهتمام لأن الحديث يدور عن الفتنة.

وأسلوب التجنيس الاشتقاقي بين فعل الفتنة ومصدرها لإلفات الأسماع والانتباه إلى هذه المفارقة فهم في الوقت الذي تحرزوا من الوقوع في الفتنة سقطوا فيها من حيث لا يعلمون.

وفعل السقوط استعارة لما ينزل من علو على حين غرة، بتصور تشبيه الفتنة بحفرة بجامع إحاطتها بالساقط فيها فلا يخرج، وهذه صورتهم في الدنيا أخبرت عنهم بفعل المضي.

قوله (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) العطف على ما سبقها لأنها إخبار عن مصير المنافقين في الآخرة بعد الإخبار عن عقابهم في الدنيا، وهو إخبار بهلاكهم الأبدي بالجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن) واللام الواقعة في خبرها، لأن معنى إحاطة نار جهنم بهم دائمة وهلاكهم واقع لا محالة، ولفظ الإحاطة كناية عن تمكن النار منهم فلا يفلتوا منها، وإطلاق صفة الكفر عليهم لأنهم أقرب إليه، لذلك صرّح ولم يستعمل الإضمار.

قوله تعالى ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠ ﴾

قوله (إن تصبك حسنة تسؤهم) الاستئناف لإفادة تفصيل ما سبق، ولفظ الإصابة يراد به الإدراك والتعيين، وإسناد الحسنة أو المصيبة إليه مجاز عقلي بعلاقة المسببية للمبالغة في تكثير المعنى، والحسنة في سياق

المغازي كناية عن الظفر والنصر والمغانم، وجزم فعل الإساءة لأنه جواب الشرط، و(تسؤهم) بمعنى: تغيظهم.

قوله (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) والمصيبة كناية عن القتل والجرح والهزيمة والسبي.

قوله (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) فعل القول جواب (إن) الشرطية، ومقولهم كناية عن الاحتراز في الوقوع بالشر، وفعل الأخذ مستعار للاستعداد إشارة إلى إمساك الحال بالتسلط عليه والتمكن منه.

قوله (ويتولوا وهم فرحون) الواو عاطفة لذلك جزم الفعل بعدها، وفعل التولي معناه الرجوع، وجملة (وهم فرحون) جملة حالية من ضمر الجمع في فعل التولي، أي: ورجعوا إلى بيوتهم شامتين فرحين من الشماتة بالمسلمين ومن السلامة، وفي ذلك دليل على خبث نفوسهم وأن استئذانهم من قبل لنفاقهم لا لمعذرة غيره.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله) الأمر بلفظ القول للنبي ﷺ تلقين جواب من الله ردا عليهم، بان النصر أو الهزيمة تدبير من الله وقضاء منه، وأن أمرنا ليس بمغفول من لدنه سبحانه، وإيراد المعنى بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء تأكيد وقصر، وفي ذلك الجواب ما تطيب له نفوس

المسلمين ويزول به فرح الشامتين، وفعل الكتابة مجاز للاستيثاق في القضاء.

قوله (هو مولانا) جملة موقعها الحال، أي: الله تعالى دون غيره سيدنا ومالكنا الذي يعرف ما يصلحنا لذلك نطمئن إلى ما يقضي لنا ويقدر، وضمير الفصل للقصر.

قوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) إخبار من تتمة التلقين، ويراد به الأمر في التوكل على الله، وجملته معطوفة على جملة (قل)، أي: قل ذلك ولا تتوكلوا إلا على الله دون نصرة هؤلاء، أو معطوفة على جملة (لن يصيبنا) أي: قل ذلك وأخبر المؤمنين بأن يتوكلوا على الله وحده، وتقديم المتعلق على عامله لإفادة الاختصاص، وفي إيراد لفظ المؤمنين إشارة ثناء على المجاهدين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (قل) تلقين جواب ثان من الله تعالى لنبيه.

قوله (هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) حرف الاستفهام للنفي وانتقاضه بالاستثناء لإفادة القصر، وفعل التربص كناية عن القعود

والانتظار والترقب بحصول أمر مرغوب للمنتظِر مكروه للغير، لذلك يعدى الفعل بالباء، وإحدى الحسنيين كناية عن القتل بشهادة أو الغلبة بالنصر فكلاهما حسن بالنسبة للمؤمنين، والكلام يراد به توبيخ المناقين وتخطئتهم.

قوله (ونحن نتربص بكم) جملة خبرية معطوفة على جملة مقول المقول (قل هل تربصون) وإعادة فعل التربص من باب مشاكلة الكلام، فأوردت بالجملة الإسمية، بخلاف تربصهم بالفعل، تقوية للفعل وثبوتا لمعناه ويفيد قوة رجاء حصوله.

قوله (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) جملة تفسير لمعنى تربص المسلمين بالمنافقين، وتنكير لفظ العذاب لتوقع نوعيته في تصوره للأذهان، ويعنون: إصابتهم بعذاب من الله في الآخرة أو بعذاب من المسلمين في الدنيا قتلا أو اسرا أو جراحة، بمعنى الفوز في الحالين، والتأكيد بكون العذاب من عند الله لإفادة تخطئتهم وبيان تهويل العذاب وغضبه عليهم، والترديد في (أو) لرجاء أن يأمر الله أن يكون قتلهم بأيدي المسلمين.

قوله (فتربصوا) الفاء لتفريع الأمر على الإخبار، والأمر بالتربص يفيد التقليل من فعلهم.

قوله (إنا معكم متربصون) الفصل تعليل وإخبار متضمن معنى التهديد، ومن التفنن بالكلام أن يرد فعل التربص أربع مرات إشارة إلى لفت الانتباه.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ٥٣ ﴾

قوله (قل أنفقوا طوعا أو كرها) الكلام رد على بعض المنافقين الذين فضلوا الإنفاق دون النفرة، والأمر في فعل الإنفاق متضمن معنى الشرط، والتخيير في (أو) يفيد التسوية والعموم، ونصب (طوعا وكرها) على النيابة عن المفعول المطلق بمعنى: إنفاق طوع أو إنفاق كره، أي: أنفقوا كما ترغبون لكن إنفاقكم بلا أثر عند الله.

قوله (لن يتقبل منكم) نفي تأبيدي يراد به تعليل أمر الإنفاق، لأنه غير ذي أثر في نفوسهم فما زادها إلا ضلالا، ونفي التقبل أوكد من نفي القبول.

قوله (إنكم كنتم قوما فاسقين) الفصل إخبار وتعليل ثان لنفي قبول الله إنفاق المنافقين، وصفة الفسق صفة لازمة لهم بدلالة الإخبار عنها بالجملة الإسمية، وتعني الخروج ضمنا من ملة الإسلام إلى الكفر، لذلك لا ينفعهم إنفاقهم بهذا المعنى.

قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ ﴾

قوله (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) الكلام تفصيل لتعليل عدم التقبل من إنفاقهم، فعدت الكفر بالله ورسوله أولا مع أنهم يتظاهرون بالإيمان ولكنهم أنزلوا بذلك منزلة الكافر، وتلك من صفات القلوب.

قوله (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) العطف لأن الكلام علة ثانية، والمراد الكناية عن التباطؤ في أداء الصلاة، وإتيان الصلاة وليس إقامتها لإفادة تثاقلهم. وجملة (وهم كسالى) حالية من ضمير الجمع في فعل الإتيان، وتثاقل أداء الصلاة من صفات الجوارح.

قوله (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) أي: ولا يخرجون حق الله في أموالهم من نفس طيبة بل كارهون للإنفاق، وهي كذلك من صفات الجوارح صورتا بأسلوب الحال بالجملة الإسمية لملازمة صفة الكسل مع الصلاة والكراهة مع الإنفاق، وخصوصية ذكر الصلاة والإنفاق لأنهما من أجلى مظاهر المؤمن، وصيغت الآية بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء للتأكيد والاختصاص.

قوله تعالى ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) الفاء تفريع على ما سبق، والخطاب للنبي ﷺ والمراد به إخبار الأمة، وفعل الإعجاب سرور يداخل النفس

لندرة الشيء وهو مدعاة لمعنى الفرح، وزيادة (لا) النافية زيادة في تأكيد النفي.

قوله (إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) تفيد (إنما) الحصر، وهي من أشد أساليب التأكيد، وإرادة الله تعني قضاؤه المبرم، واللام في فعل العذاب للصيرورة المنزلة منزلة التعليل، والباء في (بها) للملابسة، وضمير الهاء عائد إلى الأموال والأولاد، و(في) للظرفية المجازية، ولفظ (الحياة الدنيا) تأكيد لتعجيل عذابهم في حياتهم في عالم الدنيا قبل الآخرة كشدة الشح وفقدان الراحة في الحرص على المال، وهذا المعنى نوع استدراج بالنعم لتعود عليه وبالا نظير قوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين) [الأعراف ١٨٣].

قوله (وتزهق أنفسهم) الواو للعطف على فعل التعذيب تعليل ثان، وفعل الزهوق هو خروج الشيء بصعوبة وشاع بمعنى خروج الروح من الجسد.

وقوله (وهم كافرون) جملة حالية، أي يقبضون إلى الموت بهيأة الكفر، فما ينفعهم التظاهر بالإيمان.

قوله تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله (ويحلفون بالله) والحلف القسم، ولفظ المضارع لاستمرار صدور فعل الحلف منهم، والتصريح بلفظ الألوهية تشديدا منهم لأيمانهم الكاذبة، والإخبار مستمر عن المنافقين.

وقوله (إنهم لمنكم) حكاية للقسم، على سبيل التأكيد بالإخبار بالجملة الإسمية والتأكيدات بأنهم من المؤمنين، لأنهم يعلمون أن المخاطبين منكرون لهم لا يصدقونهم، وحرف الجر في (منكم) للتبيين.

قوله (وما هم منكم) نفي وإخبار إلهي بدخائل نفوسهم، على سبيل الإطلاق بالنفي.

قوله (ولكنهم قوم يفرقون) استدراك على القسم، وتعليل لما يحملهم عليه، وهو الخوف من المسلمين، ولفظ الفرق أشد الخوف ومعناه انزعاج النفس من ضرر متوقع، والإتيان بلفظ القوم لأنه أراد ملازمة الصفة لهم، فلم يخبر بالفعل.

قوله تعالى ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله (لو يجدون ملجا أو مغارات أو مُدَّخَلا لولوا إليه) تفصيل وتصوير لمعنى فرقهم، والمعنى: يتمنون لشدة خوفهم أن يلوذوا إلى ملجأ يتحصنون به أو مغار يتسترون به فلا يراهم أحد أو مدخلا عن الطريق يخفيهم، والمُدَخّل اسم مكان للادخّال الذي هو افتعال من الدخول، وقد يراد به

السرب في الأرض، وهو ما روي عن الباقر عليه السلام. ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (لولوا إليه) اللام في جواب (لو)، وفعل التولية بمعنى: لانصرفوا إليه، والهاء في (إليه) راجع إلى أقرب المذكورات وهو المدخل.

قوله (وهم يجمحون) الواو للحال أي: مسرعين من الخوف لا يصرفهم عنه شيء، والآية تصوير لفَرَق المنافقين من الخروج إلى الغزو، والجموح شدة النفور، واستعمل للسرعة المتلبسة بخوف.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قوله (ومنهم من يلمزك في الصدقات) العطف للكلام عن فئة أخرى من المنافقين متصفة بالشح غير تلك المستأذنة، وحرف الجر في (منهم) للتبعيض، وضمير جمع الغائبين عائد إلى المنافقين.

والخطاب في فعل اللمز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، واللمز كما ذكر الراغب: الاغتياب وتتبع المعايب. انتهى. ويكون باللسان، و(في) للظرفية المجازية، والصدقات ما يرد إلى بيت المال من حقوق توزع على مستحقيها، وقد يراد قدحهم في أعيان الصدقات أو في طريقة توزيعها بتقدير لفظ التوزيع. والمراد: في أمر الصدقات.

قوله (فإنْ أعطوا منها رضوا) الفاء لتفريع الشرط على الإخبار، وإعطاؤهم يكون باستحقاقهم منها، ومعنى رضوا: سكتوا.

قوله (وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) مقابلة في المعنى، وتفيد (إذا) معنى الفجاءة، والسخط أشد الغضب، والآية تصور تمرد نفوسهم في عدم انقيادها إلى الرسول ﷺ، وأن إيمانهم متعلق بمصالح ضيقة.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) تفيد (لو) التمني، أي: ليتهم أخذوا ما أعطاهم الله ورسوله وقالوا كفانا ربنا بما أعطانا ونحن إلى فضله راغبون، وجواب لو محذوف دل عليه المعطوف وتقديره: لكان ذلك خيرا لهم، وفعل الرضى متضمن معنى الأخذ.

قوله (وقالوا حسبنا الله) أي: أبانوا عن غناهم بالله وكفايتهم به وحده دون النظر إلى هذا العرض الزائل، واختص الحسب بالله وحده ولم يذكر معه الرسول لأن ذلك من أدب التوحيد، بينما أسند فعل الإتيان إليه سبحانه وإلى رسوله، لأنه سببه إلى العباد. وفي ذلك تأديب من الله لعباده.

قوله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) السين حرف استقبال، وفعل الإتيان بمعنى الإعطاء، وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم، و(من) للتبعيض. وفضل الله زيادة منه تعالى ومنة على عباده، وعطف الرسول

على اسم الله لأنه سببه في إيصال التبليغ إلى عباده، والحرص على الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالظرف مراعاة للأدب التوحيدي، ولو لم يفصل لأوهم الكلام برجوع الفضل إلى أحدهما، أو لاضطر إلى التثنية وكلاهما مناف لخصوصية التوحيد.

قوله (إنا إلى الله راغبون) الفصل للتعليل، وتقديم المجرور لإفادة معنى القصر بالرغبة إلى ثواب الله لا إلى سواه، بتقدير محذوف وهو المضاف.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾

قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الفصل للابتداء بذكر بيان موارد صرف الزكاة التي سمتها الآية الصدقات بدلالة قوله (فريضة من الله)، والابتداء بـ (إنما) لحصر صرف الصدقات في مواردها المذكورة، والفرق بين الفقير والمسكين في شدة العوز والاحتياج إلى المال، فالمسكين أشد فقرا من الفقير، لأنه لفقره كأنه أسكن من المذلة.

قوله (والعاملين عليها) الواو عاطفة، والمراد بالعاملين عليها الجباة الذين يستلمون الصدقات الواجبة ويصرفونها على مستحقيها، وتفيد (على) معنى التعليل، أي يعملون لأجل الصدقات، وتدل على شدة العمل ومشقته.

قوله (والمؤلفة قلوبهم) وهم الذين تستمال قلوبهم بسهم من الزكاة لاستجلابهم إلى الإيمان بالإسلام ولدفع الشر بهم، ولفظ التأليف من الألفة والمؤانسة ضد الوحشة. والمراد بلفظ القلوب النفوس.

قوله (وفي الرقاب والغارمين) أي: وفي فك الرقاب من عتق وإعانة وفداء أسرى، ولفظ الغارمين من الغرم وهو الخسارة، والمراد بهم الذين أثقلتهم الديون، فيعطى لهم سهم لفكاكه.

قوله (وفي سبيل الله) أي: الصرف في الموارد العامة التي تخدم المجتمع والمسلم، ومنها الجهاد، والخدمات العامة كإصلاح الطرق ونحوها، فكلها سبل موصلة لمرضاة الله.

قوله (وابن السبيل) أي: المسافر الغريب الفاقد الذي انقطع به الطريق فما يملك ما يسد به حاجته ولا عودته.

فهذه ثمانية أصناف لموارد الصرف روعي فيها الترتيب على أساس الأحقية في الصرف، فالأربعة الأولى اقترنت بهم لام التمليك لبيان الاختصاص في التصرف لأن الآية كأنها واقعة في جواب المنافقين اللمّازين في حرمانهم من الصدقات كما توضح، بينما الأصناف الأربعة الأخرى جاءت متأخرة في الترتيب وبصياغة مختلفة بالعدول من لام

التمليك إلى دخول (في) الظرفية عليهم دلالة على استحقاقهم في الصرف. ذكر في الميزان. أه.

وفي الكلام تفسيرات مختلفة لا تخرج عن قوة التمليك والتقديم للأصناف الأولى في تقديم الصرف على غيرها.

قوله (فريضة من الله) لفظ الفرض مصدر منصوب بتقدير فعل محذوف معناه: إنما الصدقات فرضها الله فريضة، والفرض هو الواجب، وهو الزكاة ووجوبها في هذا التصنيف والتقسيم الذي فصلته الآية من أصنافها الثمانية.

قوله (والله عليم حكيم) جملة إخبارية بالجملة الإسمية، دالة على التحقيق والثبوت في العلم والحكمة لله سبحانه في قصر الصدقات على هذه الفئات.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله (ومنهم الذين يؤذون النبي) الضمير عائد إلى المنافقين، ولفظ الأذى يطلق ويراد به الأذى بالقول غالبا، وإذا أفاد أذى الفعل فيراد به الأذى الخفيف، والتصريح بلفظ النبي ﷺ لبيان شناعة مزعم المنافقين.

قوله (ويقولون هو أذن) أورد مقالهم بالجملة الإسمية باعتبار رسوخ هذا المزعم في نفوسهم، ولفظ الأذن كناية عن كثرة الاستماع إلى الغير، وهو من التشبيه البليغ المحذوف الأداة ووجه الشبه للمبالغة في معناه، والجملة من باب ذكر الخاص بعد العام.

قوله (قل أذن خير لكم) الأمر تلقين وتشريف من الله لنبيه في الرد على المنافقين، وإضافة الأذن إلى الخير للدلالة على أن استماعه للآخرين لما ينفعكم وبما يسدد خطاكم، وهو مجاز مرسل بعلاقة التقييد، بتخصيصها بالخير، وهو صرف بياني بديع لما ذموا به النبي ﷺ.

قوله (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) الجمل تقع موقع الصفات للنبي ﷺ لأنها مشعرة بالعدل والإنصاف وآمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، ولفظ الإيمان الثانية بمعنى التصديق لما يأتي به المؤمنون فيرتب عليه أثرا، ولذلك غاير بين الفعلين فجاء في الأول بالمتعلق (بالله) ولم يأت بالثاني بل عداه بلام التمليك على أساس التصديق باستماع المؤمنين.

قوله (ورحمة للذين آمنوا منكم) وأما صفة الرحمة باعتبار انتشال الناس من قعر انحطاط الوثنية إلى علو العمل بتوحيد الله وعدله وقانونه الذي به يسمو الإنسان، أو بمعنى الإغضاء عن المنافقين بإعطاء المهلة لهم حتى يؤمنوا حقا، ويدخل ذلك في باب الترغيب، وتنكير لفظ الرحمة للتعظيم، واللام المقترن باسم الموصول للملك.

قوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) إخبار يراد به التهديد، بدأه بالموصول ليكون علة للعذاب، وفي ذكر لفظ الرسالة بعد ذكر النبوة إيماءة إلى استحقاقهم عذاب الآخرة، ووصف العذاب بالأليم للمبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) أعاد ذكر خلق سيء للمنافقين وهو الاستهانة بالقسم، فهم يقسمون لا إيمانا بالله ولكن لإقناع المسلمين بالتبري مما يصلهم من أذاهم للنبي ﷺ لفرقهم من المسلمين.

وفي الآية عدول من مخاطبة النبي ﷺ إلى خطاب المسلمين تمهيدا لما يأتي بعدها من ذكر لله ورسوله.

قوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) الجملة تقوم مقام الاحتجاج عليهم، والعطف في لفظ الرسالة من باب عطف الجمل بمعنى: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فيكون الخبر محذوفا للتخفيف، ونحو ذلك قول الشاعر:

نحن بما عندنا، وأنت بما عندك راضٍ، والرأي مُختلفُ

ويراد بلفظ الحق في قوله (أحق) الثبوت والرسوخ، قال الطبرسي مفرقا بين (أحق وأصلح): إن الأحق قد يكون من غير صفات الفعل، كقولك: زيد أحق بالمال، والأصلح: لا يقع هذا الموقع، لأنه من صفات الفعل، وتقول الله أحق بأن يطاع، ولا تقول أصلح. انتهى.

وإفراد الضمير في قوله (يرضوه) ـ فلم يقل: يرضوهما ـ لإرادة عوده على لفظ الجلالة دون الرسول لأن ذلك من أدب التوحيد الذي يأبى له أن يعدل به ـ سبحانه ـ أحد، فثمة فرق بين الرضاءين، لأن إرضاء الله يكون بالإيمان به، وإرضاء الرسول يكون بتصديقه وإكرامه ومحبته، قال العلامة الطباطبائي: فإن أمثال هذه الحقوق وكذا الأوصاف التي يشاركه تعالى غيره من حيث الإطلاق والإجراء، له تعالى بالذات ولنفسه ولغيره بالتبع أو بالعرض ومن جهته كوجوب الإرضاء والتعظيم والطاعة وغيرها، وكالاتصاف بالعلم والحياة والإحياء والإماتة وغيرها. انتهى.

وأما ما يتشارك به الرسول وغيره من المؤمنين من أمور فقد خصه الله بالذكر من بينهم تعظيما له كما في قوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون) [البقرة ٢٨٥]، وقوله تعالى: (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) [الفتح ٣٦]، وقوله سبحانه: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا) [التحريم ٨].

قوله (إن كانوا مؤمنين) تعليق وشرط يراد به تهييج إيمانهم وحثهم على السعي إليه، وفيه إيماءة إلى أن التخلي عن رضا الله ورسوله يخرجهم من شرف الإيمان إلى وحل الكفر.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله (ألم يعلموا) الاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ، وفعل العلم يستعمل للتنبيه إلى أمر مهم.

قوله (أنه من يحادد الله ورسوله) المحادة تعني المعاداة والمخالفة، وهي مجاوزة الحد بالمشاقة، وفك إدغامها على لغة الحجاز، والجملة فعل للشرط، وذكر الله وعطف الرسول عليه لبيان عظم منزلة الرسول وتهويل محادته.

قوله (فإن له نار جهنم) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، وجلب (إن) للتأكيد، وتقديم شبه الجملة (له) لأن الحديث عن المخالف المحادي، وخصوص ذكر جهنم للنار لأنها قعر النار وشديد لهبها.

قوله (خالدا فيها) النصب على الحال، ولفظ الخلود يعني دوام البقاء ودلالة الظرفية مجاز لتمكن النار من المحادي.

قوله (ذلك الخزي العظيم) لفظ الإشارة لتهويل العذاب، والخزي يراد به الهوان والذل إذ لا هوان أشد من إدخال النار، ووصفه بالعظم لشدته حتى كأنه يشاهد.

قوله تعالى ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (يحذر المنافقون) استئناف لبيان شأن جديد للمنافقين، ولفظ الحذر معناه: إعداد ما ينفي الضرر، ودلالة المضارع الاستمرار، وقد يراد به هنا معنى الخوف من كشف أمرهم في إنزال سورة بشأنهم، فيكون ذلك سببا في هلاكهم، أو يراد به التظاهر بالحذر استهزاء منهم، فقد كانوا يقولون مثل ذلك حين أخبرهم النبي ﷺ بما يسرون من نفاق، وقيل: إن الآية نزلت في اثني عشر رجلا بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك للفتك به.

قوله (أن تنزل عليهم سورة) جملة تفسير لحذر المنافقين، والتنزيل مجاز في تبليغ النبي بالوحي من مقام الرفعة، والتعدية بحرف الجر (على) بمعنى الاستعلاء والعلو، وقد يراد بمعنى التعليل، أي: لأجلهم.

وتنكير لفظ السورة للنوعية والخصوصية. والسورة آيات الله المتضمنة لكلماته سبحانه مأخوذ من السور مجاز لثبات كلمات الله وصونها من التحريف والتبديل، وفي معنى آخر قال الراغب: وسور المدينة حائطها

المشتمل عليها وسورة القرآن تشبيها بها لكونه محاطا بها إحاطة السور بالمدينة أو لكونها منزلة كمنازل القمر. انتهى.

قوله (تنبئهم بما في قلوبهم) الجملة محلها الصفة للسورة، وفعل التنبئة بمعنى الإخبار، والكشف عما يسرونه من نفاق، والباء في (بما) للملابسة، و(ما) اسم موصول، و(في) للظرفية المجازية، وذكر القلوب مجاز لإفادة النفوس والإدراكات الباطنية لأنها موطن النفاق، وبسبب هذه الآيات تسمى سورة براءة بالفاضحة لأنها أخزت المنافقين وسمتهم للنبي ﷺ وحده بأسمائهم.

قوله (قل استهزؤا) لفظ الأمر بالاستهزاء للتهديد، وليس شرطا أن يراد به معنى الحقيقة لأن ذلك ما حمل كثير من التفسير لصدر الآية في لفظ (يحذر) على أنه التظاهر به استهزاء، بل النفاق في أصله استخفاف وهزء، لأنه إظهار الإيمان واستبطان الكفر فيكون المعنى على سبيل التهديد: قل استمروا بنفاقكم.

قوله (إن الله مخرج ما تحذرون) الفصل تعليل لأمر الاستهزاء، وإخبار مؤكد يراد به التهديد الشديد، ومعنى الإخراج الإظهار، وإيراده باسم الفاعل لمضيه، وقد أعلم الله نبيه بتفاصيل نفاقهم وأسمائهم فأرسل وراءهم وعرفهم بما فعلوا واحدا واحدا، وأبهم باستعمال الموصول (ما) لأنهم أدرى بما حذروا منه، وهو كشف سرائرهم الخبيثة، وفي الكلام تفنن بديعي برد العجز على الصدر فقد بدأ بلفظ الحذر وانتهى به.

قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (ولئن سألتهم ليقولن) اللام موطئة للقسم، و(إن) تفيد الشرط، والخطاب في فعل السؤال للنبي ﷺ، والضمير (هم) عائد إلى المنافقين، ولفظ السؤال يعني محاسبتهم على الطعن والقدح وتناجيهم فيما بينهم من أكاذيب، واللام في (ليقولن) الواقعة في جواب القسم والنون الثقيلة تفيدان التأكيد.

قوله (إنما كنا نخوض ونلعب) والتأكيد بالقصر بلسان حال المنافقين لأنهم استشعروا إنكار النبي ﷺ لما يقولون، والجواب بالخوض واللعب أرادوا به التهرب من مناجاتهم بالكيد له ﷺ، فاعترفوا به ولكن حملوه على جهة اللغو واللعب من دون ترتيب أثر عليه، وذكر الراغب أن: أصل الخوض الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار للأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه. انتهى. واللعب أصله نفي القصد الصحيح عنه.

قوله (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون) التلقين بلفظ القول تشريف للنبي ﷺ وتأييد من الله تعالى، وهمزة الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وتقديم شبه الجملة (بالله) بقصر التعيين ومعطوفاتها لإفادة تعظيم جرمهم بالاستهزاء، والعناية في الترتيب واضحة وإيراد لفظ الآيات من دون الاكتفاء بالله ورسوله زيادة في التفصيل على سبيل تبكيتهم وإخراسهم،

والهزء مزح بخفية، والاستهزاء ارتياد الهزء وتعاطيه، وهو يدل على الخبث لأنهم وقفوا على صحة الأمر ثم هزؤا بها واستخفوا.

قوله تعالى ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قوله (لا تعتذروا) الفصل في الجملة لأنها في مقام توبيخ المنافقين، وهو ما يستدعي القطع، والنهي عن الاعتذار يراد به التهديد والتيئيس، وفي معناه التسوية في وجود الاعتذار أو عدمه.

قوله (قد كفرتم بعد إيمانكم) تعليل لنفي قبول الاعتذار منهم وتيئيسهم، لتلبسهم بما هو أشد من النفاق وهو الكفر، وإضافة الإيمان إلى ضميرهم من دون لام التعريف تعريض بهم لأنه إيمان ظاهري لم يمس قلوبهم، ونظيره قوله تعالى (كفروا بعد إسلامهم) [التوبة ٧٤].

قوله (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) الشرط لإفادة معنى الترغيب بالرجوع إلى التوبة وطلب العفو، ولذا تقدم في فعل الشرط، وجوابه ورد في معنى الترهيب وذلك أسلوب قرآني شائع، والالتفات من خطاب المنافقين إلى ضمير التكلم لإفادة كمال القدرة.

قوله (بأنهم كانوا مجرمين) الباء للسبب، والإخبار بإجرامهم تعليل للشرط، والمجرمون فاعلو الإجرام، وسمي المنافقون به.

قوله تعالى ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ ﴾

قوله (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) الفصل تعليل لما سبق من ترك بعض المنافقين، لذلك ذكرت المنافقات، والكلام في بيان الصفات العامة للمنافقين.

والإخبار بالتبعيض مجازي والمراد ولايتهم لبعضهم وأنهم من سنخ واحد من سوء السريرة وخبث النفس وسوء الفعل.

قوله (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) الفصل لاتحاد المعنى وتأكيده، والجمل الفعلية صفات مبينة لمعنى استوائهم في سلوكهم وأحوالهم، وبين الجمل تقابل بديعي.

قوله (ويقبضون أيديهم) الجملة صفة ثالثة للمنافقين. ولفظ القبض ضد البسط، وقبض الأيدي كناية عن شح النفس النابع من قساوة القلب، وهو من مظاهر المنافقين الذي اتضح فيما سبق في لمزهم بالصدقات.

ومن هذه الكناية قوله عليه السلام في نهج البلاغة: ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة. انتهى.

قوله (نسوا الله فنسيهم) فعل النسيان كناية عن الترك والإهمال، وعلى هذا يؤول معنى نسيان الله لهم، إذ لا يصح عليه سبحانه إمضاء ظاهر الفعل، وإنما المراد تفريع المجازاة على أعمالهم.

قوله (إن المنافقين هم الفاسقون) الفصل والقطع للتعليل، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة والقصر بضمير الفصل (هم) وتعريف الفاسقين لثبوت معنى الفسق فيهم، والإظهار للفظ المنافقين مع إمكان الإضمار زيادة في التقرير.

قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) الكلام في مقام التبيين لمعنى ما تقرر من فسق المنافقين في الآية السابقة، لذلك وقع الفصل والاستئناف.

ولفظ الوعد يطلق فيما ينفع ويضر، والوعيد أخص منه في المعنى إذ يطلق في التهديد والتنذير خاصة، ويفيد إسناد الوعد إلى الله حتمية تحقيقه، لذلك ورد بصيغة الماضي، وعطف الكفار عليهم إشارة إلى أنهم جميعا في منزلة واحدة، و(نار جهنم) مفعول ثان، وإضافة النار إلى جهنم للمبالغة والتهويل.

قوله (خالدين فيها) أي: في حال من دوام البقاء في نار جهنم.

قوله (هي حسبهم) أي: النار ملازمة لهم، كفيلة بهم، إخبار يراد به التهكم، وضمير الفصل للقصر، والحسب الكفاية.

قوله (ولعنهم الله) زيادة في معنى العذاب، لأن اللعن دعاء معناه الطرد من رحمة الله.

قوله (ولهم عذاب مقيم) تقديم المجرور لأنهم أصل الحديث، وإسناد لفظ الإقامة إلى العذاب للمبالغة بكونه دائما لا يزول.

قوله تعالى ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله (كالذين من قبلكم) الخطاب لمشركي مكة، والتشبيه بمعنى وعده سبحانه لهم على النفاق والاستهزاء كما وعد الكافرين قبلهم، وإيراد الموصول لإرادة عموم الأمم السابقة التي امتلكت من الأسباب ما تصورت أنها باقية لا تزول كعاد وثمود.

قوله (كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا) تفصيل لحال الكافرين، والمراد نفي التعجيز عن إرادة إهلاكهم، لأن هذا تمثيل بمن امتلك أسباب القوة والأمن من المال والأولاد فلم يدفعوا عن أنفسهم غائلة الخسران فكيف وهم أضعف حالا ممن سبقهم من الكافرين؟ ونصب ألفاظ القوة والأموال على التمييز، ولفظ الأولاد عطف على التمييز.

قوله (فاستمتعوا بخلاقهم) تفريع على قوله (كانوا أشد منكم قوة) من معنى قوتهم، ولفظ الاستمتاع ما تلتذ به الأنفس من أنواع الاستلذاذات، والمراد بيان الحال المتشابهة، والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه. قاله الراغب. انتهى.

قوله (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) الفاء الرابطة وليس الواو العاطفة لتفريعها على قوله (كالذين من قبلكم)، والإطناب بذكر ما بعدها لزيادة الاهتمام بحالة المماثلة لكلا الفريقين، لذلك لم يكرر الإطناب في قوله (وخضتم كالذي خاضوا) ولفظ الخوض يكون في ذكر الأباطيل وتخرص الأكاذيب من الشرك والاستهزاء ونحوه، والمراد: تشبيه خوض المنافقين بمن سبقوهم من الكافرين.

قوله (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لفظ الإشارة بالبعيد تمييز لهم وجمعهم على حال سواء من حبط الأعمال وخسران النفوس، وحبط الأعمال يكون بانعدام آثارها في الدنيا والآخرة.

قوله (وأولئك هم الخاسرون) والذكر الثاني ـ دون الحذف ـ للمسند إليه في لفظ الإشارة (أولئك) زيادة في التأكيد واستحقاقهم للخسران، وضمير الفصل (هم) لقصر الخسران عليهم، وأل الخسران قصر ثان، وفي هذا الإخبار تعريض شديد بالمنافقين.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) الكلام في مقام بيان التفصيل بضرب الأمثلة بالأمم السابقة. والاستفهام بالهمزة مع النفي لإرادة التقرير، ولفظ النبأ تقال في الحدث المهم، إشارة إلى ما أصاب الأمم السابقة من هلاك، قال الراغب: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام. انتهى. والمقصود بإتيان النبأ تبليغهم بالخبر، ومعنى الظرف (من قبلهم) مجاز المراد به أسبقية الأمم عليهم بالزمن.

قوله (قوم نوح) بدل من (من قبلهم). ونسب لفظ القوم إلى النبي نوح لأنهم أول أقوام البشرية تسموا باسمه فلم ينسبوا إلى مكان أو لقب، وهلكوا بالغرق بالطوفان العظيم.

قوله (وعاد) هم قوم هود وهلكوا بريح صرصر عاتية.

قوله (وثمود) وهم قوم صالح، قضوا بعذاب الرجفة.

قوله (وقوم إبراهيم) وهم كلدان بابل أهلك الله مَلِكهم النمرود وسلب عنهم النعمة.

قوله (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكهم الله بالصيحة.

قوله (والمؤتفكات) من الائتفاك وهو الانقلاب، وهي قرى قوم لوط، قلب الله تعالى عاليها سافلها حول البحر الميت.

قوله (أتتهم رسلهم بالبينات) الاستئناف تعليل وتفصيل لمعنى قوله (نبأ الذين من قبلهم)، والبينات من التبيين والظهور، كناية عن الدلائل الصادقة بصحة نبوتهم ورسالاتهم، وجمع تلك الأقوام بلفظ الجمع (رسلهم) إشارة إلى تشاركهم بذات السبب وهو الإصرار على الضلال، والظرف (بالبينات) محله الحال.

قوله (فما كان الله ليظلمهم) الفاء لتفريع النفي على التعليل، وصياغة الجملة بالكون المنفي مع لام الجحود الداخلة على خبرها، لإفادة تأكيد النفي، بمعنى: ليس من شأن الله الظلم بأي حال من الأحوال.

قوله (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الاستدراك لإعادة معنى الظلم عليهم مجازاة لأعمالهم فكانوا بذلك هم من أوقع الظلم على أنفسهم، ولذا قصرها بتقديمها على عاملها (يظلمون).

قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

قوله (والمؤمنون والمؤمنات) تقابل قوله تعالى (المنافقون والمنافقات)، وقوله (بعضهم أولياء بعض) تقابل قوله (بعضهم من بعض)، وقوله (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) في مقابل قوله (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف).

قوله (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وخص الصلاة والزكاة بالذكر لشرفهما عند الله ولأنهما من تمام إيمان المؤمن.

قوله (ويطيعون الله ورسوله) ولفظ الطاعة شامل لمعاني الخير، وطاعة الله بطاعة رسوله لأنه لا ينطق إلا عنه تعالى.

قوله (أولئك سيرحمهم الله) لفظ الإشارة لتمييزهم بعظم شأنهم، والإخبار عنهم بالرحمة يقابل قوله تعالى عن المنافقين (نسوا الله فنسيهم).

قوله (إن الله عزيز حكيم) تذييل وتعليل لرحمته لهم، وإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة لثبوت معنى العزة والحكمة لله، وإظهار اسم الله في موقع الإضمار للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) الكلام استئناف تفصيلي لقوله تعالى (سيرحمهم الله)، وهي تقابل قوله (وعد الله المنافقين والمنافقين)، وقد مر تفصيل صور الجنات التي تجري الأنهار في كثير من المواضع. ولفظ الجنات مفعول ثان لفعل الوعد، وجملة الجري موقعها الصفة للجنات، واستعمال الإظهار للفظ المؤمنين والمؤمنات بدلا من الإضمار لإفادة ترسيخهم في الذهن وتقرير حالهم.

قوله (ومساكن طيبة) الواو عاطف إلى قوله (جنات)، والمسكن مكان المبيت الذي به يسكن المرء ويأمن، ووصفها بالطيبة لنفي ما يشينها من خبث، فلا أذى فيها، ولا وصب، ولا نصب.

قوله (في جنات عدن) تخصيص من عموم لفظ الجنات، وتفيد (في) الظرفية المجازية، ومعنى العدن الخلد والاستقرار المستمر، وخصوصية إضافة الجنات إليها زيادة في التنويه، لأنه قيل: إنها بطنان الجنة، أو مدينة

في الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء، وأئمة الهدى وحولهم الناس، والجنان حولها، وقيل: إن عدنا أعلى درجة في الجنة. وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها، وهي مغطاة من يوم خلقها الله عز وجل، حتى ينزلها أهلها الأنبياء، والصديقون والشهداء، والصالحون، ومن شاء الله، وفيها قصور الدر واليواقيت، والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش، فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: عدن دار الله التي لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، يقول الله عز وجل: طوبى لمن دخلك. نقله الزمخشري في الكشاف، والثعلبي في تفسيره، والطبرسي. انتهى.

قوله (ورضوان من الله أكبر) جملة عطف على جملة (وعد الله المؤمنين) والرضوان صيغة مبالغة تفيد تكثير معنى الرضا، ووصفها بأنها أكبر لأفضليتها بوصفها أعلى مقاما من الجنات ذاتها، لأن رضوان الله أصل كل خير يأتي المؤمن. وتنكير اللفظ لإفادة تعظيمه.

قوله (ذلك هو الفوز العظيم) لفظ الإشارة بالبعيد للتمييز والتعظيم لمقام الرضوان، وضمير الفصل (هو) يفيد قصر الفوز عليه، وأل الفوز قصر ثان، ووصفه بالعظم لكبر شأنه، قال الراغب: وعِظَم الشيء أصله كبر عظمه ثم استعير لكل كبير فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا، عينا كان أو معنى. انتهى.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾

قوله (يا أيها النبي) نداء تشريف وتعظيم له ما بعده من تكليف، وفي الكلام رجوع بالخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (جاهد الكفار والمنافقين) لفظ المجاهدة بذل الوسع والمراد به قتالهم، وعطف المنافقين على الكافرين لأنهم بمنزلة واحدة من الخطر الوجودي للإسلام، وقيل: إن جهاد المنافقين يكون باللسان وباليد وبالإعراض عنهم حتى ينتهي إلى القتال، وقيل غير ذلك.

قوله (واغلظ عليهم) ولفظ الغلظة استعارة للقساوة، وحرف الجر (على) مجاز بمعنى تسليط الغلظة عليهم للتمكن منهم، والأمر بذلك لأن الرحمة أكثر الصفات التي عرف بها الرسول.

قوله (ومأواهم جهنم) ولفظ المأوى ما يرجع إليه المرء من المكان، أورده بصيغة الإخبار باعتبار ثبوت المعنى، ويريد كلا الفرقين من الكفار والمنافقين.

قوله (وبئس المصير) دعاء بالذم، لهذا المآل الشنيع. والتغاير بين المأوى والمصير نوع تفنن في الكلام.

قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

قوله (يحلفون بالله ما قالوا) الآية تخبر عن بعض ما تسار به المنافقون من سب النبي ﷺ أو التآمر عليه بقتله، أو الغدر كابن سلول حين تهدد المسلمين.

قوله (ولقد قالوا كلمة الكفر) تأكيد بالقسم وحرف التحقيق ردا عليهم، والمراد بالكلمة المجاز المرسل بعلاقة الجزئية أي أطلق الكلمة وأراد مقالهم فيما يناقض الإيمان.

قوله (وكفروا بعد إسلامهم) العطف للتأكيد، وإضافة الإسلام إلى ضميرهم إشارة إلى أنه غير الإسلام الذي آمن به المؤمنون، فهو صوري لا يترتب عليه أثر في سلوكهم.

قوله (وهموا بما لم ينالوا) ولفظ الهم اشبه بحديث النفس بتقليب الفعل وليس من العزم في شيء، وقيل في الإبهام باسم الموصول (ما): أنهم هموا باغتيال النبي ليلة العقبة والتنفير بناقته، ولم ينالوا ذلك، أو قيل: بإخراجه

من المدينة ولم يبلغوا ذلك، أو قيل: هموا بالفساد والتضريب بين أصحابه ولم ينالوا ذلك.

قوله (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) أي: نقموا فيما ليس بموضع للنقمة، لأنهم قابلوا فضل الله ورسوله عليهم بالجحود والنكران، والكلام من أسلوب المدح بما يشبه الذم.

وإفراد الضمير في قوله (فضله) وليس: فضلهما، لأن ذلك من أدب التوحيد، لأنه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيما لله، ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول: من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى، ومن عصاهما فقد غوى: بئس خطيب القوم أنت فقال: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قل: ومن يعص الله ورسوله. نقل عن الكشاف بتصرف، وذكر في المجمع بنصه، والرازي على تغيير بسيط. انتهى.

وهكذا القول في قوله سبحانه: (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فأسند فعل الرضى إلى هائه سبحانه، وقيل: إنما لم يقل من فضلهما، لأن فضل الله منه وفضل رسوله من فضله.

قوله (فإن يتوبوا يك خيرا لهم) الفاء لتفريع الشرط. وأسلوب الشرط ترغيب لهم بالعودة إلى التوبة وطلب العفو، قدمه أولا لأنه سيعقبه الترهيب على عادة الأسلوب القرآني، وجوابه (يك خيرا لهم) و: يك على التخفيف بمعنى (يكن)، ولفظ الخير بمعنى عموم النفع لهم، وتنكيره يفيد التكثير.

قوله (وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) لفظ التولي هو الرجوع ويراد به الإعراض وعدم القبول، وإيراد مفعول الفعل (عذابا) للتأكيد بالتهديد، وعذاب الدنيا يكون بالغم والحسرات، وعذاب الأخرة يكون بالنار.

قوله (وما لهم في الأرض من ولى ولا نصير) لفظ الأرض بالتعريف يراد به المدينة، لأن الكلام عن المنافقين، والولي هو المحب الذي يرغب بهم، والنصير من يدفع عنهم العذاب، وزيادة حرف الجر (من) و (لا) تأكيد لعزلتهم ووحدتهم في نزول العذاب بهم.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قوله (ومنهم من عاهد الله) العطف على الآيات السابقة التي بدأت بقوله (ومنهم) في بيان أحوال المنافقين، والكلام متصل بالحديث عن أحوالهم وتعاطيهم مع موضوع الصدقات وهذه الآيات الكريمة تذكر طائفة امتنعت من إيتاء الصدقات، وأخرى عابت موسري المؤمنين لاستجابتهم لنبيهم.

وقيل: نزلت الآية في ثعلبة بن حاطب ـ وهو من الأنصار ـ كان قد سأل الرسول ﷺ ـ أن يدعو له بالرزق الكثير كي يتصدق به على المؤمنين، فلما رزقه الله بخل وامتنع من أداء الزكاة، والخطاب ورد بضمير الجمع لإفادة كونه ظاهرة تتكرر، أو لأنه أثر في قبيلته فتبعوا فعله.

و(من) للتبعيض، للبدء في تصوير بعض من أشكال سلوكهم وكشف دخائلهم، و(من) في قوله (من عاهد الله) اسم موصول، ولفظ التعاهد يعني إعطاء العهد لله على النفس بأداء شيء بالقسم بالله.

قوله (لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) بيان فحوى العهد المقسم به. أورد بلسان حالهم، بصيغة القسم الداخل على الشرط بالقطع على النفس بالتنفيذ. وفعل الإتيان للإعطاء ويقصد به وصول فضل الله ورزقه إليهم، وتوحي لفظ الفضل بالزيادة بالرزق.

واللام في قوله (لنصدقن) واقعة في جواب القسم للتأكيد ولذا اتصلت بالفعل نون التوكيد الثقيلة، واصله: لنتصدقن، وحذفت التاء وأدغمت مع الصاد للتخفيف في النطق، والمراد إعطاء الزكاة مما توجب عليهم على وفق الأحكام الفقهية المبينة.

قوله (ولنكونن من الصالحين) الواو عاطف لدخول فعل الكون في جملة القسم في الحكاية القرآنية، واختيار الصالحين باعتبار تلبية الأحكام يدخل في مجموع أهل الصلاح.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ ﴾

قوله (فلما آتاهم من فضله) الفاء للتعقيب، استجابة لدعوة دعاها النبي ﷺ لهم بالرزق على أساس العهد الذي قطعوه على أنفسهم، وأضمر فاعل

الإتيان اعتمادا على التصريح به في لفظ المعاهدة، أو لمعلوميته، و(من) للتبعيض، أو للتبيين، والفضل زيادة الرزق.

قوله (بخلوا به) جواب (لما) ومعنى البخل الإمساك عن إعطاء الحق من الزيادة في الرزق الموجبة للزكاة، والضمير في (به) عائد إلى لفظ الفضل.

قوله (وتولوا) إخبار عن نكثهم للعهد، أي: رجعوا عن قولهم عما أقسموا بالعهد لله ورسوله.

قوله (وهم معرضون) جملة حالية إخبارية بالجملة الإسمية للدلالة على تمكن معنى الإعراض من نفوسهم، والإعراض كناية عن تجاهلهم للقسم والعهد الذي قطعوه على أنفسهم بإعطاء الزكاة.

قوله تعالى ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

قوله (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) الفاء سببية، وضمير الفاعل مستتر عائد إلى بخلهم، على سبيل المجاز العقلي بعلاقة السببية، ولفظ العقب معناه الإتيان بشيء عقيب شيء، فالإعقاب معناه الإيراث، فيكون المعنى: جعل عقب بخلهم النفاق في قلوبهم، وكشف عن غيبه تعالى بأن أخبر عن موتهم على النفاق في قوله (إلى يوم يلقونه)، وجعل النفاق في قلوبهم على سبيل الاستعمال المجازي ويراد به الإدراكات الحسية.

قوله (إلى يوم يلقونه) أي: إلى يوم القيامة، فهو يوم لقاء الخلق به تعالى على سبيل المجاز، والإخبار وعد غيبي منه تعالى بأنهم يموتون على النفاق.

وقوله (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) الباء يفيد السبب، وتحدد بهما سببان: الأول: الإخلاف في الوعد الذي قطعوه على أنفسهم لله بإيتاء الصدقات، والآخر كذبهم المتأصل في نفوسهم، وهذان داعيان رئيسان للنفاق، قال الرسول ﷺ: للمنافق ثلاث علامات: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان. ذكر في المسانيد المختلفة. انتهى.

قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾

قوله (ألم يعلموا) الاستفهام انكاري يفيد التقرير والتوبيخ، ولفظ الإعلام للتنبيه من الغفلة.

قوله (أن الله يعلم سرهم ونجواهم) جملة تفسير، وفعل الحضور (يعلم) لأن الأشياء دائما حاضرة بين يديه سبحانه، والسر ما يضمره المرء في نفسه، والنجوى ما يتناجون به من حديث خفي، والعطف على السر مع أنه أعم منه للتأكيد بأن الله مطلع على ما يتناجى به المنافقون من كيد وكذب.

قوله (وأن الله علام الغيوب) من الإطناب الذي يفيد التأكيد، لأن السر والنجوى داخلة في معنى الغيوب، فهو من ذكر العام بعد الخاص، وصيغة

(علام) للمبالغة في تكثير معنى العلم، وفي الآية إخبار متضمن معنى التهديد للمنافقين.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾

قوله (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) اسم الموصول مبتدأ وخبره جملة (سخر الله منهم). فعل اللمز هو القول بما يعيب ويقدح، والضمير فيه عائد إلى المنافقين.

ولفظ المطوعين أصله الطوع وهو الانقياد، والتطوع تكلف الطاعة، والمطوعون ـ بحذف التاء وإدغامها بالطاء لغلبتها عليها ـ هم الذين روضوا أنفسهم على الطاعة، وأكثر استعماله في المندوبات لأنه مما لا يشق على النفس إن فعلته ولا يذم على تركه إن تركه. والمراد: أن هؤلاء الموسرين من المؤمنين لسعتهم يؤتون الزكاة على طوع وعن طيب خاطر ورغبة فلا يجدون مشقة في إعطائها، ولذلك امتدحوا بأنهم (من المؤمنين) هي حجة أخرى على المنافقين في لمزهم.

قوله (والذين لا يجدون إلا جهدهم) الواو للعطف على ما سبق، أي: ويلمزون الذين لا يجدون إلا طاقتهم، فيتصدقون بالقليل من الزكاة، وروي

في مسند ابن حنبل وغيره عن النبي ﷺ أنه سئل فقيل: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال جهد المقل. انتهى.

قوله (فيسخرون منهم) الفاء لتفريع خبر على خبر، وفاعل السخرية اللمازون، و(من) في (منهم) للابتداء، وضمير جمع الغائبين راجع إلى المؤمنين في (الذين لا يجدون إلا جهدهم)، وسخريتهم تكون بهزئهم من المؤمنين.

قوله (سخر الله منهم) جملة السخرية محلها الخبر للابتداء، وسخرية الله مجاز يراد به استدراجهم ليكون مآلهم عذاب النار، لذلك تعقب بالإخبار المؤكد بالقصر في قوله (ولهم عذاب أليم)، أي: عذاب مؤلم.

قوله تعالى ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ ﴾

قوله (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) القطع لإفادة إطلاق الحكم، والأمر بطلب المغفرة لهم ثم النهي عنه خطاب للنبي ﷺ للتسوية، لإعلام الأمة عن حال المنافقين ومآلهم، مبالغة في تأييسهم من المغفرة، بأنه لو طلبها طلب المأمور بها، أو تركها ترك المنهي عنها، لكان ذلك سواء في أن الله تعالى لا يفعلها.

قوله (إن تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم) تشديد بتبئيس نفوسهم بتنوع الأساليب الإنشائية والخبرية، بالنفي المؤكد بدلالة (لن) المفيدة لنفي ما يستقبل من الزمان، ولفظ السبعين يراد به تصوير الكثرة لا تحديد العدد.

قوله (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) تعليل بالإخبار عن ثبوت كفرهم بالله ورسوله. وأنزلوا منزلة الكافر لأن سبيلهم واحد، والباء في (بأنهم) بمعنى: لأنهم.

قوله (والله لا يهدى القوم الفاسقين) العطف تعليل ثان، والإتيان بصفة الفاسقين لتعليل نفي هدي الله تعالى لهم، وسموا بالفسق لخروجهم من زي الإيمان وقوانين الله في شريعته السمحاء.

قوله تعالى ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

قوله (فرح المخلفون بمقعدهم) الفرح حالة وجدانية من السرور، والمخلفون هم المتروكون، وحرف الباء لبيان السبب، المقعد مصدر كالقعود، والمراد: فرحهم بالقعود عن القتال وملازمتهم بيوتهم.

قوله (خلاف رسول الله) نصب لفظ الخلاف على الحال، أي: مخالفة للنبي ﷺ، ويمكن أن تكون بمعنى (بعد)، والتصريح بلفظ الرسول للإشعار بجرم خلافهم.

قوله (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) العطف على الحال، والجملة موقعها حال ثانية، ولفظ الكراهة دلالة على طباعهم النافرة من أمر الجهاد، وفي الآية مقابلة وجدانية للمنافقين في تصوير حالاتهم النفسية من فرح وكره.

قوله (وقالوا لا تنفروا في الحر) الواو للعطف على جملة (فرح)، ومقالهم يراد منه تثبيط عزائم الخارجين إلى الجهاد، وفعل النفرة كناية عن السرعة، وكان صادف مسير النبي ﷺ إلى تبوك في الحر.

قوله (قل نار جهنم أشد حرا) أمر القول للنبي ﷺ رد عليهم، بأسلوب الإخبار المؤكد بالجملة الإسمية لأنه أثبت للمعنى، ومتضمن معنى التهديد، وفيه عدول عن مخاطبتهم تجاهلا لأمرهم بالإخبار عما ينتظرهم من عذاب واقعين فيه، ونصب لفظ الحر على التمييز من اسم التفضيل (أشد).

قوله (لو كانوا يفقهون) تمني يفيد النفي، والفقه أخص من العلم، فهم لا يفهمون مآلهم وما ينتظرهم من حر النار التي هي أولى بالحذر منها.

قوله تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٨٢ ﴾

قوله (فليضحكوا قليلا) الفاء للتفريع، والكلام كناية عن فرحهم المؤقت في الدنيا، والأمر مجاز يفيد التهديد.

قوله (وليبكوا كثيرا) كناية عن حزنهم الدائم الذي يستدعي بكاءهم يوم عذابهم في الآخرة.

وفي الكلام تقابل لافت يذكر بتناقض أحوالهم في فرحهم بسلامتهم من القتال وكراهتهم للجهاد والإنفاق في سبيله، وروي في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا. ذكر في الصحاح والأسانيد والسنن. انتهى.

قوله (جزاء بما كانوا يكسبون) تعليل لأمر البكاء، لأن فيه معنى العذاب الشديد، وصيغة الكون الماضي ثم الإتيان بـ (ما) الموصولة وفعل الحضور صيغة قرآنية متكررة، تفيد تمكن مضي الفعل من فاعله وثبوته، و(ما) تختزل أحداث الفعل، أما الفعل المضارع فيشير إلى تكراره منهم واستمراره، فيكون معنى الجزاء هنا: بسبب أعمال نفاقهم الماضية التي تكرر فيها الكسب.

قوله تعالى ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

قوله (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم) الفاء للتفريع، والخطاب للنبي ﷺ، ولفظ الرجوع يعني العودة من السفر من غزوة تبوك، وإسناده إلى لفظ الجلالة إشعار بالمن والرعاية لنبيه، ويعني بالطائفة جماعة من المنافقين، ويبدو من سياق الكلام أنها نزلت والرسول في سفره إلى تبوك ولما يرجع بعد إلى المدينة.

قوله (فاستأذنوك للخروج) الفاء للتفريع، وليست هي الرابطة في جواب (إن) الشرطية، والمراد بلفظ الخروج المشاركة مع المسلمين للقتال في غزوة أخرى.

قوله (فقل لن تخرجوا معي أبدا) الفاء واقعة في جواب الشرط، وتأبيد النفي لحرمانهم من المشاركة بفضل الجهاد.

قوله (ولن تقاتلوا معي عدوا) تأكيد أخص في المعنى من السابق، وتنكير لفظ العدو لإرادة العموم، بمعنى: أي عدو.

قوله (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة) الإخبار المؤكد بـ (إن) تعليل للنفي السابق وتوبيخ لهم، وأراد بالقعود أول مرة تخلفهم السابق وتعذرهم عن القتال.

قوله (فاقعدوا مع الخالفين) الفاء لتفريع الأمر على التعليل، والأمر حقيقي، ويعني بالخالفين من يخلفه الغازي في أهله، والمراد: الكناية عن الصبية والنساء وأهل العاهات المزمنة، والمراد بذلك: إهانتهم كونهم ليسوا بأهل

لأمر الجهاد، لأن عذر الخالفين مقبول، بينما هم لا عذر لهم سوى نفاقهم وإحداث الفتن فيما لو سمح لهم بالخروج كما مر.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) في الكلام نواه موجهة للنبي ﷺ عن الصلاة والدعاء لمن مات من المنافقين لرفع شرف ذلك عنهم، وتمييزهم بالضعة ليكونوا عبرة لغيرهم، وتنكير لفظ الأحد للعموم، وحرف الجر (من) في (منهم) للتبيين، والظرف صفة لأحد. وفعل الموت صفة ثانية، ونصب لفظ التأبيد على الظرفية من فعل الصلاة.

قوله (ولا تقم على قبره) عطف ونهي، وفعل الإقامة على القبر كناية عن الدعاء للميت، وفيه دلالة على أن الرسول ﷺ كان يصلي على موتى المسلمين ويقوم على قبورهم للدعاء لهم، ولو كان ذلك غير مشروع أصلا لنهاه الله عن ذلك.

قوله (إنهم كفروا بالله ورسوله) الإخبار بكفرهم بالله وسوله يراد به التعليل للنهي، وذلك لأنهم كفروا بنفاقهم بالله وبالرسول.

قوله (وماتوا وهم فاسقون) العطف لأنه تعليل ثان، وهم أنهم قضوا على حال من الفسق يخرجهم أصلا من ربقة الإيمان.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

قوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) نهي معطوف على نهي، والخطاب للأمة من خلال نبيها الأعظم، وفعل الإعجاب سرور يداخل النفس لندرة الشيء وهو مدعاة لمعنى الفرح، وخص الأولاد والأموال لأن بهما يتسلط المتسلطون، ونظير الكلام تقدم في السورة في الآية الخامسة والخمسين، وقد كان فيها التفريع لا العطف، وزيادة (لا) النافية بعد النهي لتأكيد النفي في قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم)، بينما الجمع هنا لإفادة التحقير في عيون المسلمين.

قوله (إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) الفصل لتعليل النهي، وتفيد (إنما) الحصر، وهي من أشد أساليب التأكيد، وإرادة الله تعني قضاؤه المبرم، و(أن) بمعنى: لأن، وهي لام الصيرورة المنزلة منزلة التعليل، والباء في (بها) للملابسة، وضمير الهاء عائد إلى الأموال والأولاد، و(في) للظرفية المجازية.

ولفظ الدنيا صفة لموصوف محذوف تقديره: الحياة الدنيا، وذكرها تأكيد لتعجيل عذابهم في حياتهم في عالم الدنيا قبل الآخرة كشدة الشح وفقدان الراحة في الحرص على المال، وهذا المعنى نوع استدراج بالنعم لتعود

عليه وبالا نظير قوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين) [الأعراف ١٨٣].

وفي الآية السابقة أظهر لام التعليل ولفظ الموصوف فقال تعالى (إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا).

قوله (وتزهق أنفسهم) الواو للعطف على فعل التعذيب تعليل ثان، وفعل الزهوق هو خروج الشيء بصعوبة وشاع بمعنى خروج الروح من الجسد.

وقوله (وهم كافرون) جملة حالية، أي يقبضون إلى الموت بهيأة الكفر، فما ينفعهم التظاهر بالإيمان.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

قوله (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) تفيد (إذا) الشرط، وإنزال السورة مجاز يراد به رفعتها بوصفها مبلغة من مقام العلو، ويكون بالوحي، وتنكيرها لإرادة نوعيتها المتضمنة لأوامر الجهاد، وتنكير لفظ السورة للنوعية على أساس تضمنها الأمر بالجهاد، وجملة المصدر في قوله (أن آمنوا) معنى: بأن آمنوا، والأمر للمسلمين عامتهم.

قوله (وجاهدوا مع رسوله) وذكر أمر الجهاد تمهيد لذكر تخلف المنافقين لأن الكلام عنهم، والمعية في قوله (مع رسوله) بإضافة لفظ الرسالة إلى ضمير الجلالة تهييج لإيمانهم.

قوله (استأذنك أولوا الطول منهم) جواب الشرط، ولفظ الاستئذان معناه طلب الإذن بالبقاء في المدينة، و: أولوا بمعنى: أصحاب. ويراد بالطول القوة والمال والسعة، وأولو الطول كناية عن بعض المنافقين، وصفهم بذلك للإيحاء بنفي العذر منهم عن التخلف عن القتال مع المسلمين.

قوله (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) أي: واتركنا أيها النبي كائنين مع القاعدين، ولفظ القعود كناية عن الصبية والنساء والمرضى، وجواب الأمر المجزوم (نكن) تعليل لفعل الذر.

قوله تعالى ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

قوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) في معنى (رضوا) تعجب من قبولهم بالبقاء متخلفين عن فضيلة الجهاد مع النساء والعُجّز ومن لا يقوى على حمل السلاح كالأعرج والزمنى، والخوالف كما ذكر الراغب: جمع خالفة، والخالفة عمود الخيمة المتأخر، ويكنى بها عن المرأة لتخلفها عن المرتحلين. انتهى. وإنما لحق المنافقين الذم لأنهم أقوى على الجهاد.

قوله (وطبع على قلوبهم) أصل الطبع المنع، أي لسوء أعمالهم قست قلوبهم فمنعت بلوغ أي نصح يرقها، ولذا أضمر فاعل الطبع ولم يسند إلى الله تعالى، ويراد بالقلوب النفوس والإدراكات، ولا يخلو الكلام من تعليل.

قوله (فهم لا يفقهون) الفاء لتفريع المسبَّب على السبب، والإخبار بنفي الفهم عنهم بالإسمية للزوم الصفة لهم.

قوله تعالى ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) الاستدراك على حالة المنافقين بحال تناقضها من الجهاد والتفاني لإفادة مدح الرسول وأصحابه المجاهدين، لذلك أثبت لهم الخيرات جميعها، وتعريف الرسول للعهد يراد به النبي محمد ﷺ، والذين معه هم المؤمنون المجاهدون الملازمون له.

قوله (وأولئك لهم الخيرات) وصل ولم يفصل لإفادة استمرار الإخبار عنهم بإثبات الخيرات لهم، ولفظ الإشارة للتنويه بهم ولجدارتهم بإثبات عموم الخيرات لهم.

قوله (وأولئك هم المفلحون) وإعادة ذكر المسند إليه فلم يحذف مع تسويغ ذلك للعناية بذكرهم وتأكيد فلاحهم وظفرهم، والفلاح بالإخبار بالجملة

الإسمية لثبوته لهم، وفي الكلام مزيد من التأكيد فقصروا على الفلاح بضمير الفصل وقصر الفلاح عليهم بأل تعريفه.

قوله تعالى ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله (أعد الله لهم جنات) فعل الإعداد معناه التهيئة، باعتبار العواقب الحسنة بنحو ترغيب النفس على العمل الصالح، ولذلك لم يقل: وعد، لأن ذلك يعني تحتم وقوعه، قال في الميزان: وليس من عدل الله أن يعد أمرا ثم تشاء حكمته بغير ذلك، ولذا علق وعده دائما بالجنات على شرط الإيمان والعمل الصالح دائما. انتهى.

قوله (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) جملة الجري محلها الصفة للجنات، ولفظ الخلود منصوبة على الحال.

قوله (ذلك الفوز العظيم) إخبار تعظيمي من الله تعالى للرسول ﷺ والمؤمنين معه بالفوز بجناته، ولفظ الإشارة للتنويه والتعظيم.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله (وجاء المعذرون من الأعراب) الآية والآيتان اللتان بعدها تصنيف لأصحاب العذر في التخلف عن النفرة.

والمعذرون أصله المعتذرون بصيغة الافتعال، وأدغمت التاء في الذال للتخفيف بسبب تقارب مخرجيهما الصوتي، وهي تحمل معنى تكلف العذر، و(من) للتبيين، والأعراب اسم جمع واحده أعرابي وهم سكان البادية.

قوله (ليؤذن لهم) تعليل لمجيئهم، بالإذن بالتخلف عن الخروج مع النبي ﷺ.

قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) الواو عاطف، والمراد المقايسة بين الطائفتين من المستأذنين والمعذرين، لبيان لؤم المنافقين وخستهم، لأن الأعراب قدموا العذر فأذن لهم، بينما المنافقون تخلفوا بلا عذر.

قوله (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) القطع للابتداء بالإخبار عنهم، ولفظ الإصابة تدل على أن العذاب الأليم لن يخطئ الكاذبين منهما رغم أن كليهما تخلفا عن فضيلة الجهاد مع الرسول ﷺ، وتنكير لفظ العذاب لإفادة تهويله.

قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) عدت الآية الأصناف المستثناة من حكم الخروج إلى الجهاد وما يستتبعه من ذم التخلف، وهم: الضعفاء الذين لا يقوون بدنيا على حمل السلاح ومشقة القتال كالزمنى وهي الأمراض المستعصية كالجذام والشلل، والمرضى الذين عرض لهم عارض المرض، وأهل الفاقة، ولفظ الحرج معناه أشد الضيق، وسمى حكم خروجهم بذلك من المجاز المرسل بعلاقة السببية، أي الحكم الوجوبي الذي لو تحقق يسبب لهم حرجا شديدا.

قوله (إذا نصحوا لله ورسوله) الشرط تقييد للإذن ورفع الذم عنهم، بالمضي في السيرة الطيبة بين المسلمين واجتناب الغش والكذب، ولفظ النصح وتعديته باللام مبالغة في التمسك بالإيمان بالله والسعي إلى مرضاته.

قوله (ما على المحسنين من سبيل) الفصل لتعليل رفع الحرج، ويفيد (على) معنى التسلط والاستعلاء، والمحسن فاعل الإحسان، بضد المسيئين، ويدخل فيه أهل النصح، وزيادة (من) لتأكيد النفي بمعنى: ما من سبيل على المحسنين.

ولفظ السبيل كناية عن أمنهم، أي: لن يسلط عليهم مكروه من أي طريق يصلهم، لأنهم في حصن من الأمن.

قوله (والله غفور رحيم) الكلام تذييل بالإخبار عن صفة الله التي لا تتغير بالمغفرة والرحمة لأهل الأعذار خاصة ولمن يستحق ذلك من الناس عامة.

قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه) الواو عاطفة على (ليس على الضعفاء)، وهم صنف آخر مستثنى من حكم الجهاد وما يستتبعه، وهم الصادقون في نواياهم العازمون على الأمر، ولكن تعوزهم آلة الحرب من فرس ونحوه وهو ما يدل عليه قوله (لتحملهم)، وإنما جاء بهذا التفصيل لأن المسلمين كانوا وقت غزوة تبوك في عسرة شديدة.

وإفرادهم بهذا العطف يدخل في باب عطف الخاص على العام، لأنهم في درجة عالية من الإحسان والصدق.

وفي الكلام حذف دل عليه ما تقدم تقديره: ولا حرج على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه، والإتيان بجملة الموصول وصلته لتعليل النفي، والخطاب في الكلام موجه إلى النبي ﷺ لأنه الأجدر بتلقي الحكم من ربه.

قوله (تولوا) جملة التولي جواب (إذا) الشرطية، والتولي بمعنى الرجوع والذهاب من حيث أتوا.

قوله (وأعينهم تفيض من الدمع حزنا) الواو تفيد الحال، والجملة موقعها الحال من ضمير الجمع في فعل التولي، وفيض العيون من الدمع تصوير بياني لحالة حزنهم من عدم المشاركة مع النبي ﷺ في القتال، وإسناد الفيض إلى الأعين مجاز عقلي للمبالغة في كثرة الدمع لأن الماء هو الذي يفيض لا مكانه.

و(من) للتبيين، والدمع اسم السائل من العين، والحُزْن ألم في القلب، أصله من حَزَن الأرض إذا خشنت واستغلضت، ونصبه على الحال.

قوله (ألا يجدوا ما ينفقون) منصوب بنزع الخافض وأصله: بألّا يحزنوا، وهو تعليل لحزنهم، في عوزهم من شراء ما يركبون.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣ ﴾

قوله (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) رجوع بالخطاب إلى المنافقين الذين لا عذر لهم، ابتدأه بالقصر مستأنفا مؤكدا لذلك فصل الجملة عما قبلها، والمراد بالسبيل معنى: إنما الحرج، و(على) حرف استعلاء، والمستأذنون يراد بهم الذين طلبوا الرخصة من النبي ﷺ بالبقاء.

قوله (وهم أغنياء) جملة حالية، مضمونها إنكار استئذانهم بالبقاء.

قوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) جملة تعليل لتخلفهم وهم اغنياء، وهو رضاهم بالقعود مع الصبية والنساء والمرضى.

قوله (وطبع الله على قلوبهم) العطف تعليل ثان، وهو حرمانهم من هدي الله مجازاة على أعمالهم، والطبع الختم والمنع، و(على) مجاز للاستعلاء وتمكن الطبع من قلوبهم، وذكر القلوب مجاز للنفوس والإدراكات الإنسانية.

قوله (فهم لا يعلمون) الفاء لتفريع النفي على التعليل، ونفي العلم عنهم إثبات لجهلهم.

قوله تعالى ﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

قوله (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم) إخبار من الله لنبيه بتكرار اعتذار المنافقين بعد القفول من تبوك إليهم بسبب تخلفهم عن القتال بدلالة فعل الحضور والاستمرار (يعتذرون)، وفي دلالة الإخبار رجوع المؤمنين سالمين من غزوة تبوك.

قوله (قل لا تعتذروا) النهي عن الاعتذار يراد به التيئيس، لأنه غير مقبول فلا قيمة من تقديمه.

قوله (لن نؤمن لكم) أي: لن نصدقكم، بدلالة تعدية فعل الإيمان باللام، والنفي تعليل للنهي عن الاعتذار.

قوله (قد نبأنا الله من أخباركم) تعليل للتعليل، و(قد) حرف تحقيق يفيد التأكيد، والتنبئة الإخبار المهم، وضمير الجمع في فعله لدخول المسلمين تحت ظل النبي ﷺ في خطابه التلقيني، ويراد بـ (من) التبعيض، أي: بعض أخباركم، مشيرين إلى قوله تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا).

قوله (وسيرى الله عملكم ورسوله) إخبار متضمن معنى التهديد للمنافقين، وحرف السين المقترن بفعل الرؤية لما يستقبل من الزمن، وفعل الرؤية مجاز للإظهار، أي: يرى الله ورسوله عملكم بأن يظهره فلا يعود مكتوما.

قوله (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) تفيد (ثم) العطف الترتيبي في الكلام، وفعل الرد يعني الإرجاع، وفيه دلالة أن حياته في الدنيا مؤقتة وأن رجوعه إلى الله هو الأصل فيجزيه بما عمل ثوابا أو عقابا، ولذلك استعمل حرف الجر (إلى) الذي يفيد معنى انتهاء الغاية.

وأما العدول عن التصريح بلفظ الألوهية ـ فلم يقل: تردون إلى الله ـ إلى الكناية في قوله (عالم الغيب والشهادة) لأن الله وحده الذي يستوي عنه الغيب والشهادة، ولأنه يراد به التذكير بعلمه بما يغيب وبما يشاهد، وفي

ذلك الإخبار الغاية من التهديد للمنافقين، ومنه أخذ عليه السلام قوله في نهج البلاغة: اتقوا معاصي الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم. انتهى.

قوله (فينبئكم بما كنتم تعملون) الفاء لتفريع إخبار على إخبار وتهديد على تهديد، لتحقيق المجازاة على أعمالهم. وإنباء الله للمنافقين بأعمالهم في حياتهم الدنيا يراد به إخزاؤهم على رؤوس الأشهاد قبل الأمر بإدخالهم إلى النار.

قوله تعالى ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

قوله (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم) إخبار من الله عن المنافقين بقسمهم المتكرر بدلالة الحضور لفعل الحلف، والمراد بحلفهم لقبول عذرهم، ومعنى (انقلبتم إليهم) الكناية عن رجوع المسلمين إلى المدينة سالمين.

قوله (لتعرضوا عنهم) أي: يحلفون لكم لأجل العفو عن تخلفهم وتعذرهم عن المشاركة معكم في القتال.

قوله (فأعرضوا عنهم) الفاء لتفريع الأمر على التعليل، والأمر بالإعراض كناية عن تجاهلهم وإنكار الرد عليهم، أي: لا تقبلوا عذرهم فتطيب نفوسهم بل أنكروهم ولا تكلموهم.

قوله (إنهم رجس) الفصل لأنه تعليل لأمر الإعراض. والإخبار مؤكد لقذارة نفوسهم وخبث سرائرهم. وإطلاق الرجس عليهم من التشبيه البليغ الذي تحذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه مبالغة في تقارب صفة القذارة بين طرفي التشبيه، أي المنافقون والرجس.

قوله (ومأواهم جهنم) العطف لبيان المآل والمصير يوم القيامة، وهو مستقرهم في جهنم.

قوله (جزاء بما كانوا يكسبون) نصب لفظ الجزاء على الحال من جهنم، والباء في (بما) للسبب، و(ما) اسم موصول، ومضي الكون باعتبار نفاقهم في الدنيا.

قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

قوله (يحلفون لكم لترضوا عنهم) إعادة فعل الحلف لبيان إلحاحهم بتكرار القسم لشدة خوفهم من المسلمين، وكسب رضاهم.

قوله (فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) الفاء لتفريع الشرط على الإخبار، وأسلوب الشرط لإفادة التفصيل، فجواب الشرط إخبار قام مقام النهي، بل هو أشد منه لأنه يخبر عن أمر قائم في نفي رضا الله عنهم، وصفة الفسق نزعت عن المنافقين لباس الإيمان، وفيها إشارة إلى سبب نفي الرضا عنهم.

وفي الآية دليل على أن الأصل هو رضا الله وأن سخطه على أحد لا ينفع معه رضاهم، ولذا أثر عن الرسول ﷺ قوله: من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس. نقل في صحيح ابن حبان، وكنز العمال وغيرهما كثير. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ ﴾

قوله (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) الفصل للابتداء والاستئناف، والأعراب اسم جمع قيل في إفراده أعرابي، ويراد بهم سكان البادية، وأطراف الحواضر، وإنما أخبر عن المنافقين منهم بشدة الكفر والنفاق لجفاء طباعهم وخشونة أخلاقهم لبعدهم عن الفيض الإلهي من قرب النبي ﷺ وسماع أحكام القرآن.

قوله (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) إخبار ثان عنهم فهم لبعدهم أحرى بعدم العلم عن أحكام الشريعة النازلة على الرسول ﷺ، والإتيان بجملة الموصول بدلا من التصريح لتعظيم أحكام الشريعة التي نزل بها القرآن.

قوله (والله عليم حكيم) أي: والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يحكم به عليهم.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ ﴾

قوله (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) الكلام تفسير لكفر الأعراب ونفاقهم، أي: من المنافقين مَنْ يعد الإنفاق في الجهاد نائبة نزلت بماله، لأنه لا يؤمن بثواب ما ينفق.

قوله (ويتربص بكم الدوائر) التربص الانتظار بوقوع المكروه في الغير. والدوائر جمع دائرة كناية عن صروف الزمان وحوادث الأيام لأنها تدور بأهلها أبدا، والتعريف لإفادة العموم، وأكثر ما يستعمل لفظ الدائرة في زوال النعمة إلى الشدة، والعافية إلى البلاء، ويقولون كانت الدائرة عليهم، وكانت الدائرة لهم. ذكره صاحب المجمع. انتهى.

وقد كان منافقو الأعراب يتربصون بالمسلمين الموت، أو القتل، فكانوا ينتظرون موت النبي ﷺ، ليرجعوا إلى دين المشركين.

قوله (عليهم دائرة السوء) رد من الله عليهم، وإخبار يفيد الدعاء بإنزال الدواهي بهم، بأسلوب القصر بتقديم المتعلق، ولفظ السوء عام لكل نقص وشر.

قوله (والله سميع عليم) عطف وإخبار متضمن معنى التهديد الشديد، وصيغ ألفاظ السمع والعلم للمبالغة في تكثير المعنى، أي: سميع لكل ما يسمع، ومنه مقال المنافقين، عليم بكل ما دق وخفي، ومنه نياتهم.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ ﴾

قوله (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) الآية تقابل معنى التي تقدمتها في صفة الأعراب المنافقين، وفيها تمييز للمؤمنين من الأعراب وحفظ لحقهم في أصل اعتقاد المؤمن في أصول الإسلام وأولها الإيمان بالله واليوم الآخر وهو المعاد.

قوله (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جملة فعلية وصفية، ولفظ القربات جمع قربة وهي كناية عن الطاعات، وجمعها باعتبار تعدد أشكال إنفاقهم في سبيل الله، والظرف (عند) مجاز تشريفي لاستقرار الثواب عنده سبحانه.

قوله (وصلوات الرسول) كناية عن الدعاء من الرسول لهم بالقبول والرضى من الله لإنفاقهم.

قوله (ألا إنها قربة لهم) الاستفتاح والتأكيد بالإخبار بالجملة الإسمية موجب للفصل، وهو مسوق للبشارة بقبول قرباتهم، وضمير الهاء في (إنها) عائد إلى ما يفهم من نفقات الإنفاق، وتنكير لفظ القربة للتعظيم، واللام في (لهم) للاستحقاق.

قوله (سيدخلهم الله في رحمته) الإخبار من الله بيان وتفصيل لمعنى القربة، وسمى الجنة رحمة من المجاز المرسل بعلاقة الحالية، فقد ذكر الحال وهي الرحمة وأراد المحل وهي الجنة.

قوله (إن الله غفور رحيم) القطع للتعليل، بأن الله سبحانه غفور لماضيهم من الكفر، ورحيم بحاضرهم ومستقبلهم من الإيمان.

قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾

قوله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) عدت الآية ثلاثة أصناف من المؤمنين: طبقة المهاجرين، وطبقة الأنصار، وطبقة الأتباع، وقيدت الطبقتين الأوليين بالسبق والنصرة، بوصفها الطبقة المؤسسة، فكان المهاجرون من مكة سباقين بالإيمان بالله وبالهجرة، وكان الأنصار سباقين بالنصرة والتأييد.

وتفيد (من) التبعيض من هاتين الطبقتين وليس العموم، أما طبقة المتبعين فهي مطلقة إلى يوم يبعثون، ومقيدة بصفة الإحسان المستلزمة أن يكون المتبعون يحملون هذه الصفة.

قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) الجملة الفعلية إخبار للمبتدأ، فهؤلاء جميعا من الأصناف وبذلك التقييد حازوا رضا الله ونالوا نعمه.

وأسلوب الجناس العكسي بفعل الرضا يشير إلى معنى ذلك، فلفظ الرضا معناه القبول: أي قبل الله منهم سعيهم وقبلوا هم بنعمه وقنعوا.

قوله (وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) والجملة إخبار من الله ووعد لهم بالجنات وبدوام البقاء فيها.

قوله (ذلك الفوز العظيم) لفظ الإشارة للتنويه بالفوز، ووصفه بالعظيم لأن كل فوز يقصر دونه، وفيه دلالة على مزية هؤلاء المؤمنين السباقين المؤسسين لنظام الدين، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام عن أولية إسلامه في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

قوله (وممن حولكم من الأعراب منافقون) هذا إخبار غيبي من الله لنبيه يكشف عن دخائل المنافقين ممن لا تقع العين عليهم، ومعنى الظرف (حولكم) أطراف المدينة المحيطين بها.

قوله (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أي: وبعض من المشاركين لكم في سكن المدينة، مرنوا على النفاق وتمرسوا فيه إلى درجة يصعب التمييز فيها.

قوله (لا تعلمهم) إخبار منه تعالى لنبيه خاصة على نحو الالتفات لإطلاع نبيه على المنافقين بنحو الإجمال دون إعلامه بأسمائهم.

قوله (نحن نعلمهم) جملة مستأنفة تؤكد اختصاص علمه تعالى بهؤلاء المنافقين، والإخبار منذر بوعيدهم.

قوله (سنعذبهم مرتين) السين حرف استقبال، وفعل التعذيب يفيد المبالغة، ومعنى المرتين مضاعفة العذاب لهم، مرة بعد مرة، ويراد به عذابهم بالسبي أو القتل، وعذاب القبر، وقيل غير ذلك من أشكال العذاب في كتب التفسير.

قوله (ثم يردون إلى عذاب عظيم) تفيد (ثم) العطف الترتيبي في الكلام، والرد الرجوع، وهو يوم القيامة وما ينتظرهم من عذاب شديد وصف بالعظمة لهوله.

قوله تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢ ﴾

قوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أي وآخرون من الأعراب المنافقين أقروا بالتقصير، ويدل على رفع صفة النفاق عنهم، لأن اعترافهم بالذنوب يدل على أن تقصيرهم في حال الإيمان.

قوله (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) لفظ الخلط استعارة، تشبيها للأعمال صالحها وسيئها بالسائل بجامع التلابس بين المختلطين. والمعنى لهم عمل صالح ولهم عمل سيء، فهم لم يثبت الإيمان في نفوسهم لتستمر فيها إرادة العمل الصالح.

قوله (عسى الله أن يتوب عليهم) تفيد (عسى) المقاربة، دون القطع بقبول توبتهم من الله، لتحفيزهم ودفع القنوط عن نفوسهم.

قوله (إن الله غفور رحيم) الفصل تعليل وإخبار مؤكد يفيد معنى ترجيح مغفرة الله لهم ورحمته بهم بقبول توبتهم والعفو عنهم.

قوله تعالى ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾

قوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الأمر للنبي ﷺ بقبول أخذ الزكاة المفروضة منبئ عن قبول توبتهم، والجمع بين لفظي التطهير والتزكية من بديع البيان، لأن ذلك القبول من الأخذ يعني رفع النجاسة الروحية عنهم، وتزكي أموالهم بأن تنميها وتزيدها بركة، و(من) للتبعيض، والباء في (بها) للسبب.

قوله (وصل عليهم) والأمر الصلاة عليهم بمعنى الدعاء لهم بقبول الصدقة.

قوله (إن صلاتك سكن لهم) فصلت الجملة لأنها في مقام التعليل، والإخبار تأكيد بأن في دعاء النبي ﷺ لهم سببا في تطييب نفوسهم وأمنها، لأن لفظ السكون مجاز مرسل بعلاقة السببية.

قوله (والله سميع عليم) تذييل للإشعار بقبول دعاء الرسول لهم، ولفظ العلم مشعر بأن في أمر الدعاء لهم الخير والصلاح العظيمين.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

قوله (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الاستفهام للإنكار أنزل المخاطبين منزلة من لا يعلم، وفعل العلم للتنبيه من الغفلة، فترغبهم بالتوبة وتدفعهم إلى إيتاء الزكاة، وضمير الفصل (هو) للاختصاص بقصر قبول التوبة على الله وحده.

وقوله (ويأخذ الصدقات) العطف بمعنى: ألم يعلموا أن الله يأخذ الصدقات، وفعل الأخذ مجاز في قبول الله لصدقاتهم، والكلام مجاز تشريفي للمتصدقين، على سبيل ترغيب العباد على فعلها.

وقد ورد الخبر في المجازات النبوية عن النبي ﷺ، أنه قال: إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل إلى يد السائل. انتهى.

قوله (وأن الله هو التواب الرحيم) الواو للعطف على جملة الاستفهام، والكلام يراد به التشويق بالإقبال على التوبة بلفظ الفعل تبعه تأكيد إخباري بالجملة الإسمية، والمعنى: كما أن الله يقبل التوبة فإنه موصوف سبحانه بالإكثار من قبول توبة التائبين لواسع رحمته بعباده.

والمعنى أظهر في غاية التأكيد، فضمير الفصل للقصر، وأل التواب قصر ثان وكذا أل الرحيم، وإظهار اسم الله في موضع الإضمار للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾

قوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) أمر العمل للمسلمين يراد به العمل بحذر ومراقبة.

قوله (فسيرى الله عملكم) الفاء لتفريع الإخبار على الأمر، ومعنى الرؤية من الله تعالى العلم به للمجازاة عليه، وإنما لحقت السين فعل الرؤية لأن العمل في علم الله كان معدوما فوجد.

قوله (ورسوله والمؤمنون) ورؤية الرسول للعمل بالعرض عليه والشهادة له، وقيل في رؤية المؤمنين إنهم الملائكة أو الشهداء، وقيل: إنهم الأئمة الهداة من أهل البيت عليهم السلام، قال الطبرسي: إن أعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ، في كل اثنين وخميس، فيعرفها، وكذلك تعرض على أئمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها، وهم المعنيون بقوله: (والمؤمنون). انتهى.

قوله (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) سين الاستقبال المقترن بفعل الرد للإشارة إلى موتهم وبعثهم يوم القيامة ووقوفهم بين يدي الله للحساب.

قوله (فينبئكم بما كنتم تعملون) الفاء لتفريع الحساب على الرد إلى الله، لتحقيق المجازاة على أعمال العاملين.

والكلام تكرار لظاهر تفريع الإنباء على الرد إلى عالم الغيب والشهادة في الآية الرابعة والتسعين من السورة، ولكنه كان تفريعا على حال المنافقين تهديد على تهديد، بينما التفريع هنا اختلف أريد به عموم العاملين.

قوله تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قوله (وآخرون مرجون لأمر الله) فئة أخرى تخلفت عن الجهاد معطوفة على قوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) تخلفوا توانيا عن الاستعداد حتى فاتهم المسير، وقيل: هم ثلاثة منهم كعب بن مالك، وفيها أقوال أخر.

ومعنى قوله (مرجون) أي: مرجؤون مؤخرون، من الإرجاء وهو التأخير، إذ لا مرجح لهم لكفة المغفرة أو العقاب، فأرجئ القضاء في أمرهم إلى أمر الله تعالى وحكمه فيهم، وقد تأخر الحكم فيهم إلى خمسين ليلة فتاب الله عليهم في قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا).

قوله (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) التفصيل لبيان أن الخيرة بيده سبحانه في أمرهم تعذيبا أو عفوا.

قوله (والله عليم حكيم) ولم يقل: والله غفور رحيم، كما في شأن السابقين الذين اعترفوا بذنبهم، فعلق أمرهم عقوبة لهم، لئلا يغروا بعفو الله.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ ﴾

قوله (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) الواو لعطف الأحوال عن المنافقين، واسم الموصول مبتدأ خبره قوله تعالى (لا تقم فيه) في الآية اللاحقة.

والذين بنوا مسجدا مضارة بمسجد قباء هم طائفة من المنافقين من بني غنم بن عوف حسدوا أبناء عمرو بن عوف حين بنوا مسجد قباء الذي صلى فيه النبي ﷺ، فبنوا مسجدا بجانبه ليضر بالمؤمنين ويفرق بينهم، وقد وعدهم أبو عامر الراهب ـ الهارب من المدينة ـ أن يأتيهم بجيش من الروم ليخرجوا النبي ﷺ من المدينة، وأمرهم أن يستعدوا للقتال معهم، ولما بنوا المسجد أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك وسألوه أن يأتيه ويصلي فيه ويدعو لهم بالبركة فوعدهم إلى الفراغ من أمر تبوك والرجوع إلى المدينة فنزلت الآيات، ولفظ الضرار بمعنى طلب الضرر، ونصبه على أنه مفعول لأجله.

والإتيان بجملة الموصول والإسهاب في صلته لبيان العلة المقدمة على النتيجة في النهي عن الصلاة فيه.

قوله (وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا) نصب ألفاظ الكفر والتفريق والإرصاد لأنها مقاصد بناء المسجد، فهي معطوفات على المفعول لأجله، والكفر لإقامة الكفر في المسجد، والتفريق لتشتيت صفوف المسلمين وتفريق وحدتهم، ولفظ الإرصاد الانتظار والترقب بإيقاع المكروه بالمؤمنين.

قوله (لمن حارب الله ورسوله من قبل) اللام المقترن باسم الموصول بمعنى الأجل والغاية. والضمير في الموصول إشارة إلى أبي عامر الراهب، لأنه حارب الرسول مع الأحزاب وحاربه مع ثقيف وهوازن، وهو أبو حنظلة

غسيل الملائكة، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب وهرب إلى مكة، وسماه النبي ﷺ بالفاسق، وبعد فتحها هرب إلى الطائف، فلما أسلم أهلها لحق بالشام، وخرج إلى الروم وتنصّر ليستنصر قيصر، ومات قبل أن يبلغه، وقطع الإضافة للظرف في قوله (من قبل) بمعنى: من قبل بناء المسجد.

قوله (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) الواو للحال، وجملة الحال حكاية حلفهم بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، لأنهم علموا إنكار النبي ﷺ والمسلمين لفعلهم، ولفظ الحسنى صفة لموصوف محذوف تقديره: الغاية أو النية.

قوله (والله يشهد إنهم لكاذبون) إخبار من الله في رد قسمهم بشهادة رب العزة، وفعل الشهاد متضمنة معنى قسمه تعالى بذاته جلت قدرته للدلالة على شدة غضبه عليهم، فيا لها شهادة ما أعظمها، ويا له من خزي للمنافقين، ولذلك أمر الرسول بهدم المسجد وتحريقه وأن يتخذ كناسة للجيف، و(إن) حرف تأكيد واللام في (لكاذبون) واقعة في الخبر تفيد تأكيده.

قوله تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

قوله (لا تقم فيه أبدا) جملة النهي تقع خبرا للابتداء في قوله (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا)، ولفظ الإقامة كناية عن الصلاة. والنهي عنه نهي تأبيدي.

قوله (لمسجد أسس على التقوى) الفصل للابتداء والقسم، والمسجد مكان السجود من الصلاة أخذ وأطلق مجازا على مكان العبادة والصلاة، وتنكيره لإفادة التعظيم، ومعنى أسس بني وأصله وضع أساسه وقواعده، وحرف الجر في قوله (على التقوى) مجاز لتمكن التقوى واستقرارها في المسجد، والتركيب استعارة بالكناية عن حسن النية تشبيها للتقوى بما يرتكز عليه الأساس بجامع الصلابة والثبات ورمز إلى المشبه به المحذوف إلى شيء مما يعنيه وهو حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء ليفهم منه معنى الرسوخ والصلابة في المشبه به، أو يمكن أن يكون (على) بمعنى لأجل التقوى.

وسياق الكلام يرجح أن يكون المراد بهذا المسجد مسجد قباء، وقيل: هو المسجد النبوي، ويمكن أن يكون المراد كل مسجد بهذه المواصفات، والكلام احتراس من غواية الشيطان والمنافقين بادعاء منع الصلاة، وبيان بأن مسجد ضرار لم يبن على التقوى.

قوله (من أول يوم) أي: من أول يوم من تأسيس المسجد.

قوله (أحق أن تقوم فيه) خبر للابتداء في قوله تعالى (لمسجد)، ولفظ الإقامة كناية عن الصلاة لأنها أول ما يبدأ بها.

قوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) الضمير في حرف الجر الظرفي عائد إلى المسجد لذلك أفرد، تنكير لفظ الرجال لإرادة مدحهم، ولفظ المحبة ميل وجداني ورغبة قلبية، والتطهير افتعال بتكلف الفعل ويراد به الاستنجاء بالماء، أو بمعنى المجاز بالتطهير من الذنوب، ومراد الآية: فيه رجال يحبون أن يصلوا لله تعالى، متطهرين بأبلغ الطهارة.

قوله (والله يحب المطهرين) أي: والله يحب المتطهرين، وحب الله مجاز في قبول صلاتهم، والإخبار تذييل بتزكية نفوس الرجال المذكورين.

قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير) الفاء للتفريع، والاستفهام للتقرير، و(من) اسم موصول، والإسهاب في الصلة لبيان علة التفضيل، و(من) ابتدائية، والمراد بلفظ الخير معنى الأفضلية من باب المقايسة، لا المقارنة لأن مسجد ضرار محكوم عليه بانعدام القيمة.

وقوله (أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) تسمى (أم) المعادلة، ولفظ الشفا الحرف، استعارة مكنية، شبه القصد الفاسد بمن يبني بنيانا على طرف جرف منهار.

قوله (فانهار به في نار جهنم) الفاء تفريع من الاستعارة السابقة في تصوير هدمه، وجعل انهياره في نار جهنم للوصول إلى الغاية من التصوير التشبيهي، وصور الاستعارات التمثيلية متقابلة في المعاني لبيان الفرق بين المسجدين.

قوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) إخبار متضمن معنى من سبق من الذين بنوا مسجد الضرار وإن كان المعنى عاما، والإتيان بالصفة والموصوف لبيان علة انتفاء الهدي.

قوله تعالى ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

قوله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) الكلام إخبار عن نزعات نفوس المنافقين، والريبة تعني الشك، وهي مجاز مرسل بعلاقة السببية، أي: بناؤهم لمسجد الضرار سبب في إظهار النفاق والريبة.

قوله (إلّا أن تَقطَّعُ قلوبهم) تقطيع القلوب كناية عن الموت، والمعنى: أن نفاقهم باق إلا في حال موتهم فإنه سيتلاشى ظهوره بتلاشي قلوبهم.

قوله (والله عليم حكيم) أي: عليم بنياتهم في بناء مسجد الضرار، حكيم في الأمر بهدمه والنهي عن الصلاة فيه.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾

قوله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الفصل للابتداء الإخباري المؤكد، ولفظ الاشتراء استعارة للوعد بالمجازاة تشبيها له بالاشتراء بجامع العوض في إعطاء شيء مقابل شيء، وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال، لأن العبادات على ضربين: بدنية ومالية، ولا ثالث لهما، وفي المجمع: يروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين، فأغلى لهم الثمن، فجعل ثمنهم الجنة. انتهى.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا حر يدع هذه اللماظة، إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها. ورد في نهج البلاغة. انتهى. وأخذه الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام فقال: أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها. ذكر في تحف العقول. انتهى.

قوله (بأن لهم الجنة) الباء باء العوض لأن الكلام واقع في صيغ الاشتراء تشبيها للوعد بالثمن، ولام الجر في (لهم) تفيد الاستحقاق ولذلك لم يقل: بالجنة، وتعريف الجنة للعهد.

قوله (يقاتلون في سبيل الله) الفصل لبيان غرض الاشتراء، والإخبار بالفعل لإرادة حضوره، وسبيل الله كناية قرآنية تعني توحيد الله تعالى.

قوله (فيقتلون ويقتلون) الفاء لتفريع الإخبار على التعليل، وفي الكلام جناس وتقابل بديعيان، ومتعلقهما محذوف، أي: يقتلون المشركين، ويقتلهم المشركون وفي الحالين جزاؤهم الجنة، وقدم قتلهم للمشركين إشارة إلى شجاعة المؤمنين.

قوله (وعدا عليه حقا) نصب لفظ الوعد على المصدر لأن الفعل (اشترى) في معنى وعد، ولفظ الحق بمعنى صدقه وإيجابه الذي لا خلف فيه، ونصبه على المفعولية.

قوله (في التوراة والإنجيل والقرآن) أي: إن هذا الحكم بالعوض بالجنة للمأمورين بالقتال مذكور في الشرائع السماوية كلها، والتوراة شريعة موسى عليه السلام، والإنجيل شريعة عيسى عليه السلام، والقرآن شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (ومن أوفى بعهده من الله) الاستفهام للإنكار في أن يكون أحد أوفى من الله بالعهد، والمراد تأكيد الوعد.

قوله (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) الفاء لتفريع الأمر على الإنكار، والأمر بلفظ الاستبشار يكون بإظهار السرور على بشرة وجه المستبشَر، أي: افرحوا بهذه المبايعة لأنكم بعتم زائلا بدائم، وبعتم الشيء من مالكه وأخذتم ثمنه، وجملة الموصول تعليل للاستبشار.

قوله (وذلك هو الفوز العظيم) لفظ الإشارة لتمييز فعل البيع والشراء لرسوخه واختصاره، وضمير الفصل (هو) يفيد قصر الصفقة بظفر لا يعدل به شيء، وأل الفوز قصر ثان.

ويمكن تفصيل الصورة القرآنية البيانية على النحو الآتي:

المشتري: الله تعالى على نحو المجاز، المالك الحقيقي الذي اشترى لسعة كرمه شيئا مما يملكه وهو المال والنفس.

البائع: المؤمنون، باعوا شيئا لا يملكونه حقيقة بل مؤتمنون عليه وهو المال والنفس.

الثمن: الجنة.

مكان الصفقة: ميدان قتال المؤمنين فيقتلون ويقتلون.

وثيقة الاشتراء: التوراة والإنجيل والقرآن، فأنعِمْ بها من صفقة رابحة للمؤمنين.

قوله تعالى ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾

قوله (التائبون العابدون الحامدون السائحون) الآية في صفة الذين اشترى الله منهم الأنفس والأموال، صيغت بأسماء الفاعلين لأنها في الأصل نعوت لكن قطعت عن الوصف إلى الأخبار لمبتدأ محذوف لذلك فصلت عما قبلها.

وأخبر عنهم بالجمل الإسمية لإفادة رسوخ الصفات المحمودة فيهم، فالتائبون هم المنيبون إلى طاعة ربهم، المفارقون للذنوب، والعابدون هم الذين عبدوا الله وحده فأخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم. والحامدون هم الذين يحمدون ربهم في السراء والضراء، والسائحون هم الصائمون، وروي عن النبي ﷺ قوله: سياحة أمتي الصلاة، وقيل: هم الذين يسيحون في الأرض فيعتبرون بعجائب الله تعالى، وقيل: هم طلبة العلم.

قوله (الراكعون الساجدون) أي: المؤدون للصلاة، مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، وخصوصية ذكرهما لأنهما أهم مظاهر الخشوع في الصلاة.

قوله (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) في الكلام تقابل في المعنى بين الجملتين، ووصل الجملتين فلم يفصل لأنهما بمعنى واحد ودائما ما يردان معا، وتسمى هذه الواو واو الثمانية يكثر وقوعها في كلام العرب عند ذكر معدود ثامن.

قوله (والحافظون لحدود الله) أي: القائمون بطاعة الله، ولفظ الحفظ يستلزم المراعاة في الائتمار بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه مراعاة مفضية إلى طاعته.

قوله (وبشر المؤمنين) أي: بشرهم بالمنزلة الرفيعة، وأمر التبشير موجه للرسول ﷺ، ولفظ المؤمنين بمعنى المتصفين بتلك الصفات التي لا يجمعها بهذا الكمال غير أئمة أهل البيت عليهم السلام، ذكر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : لقى عباد البصري [عابد صوفي بمكة] علي بن الحسين صلوات الله عليهما في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه، إن الله عز وجل يقول : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: أتم الآية، فقال : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج. نقله الشيخ الكليني في الكافي، والطبرسي في الاحتجاج على اختصار طفيف، وابن شهر اشوب في المناقب. انتهى.

ثمقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾

قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) صيغة نفي الكون ثم لام التمليك المقترنة بالنبي ﷺ أبلغ في نفي الشأنية والأحقية من القول: لا ينبغي للنبي لأنه يعني أن النبي اختار ومنع، فيتحصل المعنى بذلك: ليس من الحكمة فعل الاستغفار للمشركين، والاستغفار للمشركين دعاء الله بالمغفرة للمشركين.

قوله (ولو كانوا أولي قربى) أي: ليس من الدين الاستغفار للمشركين ولو دعتهم القرابة والرحم لذلك.

قوله (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) تبيين ملازمتهم للجحيم يكون بموتهم على الكفر، وفي الآية نهي شديد للدعاء وطلب المغفرة للمشركين.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

قوله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) الآية عطفت على قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا) في إشارة إلى أن الحكم واحد على سائر الأنبياء في عدم الاستغفار للمشركين، وذكرت الآية وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار ردا على تعارض الحالين.

قوله (إلّا عن موعدة وعدها إياه) يعني وعد إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر في قوله تعالى (سأستغفر لك ربي) [مريم ٤٧]، فلما تأكد له شركه تبرأ من ذلك، وتقدم فيما سبق أن آزر ليس الأب الصلبي لإبراهيم، فقد تطلق لفظ الأب على الجد أو العم بينما لفظ الوالد يطلق بنحو الحقيقة، كقوله تعالى في الحكاية عن دعاء إبراهيم لوالديه (ربنا اغفر لي ولوالدي) [إبراهيم ٤١].

قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) الفاء للتفريع، والتبيين الاستيقان والاستيضاح، لأن إبراهيم عليه السلام ظن أن آزر ليس بعدو لله معاند له، فأراد بوعد الاستغفار استمالة قلبه إلى الإيمان بالله، وحين تيقن عناده وإصراره على الشرك تبرأ من وعده، وتسمية المشرك بأنه عدو لله تهييج لإيمان المؤمن وتعليل للتبري من المشرك، ولفظ التبرؤ مبالغة في البراءة. وحرف الهاء في (له) عائد إلى إبراهيم، وفي (أنه) و(منه) راجع إلى آزر.

قوله (إن إبراهيم لأواه حليم) قطع الكلام ولم يصل لأنه تعليل لوعد إبراهيم لأبيه، والأوّاه صيغة مبالغة في معنى تكثير التأوه خوفا من ربه وطمعا فيه، وهي في الأصل (أوّه) اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع.

ولفظ الحليم صفة مبالغة لكثرة حلمه على جفوة أبيه التي قابلها بوعده وعدا حسنا، وأوردت الصفات بنحو الثبوت لأنها راسخة في شخص إبراهيم عليه السلام معروفة عنه، وصيغ المعنى بأشد تأكيد بالابتداء بحرف النسخ واللام الواقعة في خبره.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ ﴾

قوله (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) الآية تذييل لكل ما سبق، والمعنى: ليس من شأن الله أن يكتب الضلال لقوم بعد هدايتهم بإرسال الرسل إليهم وإرشادهم حتى يبين لهم ما ينبغي أن يتجنبوا من أشياء.

وفي الكلام تهديد للمسلمين بالرجوع إلى الضلال بعد الإيمان في حال الاستغفار للمشركين.

قوله (حتى يبين لهم ما يتقون) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، والتبيين التوضيح والإظهار، والاتقاء الاجتناب.

قوله (إن الله بكل شيء عليم) القطع للتعليل، فلا يضل الله قوما قبل تبيين الحق لهم، وتقديم المعمول للاهتمام ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ ﴾

قوله (إن الله له ملك السماوات والأرض) الفصل للاستئناف والابتداء وهو تأكيد لقوله في الفاصلة السابقة (إن الله بكل شيء عليم) يقوم مقام التعليل.

والإخبار المؤكد بالجملة الإسمية متضمن معنى ثبوت ملكه تعالى للسموات والأرض، والملك يعني التصرف والتدبير.

قوله (يحيى ويميت) التقابل بين المعنيين من المظاهر المحسوسة لملكه سبحانه، وهما من دلائل توحيده تعالى، وجملة الإحياء والإماتة خبر ثان.

قوله (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) الالتفات إلى خطاب المسلمين بعد الإخبار بكمال عظمته وقدرته وملكه تحمل معنيي الترغيب والتحذير، ومعنى (ما لكم) بمعنى نفي الملك، و(من) ابتدائية، و(دون الله) غير الله، و(من) الثانية زائدة لتقوية عموم النفي، والولي النصير المالك المدافع.

ومضمون الكلام تعليل للنهي عن الاستغفار للمشركين وتوليتهم، وقوله في ابتداء الآية (إن الله له ملك السموات والأرض) يقوم مقام العلة لقوله في خاتمتها.

قوله تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧ ﴾

قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) الفصل للاستئناف بالتأكيد بالقسم والمضي، وفي مضمون الكلام البشارة للنبي ﷺ وللمسلمين.

ابتدأ الكلام بقسم وتأكيد بغفران الله لنبيه ومجموع المسلمين من المهاجرين والأنصار، ومعنى: تاب عليه غفر له، وبدأ بالنبي ﷺ أولا لأنه سبب توبة المؤمنين وإلا فالنبي مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولم يكن منه ما يوجب التوبة.

قوله (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) بيان وتخصيص لمن تاب الله عليهم، بصفة الانقياد وطاعة الرسول بدلالة فعل الاتباع، والاتباع مجاز مرسل بعلاقة السببية، ذكر السبب وهو الاتباع وأراد المسبب وهو الطاعة.

ويعني بـ (ساعة العسرة) مدة قصيرة من الزمان، ولفظ العسرة من العسر زيدت التاء للمبالغة في شدته، والتركيب كناية عن الاستنفار وقت دعوة الجهاد من دون الذين تثاقلوا كما تقدم في الآية الثامنة والثلاثين، وقد كان زمنها صعبا لشدة الحر وقلة المال، وروي في التبيان عن عمر بن الخطاب أنه قال: أصابنا عطش شديد، فأمطر الله السماء بدعاء النبي ﷺ فعشنا بذلك. انتهى.

قوله (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) تصوير للمسلمين وقت ساعة العسرة ودعوة النبي للنفرة، و(كاد) من أفعال المقاربة، أي: قاربت أن تميل ـ ولم تمل ـ قلوب فريق من المهاجرين والأنصار من الذين اتبعوه عن قصد الطريق.

وإنما تزيغ حبا بالدنيا وعلائقها وميلا إلى دعتها وظلها، فهمّوا بالانصراف من غزاتهم، من غير أمر، فعصمهم الله تعالى من ذلك، حتى مضوا مع النبي ﷺ، والزيغ الميل عن قصد الطريق.

قوله (ثم تاب عليهم) تفيد (ثم) العطف الترتيبي في الكلام، وتوبة الله عليهم بمعنى غفرانه لهم وصفه عنهم.

قوله (إنه بهم رؤوف رحيم) القطع لأنه تعليل، والإخبار تأكيد وقصر برأفته ـ سبحانه ـ ورحمته بهم، والرأفة أخص من الرحمة لذلك تقدمت.

قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾

قوله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) عطف على قوله (لقد تاب الله على النبي) وفيه تدرج بذكر التوبة على النبي ﷺ أولا، والمؤمنين، ثم خصص في هذه الآية حتى تظن أنهم هم المقصودون بالذكر لكثرة التفصيل فيهم، وفي الكلام حذف تقديره: وتاب على الثلاثة، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وهؤلاء تخلفوا عن توان لا عن نفاق.

وحذف الفاعل في (خلفوا) لأنهم هم من أخلفوا أنفسهم في اللحاق بركب النبي ﷺ، ويمكن أن يكون التخلف بمعنى إرجاء الحكم فيهم.

قوله (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) معنى (حتى) لابتداء الغاية، و(إذا) للشرط وجوابها محذوف دل عليه الكلام، وضيق الأرض استعارة بالكناية عن ضيق نفوسهم بسبب عزلتهم ومقاطعة المسلمين لهم.

والباء في (بما) للملابسة، ورحب الأرض سعتها، أي: تخيلوا الأرض ضيقة عليهم مع سعتها، وهذه صورة من بلغ غاية الندم لأن النبي ﷺ أمر الناس بأن لا يكلموهم ولا يجالسوهم.

قوله (وضاقت عليهم أنفسهم) وفعل الضيق استعارة للغم، لأن الغم يضغط على النفس فكأنه يضيق عليها خناقها، وحرف الجر (على) مجاز للتمكن والاستعلاء.

قوله (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) استعمل فعل الظن هنا بمعنى اليقين كما استعملت في الشك، والسياق يحدد معانيها.

وجملة (أن) تفسيرية لفعل الظن، ولفظ اللجوء يدل على الاضطرار ونفي الاختيار، والمعنى: أنهم أيقنوا أن التوبة عنده سبحانه فقد أرجئ أمرهم إليه، لذلك صيغ ما استيقنوه بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، لبيان شدة تأكيد ظنهم.

قوله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم: للتراخي الرتبي، وتوبة الله عليهم غفرانه لهم وصفحه عنهم، واللام المقترن بفعل التوبة للتعليل، والجملة بمعنى: ليقلعوا عن مثل هذا الفعل، وقد قيل إنهم ربطوا أنفسهم بسواري المسجد خمسين ليلة حتى نزل فيهم العفو.

قوله (إن الله هو التواب الرحيم) القطع للاستئناف والامتنان ومضمونه التعليل، والإخبار بالتوكيد والقصر بضمير الفصل (هو) والجملة الإسمية لدلالة ثبوت معنى قبوله التوبة ورحمته بعباده، ولام التواب قصر ثان.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الفصل بنداء المؤمنين لإرادة تهيئتهم لاستقبال التكاليف، لذلك ترد ما بعده ـ غالبا ـ أساليب الإنشاء، والأمر بتقوى الله مظاهره التزام أوامره ونواهيه.

قوله (وكونوا مع الصادقين) وإنما أمرهم الله تعالى بالكون بملازمة الصادقين، لأن كون الصدق بمعناه الواسع حاصل من الصادقين، والصدق يعني مطابقة القول العمل، والمعنى: اتبعوهم ولازموهم واقتدوا بطريقتهم ومذهبهم.

وفي المجمع أثر عن الباقر عليه السلام في الآية، أي: كونوا مع آل البيت. اه. والروايات مستفيضة بأن المراد بالصادقين علي عليه السلام وآل بيته.

قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) أي: ليس من حقهم، على سبيل توبيخهم، فظاهر الكلام خبر ومعناه النهي عن تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولفظ الحول بمعنى أطراف المدينة من

سكان البادية وهم الأعراب، وفعل التخلف بمعنى البقاء غير ملتحقين بالرسول في خروجه إلى القتال، والذكر برسالة الله تعليل للنفي.

قوله (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي: ليس من حقهم أن يحرصوا على أنفسهم من دونه، ففعل الرغبة إذا عدي بالباء كان معناه الحرص والاستئثار بالشيء، وإذا تعدى بالحرف (عن) كان معناه الزهد بالشيء والتخلي عنه.

وفي الكلام إيجاز بياني شديد بهذا التركيب الفريد، إذ يندر اجتماع هذه الحروف وتكرار لفظ النفس على هذا النحو، فمن معانيه: لا يحق لهم أن يكونوا في ظل ودعة والرسول في حر ومشقة، وهو الذي أخرجهم بتأييد الله من الكفر إلى الإيمان، فيؤثروا نفع أنفسهم على نفع نفس الرسول، بل ينبغي عليهم أن يفتدوا رسول الله بأنفسهم.

قوله (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب) الكلام تعليل للنفي، ولفظ الإشارة بالبعيد لتمييز التخلف عن الرسول، والباء في (بأنهم) بمعنى: لأنهم، والظمأ العطش، والنصب التعب.

قوله (ولا مخمصة في سبيل الله) والمخمصة أصلها ضمور البطن، والمقصود بها المجاعة.

قوله (ولا يطؤن موطأ يغيظ الكفار) الوطء موضع القدم، والصورة كناية عن الانتصار على العدو بأخذ أرضه، فذلك مدعاة لحنقه وغيضه، ونسبة الغيظ إلى الوطء مجاز عقلي بعلاقة المسببية.

قوله (ولا ينالون من عدو نيلا) النيل بمعنى استحقاق الفائدة، والمقصود: إيقاع القتل أو الجراحة أو الهزيمة بالعدو، وتنكير لفظ العدو لإفادة العموم.

قوله (إلا كتب لهم به عمل صالح) أداة الاستثناء غير عاملة لأنه استثناء مفرغ يراد به القصر، ولفظ الكتابة يعني قضاء الله وحكمه، والضمير في (به) عائد إلى لفظ (نصب) وما عطف عليه، والعمل الصالح كناية عن الطاعة، أي كتب بكل شيء مما مر عمل صالح لهم.

ويكون المعنى: إن ما ينالونه من فضل عظيم يقضي بأنه ما يكون لهم التخلف عن الرسول ﷺ.

قوله (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) الإخبار مضمونه التعليل، ودل على أنهم داخلون في عموم المحسنين، وفي هذا تحريض على الجهاد وفعل البر، ونفي التضييع يراد به نقيضه وهو أنه تعالى حافظ لهم أجرهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

قوله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) الواو عاطفة، والمراد بالنفقة الصغيرة والكبيرة وبدلالة التنكير عموم الإنفاق في الجهاد وأعمال الخير، قليلة كانت أو كثيرة.

قوله (ولا يقطعون واديا) لفظ القطع يعني التفريق وهو استعارة للتجاوز، والصورة كناية عن الخروج إلى الجهاد والحرب.

قوله (إلا كتب لهم) الاستثناء للتأكيد، وضمير نائب الفاعل عائد إلى لفظ العمل الصالح في الآية السابقة.

قوله (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) اللام للتعليل متعلقة بالفعل (كتب) ونصب (أحسن) على نزع الخافض، والمعنى: ليجزيهم الله عن أحسن ما كانوا يعملون، أو بأحسن ما كانوا يعملون، قال السيد الطباطبائي: وإنما خص جزاء أحسن الأعمال بالذكر لأن رغبة العامل عاكفة عليه، أو لأن الجزاء بأحسنها يستلزم الجزاء بغيره، أو لأن المراد بأحسن الأعمال الجهاد في سبيل الله لكونه أشقها وقيام الدعوة الدينية به. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي: لا ينبغي على المؤمنين الخروج جميعهم إلى الجهاد، وهو إخبار في مقام الإنشاء، أي: لا تنفروا جميعكم.

قوله (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة) الفاء لتفريع الأمر على النفي، ولولا: أداة للتحريض، والآية تدعو إلى تخصيص طائفة من المؤمنين بالتفقه في الدين والمعارف الشرعية.

واستعمل لفظ النفرة نفسه إلى الجهاد لأن تحصيل العلم لا يقل شأنا عن الجهاد في سبيل الله.

قوله (ليتفقهوا في الدين) الكلام تعليل لجملة العرض، وهو للتفقه في أحكام الدين. و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الدين للعهد وهو دين الإسلام، والتفقه تعلم الفقه واختص بعلم الأحكام الشرعية، وهو أخص من العلم لأنه يستعمل فيما يدق علمه، ويمكن أن يكون معنى التفقه طلب العلوم عامة، على أساس معناه اللغوي وليس الاصطلاحي.

قوله (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) أي: يعلموا قومهم الراجعين إليهم القرآن ويخوفوهم به، ولفظ الإنذار مؤذن بمعنى الموعظة، لأنه ما من إنذار من شر إلا وفيه إرشاد إلى خير.

قوله (لعلهم يحذرون) تعليل للإنذار، ولفظ الحذر معناه التوقي من فعل السوء والمعصية بالعلم من عواقبها، وحذف متعلق فعل الحذر لإفادة التعميم، وفيه مناسبة واضحة مع فعل الإنذار.

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) الآية تشير إلى اتساع رقعة الإسلام، فأمر الجهاد بقتال الأقرب من الكفار فالأقرب يقتضي توسع الإسلام، وجملة (يلونكم) من الفعل ولي يلي، فالذي يليك هو القريب الذي يكون بعدك.

قوله (وليجدوا فيكم غلظة) الغلظة تعني: شدة في ذات الله، وهي استعارة لإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، و(في) في الظرف (فيكم) للظرفية المجازية، وتنكير لفظ الغلظة للتهويل.

قوله (واعلموا أن الله مع المتقين) أمر الإعلام للتنبيه من الغفلة وللاهتمام بما يراد العلم به. وتفيد المعية معنى تأييد الله للمتقين ما داموا مراعين مقام ربهم ومراقبين أنفسهم من الوقوع في إثم التعدي والتجاوز.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾

قوله (وإذا ما أنزلت سورة) رجع الكلام عن المنافقين، والواو عاطفة على قوله تعالى (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم)، وأضمر فاعل فعل الإنزال لمعلوميته، وتنكير لفظ السورة لإفادة العموم.

قوله (فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) الفاء واقعة في جواب (إذا)، ولفظ التبعيض (من) يعني به المنافقين، ومقالهم المبدوء بالاستفهام الإنكاري يراد به الاستهزاء متوهمين المقايسة بأن السورة التي لا تزيدهم إيمانا لا تزيد غيرهم من المؤمنين، والخطاب في (أيكم) للمؤمنين.

قوله (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) الفاء تفريع على حكاية استفهامهم، بحمل كلامهم على ظاهر حاله ولكن صرفه عن غير مقصدهم إلى أمر آخر لم يتوقعوه وهذا من بديع البلاغة القرآنية يسمى بالأسلوب الحكيم، فأثبت الزيادة للمؤمنين، وزاد عليه فأثبت السوء للمنافقين، عرض ذكره ابن عاشور. انتهى بتصرف.

ولفظ الزيادة استعارة من الأعراض لما ينفع، ونصب الإيمان على التمييز.

قوله (وهم يستبشرون) أي: في حال من البشر والسعادة.

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

قوله (وأما الذين في قلوبهم مرض) العطف على جملة المؤمنين لإتمام فائدة الكلام، وضمير الجمع في اسم الموصول وفي المشار إليه في لفظ (قلوبهم) راجع إلى المنافقين بدلالة الكناية عنهم بلفظ المرض، ويراد به اعتلال نفوسهم وقلقها.

قوله (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) الفاء في جواب (أما)، ولفظ الرجس معناه القذارة، والمراد بفعل الزيادة التهكم بهم، لأن الزيادة يتوقع منها فيما ينفع، والإسناد فيها مجاز عقلي بعلاقة المسببية، لأن قراءة الآيات تكون سببا في ظهور أعمالهم الدالة على نفاقهم الموصوف بالرجس أصلا، فكلما سمعوا آية ازدادوا رجسا إلى رجسهم.

قوله (وماتوا وهم كافرون) جملة حالية من ضمير الجمع في فعل الموت، أي: وماتوا كافرين بالله، ولا يخفى أن الآية تقابل معنى زيادة المؤمنين ايمانا.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

قوله (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وضمير الجمع في فعل الرؤية عائد إلى المنافقين، والمقصود بالفتنة الابتلاء للاختبار، ولفظ العام لما فيه من حدث مهم.

قوله (ثم لا يتوبون) يفيد (ثم) العطف الترتيبي في الكلام، أي: من بعد فتنتهم لا يرجعون إلى التوبة وينسون الحكمة من ابتلائهم مرة أو مرتين كل عام.

قوله (ولا هم يذكرون) إخبار مؤكد لنفي تذكر المنافقين للموعظة والنصح.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾

قوله (وإذا ما أنزلت سورة) تصوير آخر لحال المنافقين في حال سماعهم بنزول سورة من القرآن الكريم في مجلس الرسول ﷺ، وتنكير لفظ السورة للعموم.

قوله (نظر بعضهم إلى بعض) كناية عن إشارة المنافقين بعضهم لبعض بخائنة الأعين خوفا من أن تكون السورة نازلة بهم فاضحة لأمرهم.

قوله (هل يراكم من أحد) الفصل للمغايرة بين الأسلوبين فالأول خبري بفعل النظر، والسؤال بحرف الاستفهام إنشائي، وإنما السؤال لبعضهم بعضا للخوف من أن يراهم أحد لأن اجتماعهم للتآمر دائما.

أو بمعنى أن الجملة تفسير لنظر المنافقين بعضهم بعضا مستفهمين متعجبين من إطلاع النبي ﷺ على أسرارهم منكرين أن يكون الله أطلع على غيبه عنهم فيسألون ذلك السؤال بالإشارة، و(من) زائدة للعموم.

قوله (ثم انصرفوا) تفيد (ثم) العطف الترتيبي في الكلام. أي: ثم قاموا وتفرقوا عن المجلس من دون أن يكون للسورة أثر فيهم من الازدجار، وذلك جزء من فتنتهم فقد طبع على قلوبهم فلا يصل إليها هدي الآيات.

قوله (صرف الله قلوبهم) من المجاز، أي: صرفها من الإيمان إلى الكفر، أو من الهداية إلى الضلال على سبيل المجازاة لهم، ويمكن أن يكون من الدعاء عليهم المقصود به تحقيقه، وفي (انصرفوا وصرف) تجنيس بديع يحمل مفاجأة السامع بتكرار لفظ الفعل ولكن بمعنى غير متوقع.

قوله (بأنهم قوم لا يفقهون) الباء سببية، والجملة تعليل لانصراف المنافقين عن السورة، بأن شأنهم الجهل، وأفاد الإخبار بلفظ القوم دون الجملة الفعلية - فلم يقل: بأنهم لا يفقهون - لزوم صفة الجهل فيهم.

قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

قوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) القسم وحرف التحقيق مؤكدات للاهتمام عما سيعلم من إخبار، والخطاب للمؤمنين عامة، وفعل المجيء كناية عن البعثة بالنبوة، وتنكير لفظ الرسالة لإفادة تعظيمه، كناية عن نبينا محمد ﷺ، ومعنى قوله (من أنفسكم) أي: منكم ومن نوعكم من البشر تعرفونه ويعرفكم.

قوله (عزيز عليه ما عنتم) الجملة صفة لفظ الرسول، أي: يشق عليه ما يضركم، ولفظ العنت المشقة والضرر والهلاك، و(ما) مصدرية بمعنى: عنتكم.

قوله (حريص عليكم) صفة ثانية للفظ الرسول، ويفيد حرصه ﷺ على هدايتهم، فيهمه من لم يؤمن أن يؤمن.

قوله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) تقديم المتعلق من الجار والمجرور للاهتمام والعناية لخصوصية المؤمنين عنده، والرأفة أخص من الرحمة ولهذا تقدمت، وكلتاهما من صيغ المبالغة في تكثير المعنى، ذكر في المجمع أنه: لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا للنبي ﷺ، فإنه قال: (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال: (ان الله بالناس لرؤوف رحيم). انتهى.

والآية من بديع ما مدح به الرسول ﷺ في الكتاب العزيز، وجاءت مناسبةً مع آيات النفير إلى الجهاد، تلمح إلى أن هذه الصفات النبوية العظيمة أحق بالتزامهم الطاعة له.

قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩ ﴾

قوله (فإن تولوا) الفاء لتفريع الشرط على الإخبار فيما سبق من حرص النبي عليهم. والتولي هنا كناية عن الإعراض والمكابرة، وضمير الجمع فيه يعني به المنافقين.

قوله (فقل حسبي الله) الفاء في جواب (إن) الشرطية، والمقال رد من الله عليهم على لسان نبيه ﷺ، أي: كفايتي بالله واغتنائي به، وأروده بالإخبار

بالجملة الإسمية لأنه أوكد للمعنى، وهو إخبار متضمن معنى التهديد باستغنائه عنهم لغنائه بالله تعالى، وحسبه ناصرا.

قوله (لا إله إلا هو) الفصل للتعليل بتأكيد كفايته بربه فهو كاف لا كافي سواه لأنه الله لا إله غيره، ويمكن أن يكون الإتيان بكلمة التوحيد للثناء بتعظيمه سبحانه. ذكره صاحب الميزان. انتهى.

قوله (عليه توكلت) فصل لإفادة الدعاء، تفسير لقوله (حسبي الله)، وتقديم المتعلق للحصر، أي: عليه لا على غيره توكلت، وفعل التوكل مبالغة من الفعل وكل ويعني التفويض، وفي ذكرها بأمر القول للنبي ﷺ مزيد من العناية والتنويه لعظم شأنها.

قوله (وهو رب العرش) الواو لاتصال الإخبار، ولفظ الرب بمعنى المالك، وخص العرش بالذكر تفخيما لشأنه، وهو الملك والسلطان الذي يحكم به على كل شيء ويدبر به كل أمر، فالإخبار بملكه للعرش لازم بتحقيق الظفر حين التوكل عليه سبحانه، وقيل: إن هذه الآية آخر آية نزلت من السماء، وآخر سورة كاملة نزلت سورة براء، والله العالم.

سورة يونس

مكية، وهي تسع ومائة آية

وهي من السور المكية وآياتها تسع ومائة ونزلت كاملة دفعة في أوائل البعثة بدلالة سياق آياتها.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾

انتهت سورة التوبة بذكر الرسول ﷺ وبدأت هذه السورة المباركة بذكره، وما أنزل عليه من القرآن، ولأن فضاء السورة مكة انتظم سياق آياتها في إثبات التوحيد وبيان دلائله.

قوله (ألر) تقدم الكلام في الحروف المقطعة في سورة البقرة، وفيها أسرار إعجازية تتعلق بخصوصية السورة التي وردت فيها لأنها في الغالب تأتي بعدها الإشارة إلى ذكر القرآن العظيم وآياته.

قوله (تلك آيات الكتاب الحكيم) لفظ الإشارة بالبعيد لتعظيم الحروف التي تتألف منها الآيات وما تتضمن من أسرار عصية على الفهم لبعد غورها.

ولفظ الآية معناها العلامة الظاهرة، قال الراغب: والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء، يقال تأي أي أرفق، أو من قولهم: أوى إليه، وقيل للبناء العالي آية نحو (أتبنون بكل ريع آية تعبثون)

[الشعراء ١٢٨]، ولكل جملة من القرآن دالة على حكم آية سورة كانت أو فصولا أو فصلا من سورة، وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية، وعلى هذا اعتبار آيات السور التي تعد بها السورة. انتهى.

فالمراد بالآيات أجزاء الكلام التي يتكون منها الكتاب العزيز وهو القرآن بدلالة أل التعريف، وإنما سميت آيات باعتبار دلالتها على الإعجاز الذي تأيّد به الرسول ﷺ على صحة نبوته ورسالته.

وصفة الحكيم للكتاب صيغة مبالغة يراد بها معنى مُفعَل أي المحكم الذي لا فساد فيه ولا انثلام، أو بمعنى الحاكم على الكتب السماوية كما وصف في قوله (ومهيمنا عليه) [المائدة ٤٨]، واختيار صفة الحكيم باعتبار إعجاز القرآن من جهة المعنى كما ألمحت حروفه بإعجازه من جهة اللفظ في الآية.

قوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾

قوله (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم) الاستفهام مجاز يراد به الإنكار من تعجب الناس من إيحاء الله لرجل منهم، ودخوله على كان يفيد التعجب من تعجبهم لأن الكون يفيد المضي واللام للفظ الناس للتملك، بمعنى: أيحق للناس العجب، وهي أبلغ من القول: أعجب الناس.

وأراد بالناس أل العهد وهم أهل مكة، قالوا: نعجب أن الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وقوله (عجبا) خبر كان المقدم لأنه محل العناية بالكلام، وتنكيرها دلالة على إنكار تعجبهم، والمصدر المؤول من أن والفعل (أن أوحينا) اسم كان، وإنما جيء به كذلك وليس بالمصدر الصريح: وحينا، لإفادة تحقيق مضي التعجيب، وتنكير لفظ الرجل للتعظيم، و(منهم) بمعنى: من جنسهم وقومهم.

قوله (أن أنذر الناس) جملة تفسير لقوله (أن أوحينا)، والإنذار تخويف من مكروه، وتلك وظيفة الرسل التنذير والتبشير، وتقديمها على التبشير لأن الكلام في سياق الآية في المكذبين المستعجبين، واللام في لفظ الناس لاستغراق الجنس، أي: عموم الناس، وليس للعهد كما في الأولى، ولو كانت للعهد لقال: أن أنذرهم.

قوله (وبشر الذين آمنوا) الغرض الثاني من الرسالة وهو بشارة المؤمنين بالله إلها لا شريك له.

قوله (أن لهم قدم صدق عند ربهم) جملة تفسير للأمر ببشارة المؤمنين، والقدم كناية عن المنزلة والمكانة، ووصفها بالصدق مجاز بمعنى قدم صادقة أو قدم صاحبها صادق، أو تكون من الاستعارة التشخيصية، كأن للصدق قدما لإفادة ثبوتها وعدم زوالها، والظرف في قوله (عند ربهم) مجاز للتشريف لا للمكان، كما إن إضافة الرب إلى ضميرهم تبجيل لهم.

قوله (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) الفصل في الجملة لأنها واقعة بدل اشتمال من جملة (أكان للناس عجبا) توحي بأن تعجبهم بلغ بهم حد قولهم هذا، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة حكاية لما رسخ في نفوسهم من تكذيب للرسول، ولفظ الإشارة بالقريب (هذا) يراد به النبي ﷺ باعتبار سياق الآية من مفردة الرجل والضمائر الدالة عليه في فعل الإنذار والتبشير.

والسحر يعني الإيهام، وهم وصفوه بالساحر باعتبار الكلام الذي سمعوه تمويها يخلب الأسماع بتشبيهه بما يتفوه به السحرة من كلام غير مفهوم، وصفة المبين معناه سحر ظاهر للعيان، وكلام مشركي مكة من باب حيلة العاجز، فهم لم يجدوا ما يطعن به القرآن في كمال نظمه إلا القول بالتلفيق والبهتان.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قوله (إن ربكم الله) قطع الكلام مقامه التعليل لنفي التعجيب من إرسال الرسول بشرا، بذكر كمال قدرته في خلق مملكته الواسعة سبحانه، والخطاب للمشركين المتعجبين، ولفظ الرب يعني المالك وإضافته إلى ضميرهم لأنهم عبيده، ولا خيرة لهم في غير ذلك، كونهم مربوبين

مخلوقين، والتصريح بلفظ الألوهية إخبار يراد به الجمع بين الربوبية والألوهية وأنهما واحد لا يمكن تجزئتهما كما يفعل المشركون في توزيع الوظائف على آلهتهم التي يدعون شركتها لله.

قوله (الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) يدبر الامر) صلة الموصول يراد بها بيان كمال القدرة لله سبحانه علة لألوهيته تعالى، فذكر في معناه سبحانه الخلقة والتدبير في خلق العالم المحسوس من السماوات والأرض، ثم استوى على عرش قدرته الذي دبر به كل شيء، فهو خلق بإتقان وتدبير لا زيادة فيه ولا نقصان ولم يكن ذلك بمساعدة شريك ولا باعتضاد عضيد، وخصوصية ذكر الستة أيام لبيان التدرج في الخلق وكماله، وفعل الاستواء على العرش كناية عن تمام القدرة، والعرش رمز السلطان.

قوله (يدبر الأمر) فعل الحضور دال على استمراره، والتدبير كمال رعايته سبحانه وحفظه لنظام الكون، ولفظ الأمر شأن خاص به سبحانه يدل على عموم ما اختص به من شؤون الخلق وحكمة التدبير، والجملة في مقام الحال.

وقوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) جملة حالية، وهي نفي مؤكد بأسلوب القصر في أن يكون ثمة شفيع من ذاته تكون إرادته ندا لإرادة الله تعالى، كما يدعي المشركون الوثنيون أن آلهتهم من الأوثان شفعاء لهم يوم القيامة. فلا أحد يتكلم أو يشفع إلا إذا كان ذلك برضى الله وقبوله، ولا أحد ينال هذه

المنزلة الرفيعة إلا إذا ذاب في عبادة الله وأخلص قلبه لمحبته، كما هو شأن الأنبياء والأئمة الهداة والأولياء الصالحون وأولهم نبينا والأئمة الهداة صلوات الله عليهم، لذلك كان الاستثناء (إلا بإذنه) احتراس لإثبات شفاعة النبي ﷺ من النفي المؤكد، والشفيع الساعي في الخير.

قوله (ذلكم الله ربكم) القطع للابتداء والتأكيد لما أخبر في صدر الآية (إن ربكم الله)، ولفظ الإشارة بالبعيد لتعظيم ساحة الجلالة وتمييز لها بعد بيان صفات الكمال التي تقدمت من الخلق والتدبير، فعكست بعد أن تقدم لفظ الربوبية على لفظ الألوهية في صدر الآية.

قوله (فاعبدوه) الفاء لتفريع أمر العبادة على الإخبار في جملة (ربكم الله)، لأن الناس في الأصل عبيد لله من جهة التسخير، وأمر العبادة هنا يراد به عبادة التخيير، أي اعبدوه طائعين، وضمير الجمع عائد إلى المشركين، ليكون معنى الأمر اعبدوه العبادة الحقة التي لا شريك له فيها. قال في المفردات: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الافضال وهو الله تعالى. انتهى.

وقال الإمام علي عليه السلام: لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوف من عواقب زمان، ولا استعانة على ند مثاور، ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر، ولكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون، وقال: عباد مخلوقون اقتدارا، ومربوبون اقتسارا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (أفلا تذكَّرون) الفاء للتفريع، والاستفهام يراد التوبيخ والتقريع من نفي تأملهم فيما تقدم من دلائل على وحدانية الله. ولفظ التذكر ضد النسيان، وهو ما يدل على أن وحدانية الله متقررة في النفوس بالفطرة وبمجرد التأمل بمرورها على اللسان والخاطر يرجع الإنسان إلى فطرته بعبادة الله الواحد.

قوله تعالى ﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (إليه مرجعكم جميعا) تقديم المتعلق (إليه) على عامله لإفادة قصر رجوع الخلائق إليه سبحانه وحده في تأكيد معنى المعاد، ولفظ المرجع مصدر من فعل الرجوع ودلالتها حركة مبدوءة من أصل لابد من العودة إليه، ولفظ الجميع حال من ضمير جمع المخاطبين، أي: يجمعكم في حال لا يتخلف عنها أحد.

قوله (وعد الله حقا) أي: وعدكم الله وعدا حقا، ومضمون الجملة مؤكدة لما قبلها في قصر الرجوع إليه سبحانه، ونصب لفظ الوعد لأنه مفعول مطلق، ونصب لفظ الحق لأنه صفة للوعد، والحق هو المعنى المطابق لواقعه.

قوله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) الفصل لأنه جملة تعليل وتفصيل لإجمال قوله (إليه مرجعكم جميعا)، والابتداء بالاسم للتأكيد، والأفعال المضارعة تدل على تمام القدرة بتجدد الخلق وإعادته. والخلق يقال في معنى المخلوق

وهو كل ما يدرك ببصر، وتفيد (ثم) التراخي الترتيبي في الكلام، أي يأخذ الخلق سهمه في الوجود ثم يعاد إلى مبدأ ما جاء منه، وإنما ذكر لفظ الإعادة لأن المشركين ينكرون المعاد، فدل بذلك على أن إفاضة الوجود على الخلق لا تفنى بأجلها المضروب لها بل هي عود ورجوع إليه سبحانه وقد كانت نزلت من عنده سبحانه.

قوله (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) اللام لتعليل المعاد بإقامة العدل المؤجل في عالم الدنيا، لأن من عدل الله ألا يستوي عنده المؤمن به والكافر، وهما أمران قد لا يبين الفرق بينهما في عالم الدنيا، وقدم جزاء المؤمنين لأن عالم البعث خاص بإثابتهم وإنصافهم، وعمل الصالحات بمعنى عمل الأعمال الصالحات، والإتيان بجملة الموصول وتفصيل صلته مشعر بتعجيل البشارة في الجزاء.

ومعنى الظرف في قوله (بالقسط) أي: بالعدل، والباء لتعدية فعل الجزاء، مؤذنة بالعوض باعتبار مجازاتهم بما عملوا في الدنيا بالعدل فضلا منه سبحانه بتأنيس نفوسهم وإكرامهم بأن جزاءهم استحقوه بما عملوا، قال ابن عاشور: ومن أعظم الكرم أن يوهم الكريم أن ما تفضل به على المكرم هو حقه وأن لا فضل له فيه. ذكر في التحرير. انتهى.

قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم) الواو للاستئناف بذكر الكافرين بعد ذكر جزاء المؤمنين، وتقدم المتعلق (لهم) لإفادة استحقاقهم العذاب، والشراب السقي، وتنكيره لنوعيته وخصوصيته بهم

كون مصدره من حميم، ولفظ الحميم من الحمة، ويقال للماء الحار في خروجه من منبعه، وخولف بين الأسلوبين فلم يعطف على جزاء المؤمنين، ولم يأت على ذكر القسط، مع أن جزاءهم بالقسط من ضمن عدل الله، لأنه أريد العناية بالمؤمنين وتجاهل الكافرين، وذكر العذاب الأليم بعد الشراب من باب ذكر العام بعد الخاص لإفادة استحقاقهم أنواع العذاب ولئلا يتوهم الاكتفاء بعذاب شراب الحميم، وصفة الأليم مبالغة في المؤلم، والألم الوجع الشديد.

وقوله (بما كانوا يكفرون) الباء في (بما) تفيد السبب، و(ما) اسم موصول، والجملة تعليل لاستحقاقهم العذاب الأليم، والكلام مقابلة لمعنى جزاء المؤمنين بما أقسطوا.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ ﴾

قوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) الكلام لإظهار كمال الألوهية بالخلق والامتنان، أي: الله لا غيره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور، والضياء أعلى مرتبة من النور، لذلك كل ضياء نور وليس كل نور ضياء، وخص الشمس بالضياء والقمر بالنور لأن الضياء أشد في كشف الظلمات من النور، وضمير الفصل للقصر، وتعريف الموصول

قصر ثان، وفعل الجعل بمعنى التصيير، بحركة الأرض حركة دورانية منتظمة في فضاء الشمس والقمر ينشأ منها مقابلة جانب من الأرض لضياء الشمس فيحصل النهار، ويحجب عنه الجانب الآخر للأرض فيحل الظلام، وبتدبير الله ينعكس نور القمر على الأرض من أثر الشمس، وفي ذلك كله قدّر الله للإنسان تنظيم شؤونه، ولولا ذلك ما أمكنه البقاء.

قوله (وقدره منازل) أي: دبّر القمر بقدر متقن في منازل مسيره، فلكل ليلة له مرتبة بحسب قربه وتباعده من الشمس، التي يظهر بها لأهل الأرض هلالا ثم يكتمل بدرا ثم يختفي فيها محاقا، وهكذا كل ثمان وعشرين منزلة على عدد ليالي الشهر القمري.

قوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) اللام للتعليل، أي: ليهتدي بها الناس لإصلاح شؤونهم ونظمها فيحسبوا بها أيامهم وشهورهم وسنيهم بحساب متقن على وفق ذلك.

قوله (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) الفصل للابتداء لأنها نتيجة مستفادة مما سبق، وأشير بلفظ الإشارة إلى نظام الكون، والباء للملابسة، وأريد بلفظ الحق الحكمة والتدبير الذي يقابل معنى العبث في الباطل، ويحتمل موقعها الحال.

قوله (يفصل الآيات لقوم يعلمون) ولفظ التفصيل معناه التقسيم ويراد الظهور والتبيين اللازمين منه، ويظهرها لقوم ديدنهم العلم، وفي الكلام تعريض بمن لم ينتفع من دلائل الخلق مما ذكر فهم خارج دائرة العلم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ ﴾

قوله (إن في اختلاف الليل والنهار) فصلت الآية لأنها تعليل لقوله (يفصل الآيات لقوم يعلمون)، ولفظ الاختلاف من الخُلف بأن يخلف هذا مكان هذا، واختلافهما بسبب تدبير الله المتقن لحركة الأرض حول نفسها بحساب معلوم كما تقدم، ينتج منه تعرض جانب منها لضوء الشمس يكون منه النهار، في الوقت الذي يغيب الضوء من جانبها الآخر فيكون الظلام الذي هو الليل، فيبدو كأن هذا يخلف ذاك في حركة متعاقبة دقيقة ومستمرة.

وقوله (وما خلق الله في السماوات والأرض) الواو عاطف، ولفظ الخلق الإيجاد والتدبير، والكلام أشمل في المعنى من اختلاف الليل والنهار لإفادة استقصاء منن الله وإنعامه على خلقه الذين أشار إليهم في (ما) الموصولة ويدخل فيها ما يعقل وما لا يعقل، والابتداء بذكر السماوات قبل الأرض لأنها أكبر وأهم، والسماوات الأجرام السماوية العليا وهي أكثر من أن تحصى، وإفراد الأرض لأن فيها تكليف الإنسان.

قوله (لآيات لقوم يتقون) اللام للتوكيد واقعة في خبر (إن)، ولفظ الآيات لدلائلها الواضحة في أن وراء خلقها إلها واحدا لا شريك له، وإنما هي آيات للمتقين لأنهم الأجدر بفهمها والاستدلال بها على الوحدانية والانتفاع منها.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾

قوله (إن الذين لا يرجون لقاءنا) الفصل للابتداء، ومضمونه الوعيد للكافرين لذلك حسن إسناد الإخبار إليه تعالى بنون العظمة، والذين لا يرجون لقاء الله هم الكافرون المنكرون للبعث والمعاد، وجيء باسم الموصول وصلته لبيان علة حصول الخبر في الآية اللاحقة (أولئك مأواهم النار).

قوله (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) العطف لتفصيل أحوال الكافرين، وفعل الرضى متضمن معنى القبول والاستبدال لذلك عدي بباء العوض والمقابلة في (بالحياة)، أي: بدلوا لقاء الله بالدنيا، لرضائهم بها، والإتيان بوصف الدنيا للفظ الحياة لبيان سفه رضاهم بها لأن الدنيا من الدنو وأصله القرب ويراد به الحياة المؤقتة الزائلة الأقل في المنزلة من الآخرة الباقية.

قوله (واطمأنوا بها) العطف لإفادة أن ما بعدها من تمام صلة الموصول، وفعل الاطمئنان معناه السكون بعد الانزعاج، فهم جعلوا همتهم في الدنيا فسكنوا إليها فلا همة لهم أبعد من ذلك.

قوله (والذين هم عن آياتنا غافلون) الواو عاطفة على الابتداء بالاسم الموصول، وجملة الموصول تقرير لمعنى ما سبقها، لأن الرضى بالدنيا

والإخلاد إليها مساو للغفلة عن آيات الله ونسيانها، والجملة إخبار بثبوت الغفلة عن التدبر بآيات الله لأن ذلك شأنهم.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قوله (أولئك مأواهم النار) لفظ الإشارة للبعيد للتمييز ورسوخ معنى الكافرين في الذهن، والمأوى مكان الإيواء بعد الرجوع إلى مصيرهم، أي: مستقرهم في النار، والجملة الإسمية من المبتدأ وخبره تقع خبرا لـ (إن).

قوله (بما كانوا يكسبون) الباء سببية، والجملة علة لمصير الكافرين في النار.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الكلام يقابل الذي قبله، والفصل للابتداء والاستئناف، وفي اقتران العمل الصالح بالإيمان إيماءة إلى أن الاعتقاد لا يغني عن العمل به.

قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم) جملة فعلية واقعة في خبر(إن) تفسير لما قبلها، وفعل حضور الهداية لعناية الله بالمؤمنين في تجدد هدايته لهم، كما أن إضافة لفظ الرب إلى ضمير أنفسهم تشريف لهم، والباء المقترن بلفظ الإيمان حرف جر يفيد علة هداية الله لهم، أي بسبب إيمانهم.

قوله (تجري من تحتهم الأنهار) الجملة واقعة موقع التفسير لما تقدم خبر ثان لاسم (إن)، وإنما تجري من تحتهم الأنهار لأنهم في علو عنها ومساكنهم مشرفة عليها.

قوله (في جنات النعيم) و(في) حرف يفيد الظرفية، والجنات جمع جنة، والنعيم أسمى درجات الجنة وإضافة الجمع للمبالغة في نعيم جنة النعيم.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (دعواهم فيها) أي: دعاء المؤمنين في جنات النعيم.

قوله (سبحانك اللهم) السبحان صيغة مبالغة بمعنى التنزيه. وصيغة اللهم صيغة نداء بمعنى: يا الله، أضيف إليها الميم فاستغني به عن حرف النداء، والمعنى أن دعاءهم: اللهم إنا نسبحك، والمراد أن أهل الجنة لا يشغلهم شيء عن التسبيح لله ودعائه، وقد يأتي الدعاء بمعنى العبادة، أي: يتلذذون بتسبيح الله لأن الجنة لا تكليف فيها.

قوله (وتحيتهم فيها سلام) قيل: تحية الله لهم في الجنات السلام، وقيل: تحية الملائكة، وقيل: تحية بعضهم لبعض، أي: سلمتم من الآفات والمكاره التي ابتلي فيها أهل النار، وتنكير لفظ السلام للتعظيم بمعنى: لكم سلام، أو: عليكم سلام، وعبر عنها بالإخبار بالجملة الإسمية لإفادة ثبوتها.

قوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أي: آخر ما ينهون دعاءهم في خاتمته (الحمد لله رب العالمين) بتثبيت الحمد لله، الموصوف بالرب الذي تجمعت فيه عوالم الربوبية كلها.

وفي علل الشرائع قوله ﷺ في حديث طويل مع يهودي وقد سأله عن مسائل: إذا قال العبد: سبحان الله سبح كل شيء معه ما دون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها، وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، وينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا الحمد لله، وذلك قوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام). انتهى. أي لا يبقى من حديث الدنيا الذي كان يستعمل في الكلام إلا تحميد الله والثناء عليه، لأن هذا هو كلام أهل الجنة.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ ﴾

قوله (ولو يعجل الله للناس الشر) تفيد لو حرف امتناع لامتناع، والتعجيل التسريع لما هو مكروه، والمقصود: أن الله تعالى لا يعجل الشر للناس.

قوله (استعجالهم بالخير) تشبيه بليغ، أي: كاستعجالهم بالخير، والاستفعال طلب الفعل.

قوله (لَقُضي إليهم أجلهم) اللام في جواب (لو)، أي: لانتهت حياتهم في الدنيا، لتقديم أجلهم المضروب لهم، كناية عن إنزال العذاب بهم، لذلك عدي فعل القضاء بـ (إلى).

قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) الفاء للتفريع، وفعل الذر بمعنى الترك بكراهة، وفائدة الإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الخبر.

والنفي في قوله (لا يرجون لقاءنا) أي: لا يتوقعون حصول يوم القيامة، ولا يعملون لأجله، و(في) لظرفية المجازية، ولفظ الطغيان مبالغة في تجاوز الحد، وتقديم الظرف (في طغيانهم) للاعتمام، وجملة (يعمهون) محلها الحال، ولفظ العمه يعني شدة الحيرة، والإتيان بمضارع فعله لتجدد حيرتهم.

ومحصل معنى الآية: لو يعجل الله الشر للناس كاستعجالهم بالخير لأنزل عليهم العذاب فأهلكهم ولكنه يدع الكافرين بالمعاد يتحيرون في طغيانهم.

وفي الكلام عدول من ضمير المفرد في التصريح باسم الله في قوله (ولو يعجل الله) إلى ضمير التكلم (نا) مع الغائب لإفادة التعظيم إيماء إلى الإذن بتوسط الأسباب من الأعوان والخدم في بعض الأمور جريا على عادة العظماء.

وفي الآية دلالة على أن النظام الذي خلقه الله قائم على الأسباب والمسببات، ولكن الإنسان بحسب طبعه يتعجل الأمور، فالآية دالة على أن

الله تعالى لا يُمضي الأسباب بما رغب الإنسان بحسب هواه ـ ولو كان لنزل به العذاب لأن سببه قائم، لذا أجراها ـ سبحانه ـ بما قدر لها رضي الإنسان ذلك أم كره.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما) أسلوب الشرط لتفصيل أحوال الإنسان، واستعمال فعل المس مع الضر لإفادة معنى ما يداخل القلب من رعب وشر وغم، وتعريف لفظ الإنسان لاستغراق الجنس لإرادة العموم، أي: شأن كل إنسان اللجوء إلى قوي يخلصه من كل ضرر يهدده.

وفعل الدعوة يوحي بمعنى الاستغاثة، أي: نادى: يا لله مستغيثا، وضمير التكلم فيه لإفادة التعظيم، والجنب صفحة الإنسان وجانبه كناية عن وقت راحته واستلقائه، واللام المقترن باللفظ بمعنى (على) لتمكن الراحة من جسمه، والظرف وكذا الألفاظ بعد (أو) الترديد موقعها الحال.

والفاظ الجهات للإنسان من الجنب والقعود والقيام كناية عن دعوته ربه في كل حالاته وقت الشدة، فالإطناب بذكرها بقصد تعميم الأحوال.

قوله (فلما كشفنا عنه ضره) الفاء للتفريع على الشرط، وفعل الكشف معناه الإزالة، ولذلك تعدى بحرف التجاوز، والفعل مجاز استعاري تشبيها للضر بشيء ساتر، والضر الأذى وإضافته إلى ضمير الإنسان للدلالة على أنه هو مسببه لنفسه وبجزاء عمله.

قوله (مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) جواب (لما)، ولفظ المرور يوحي بالسرعة والنية بعدم المكث، وهي كناية عن عدم الاهتمام بالشيء.

والتشبيه التمثيلي تصوير حاله وهو يمر غير مبال كأنه لم يسبق أن دعا الله من ألم تمنى زواله، أي: نسي اضطراره واحتياجه إلى الله، وتعدية فعل الدعوة بـ (إلى) وليس اللام ـ كما هو الغالب ـ استعارة تبعية تشبيها للضر بالعدو الذي فجأ الإنسان فدعا ربه إلى نصرته على عدوه. ذكره ابن عاشور. انتهى بتصرف.

قوله (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) أي كذلك الحال من اللامبالاة وعدم الاكتراث، وفعل التزيين معناه التحسين والتزويق بقلب السيء حسنا، وإضمار الفاعل لأنه من عمل الشيطان الذي مكنه المسرفون من أنفسهم، ولفظ الإسراف معناه تجاوز الحد وأصل استعماله في الإنفاق وجلب للعاصين بكثرة الاستعمال، وتركيب ما الموصولة مع الكون الماضي ثم فعل الحضور يفيد أن العصيان ديدنهم وهو متجدد فيهم متكرر.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) الكلام في مورد تحذير المشركين وضرب الأمثلة بعد بيان إصرارهم، لذلك نجد عدولا في الكلام من الغيبة إلى الخطاب ليكون التحذير أشد وأوقع، والابتداء بالقسم والتحقيق في (لقد) لأهمية الإخبار.

وفعل الإهلاك وقع بالأمم الماضية بعذاب الاستئصال والهلاك المبرم كعاد وثمود ونوح، ولفظ القرون جمع لقرن، قال الراغب: الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني، وقال: والقرن القوم المقترنون في زمن واحد. انتهى. والمراد الأمم السابقة زمنيا للعرب المخاطبين.

قوله (لما ظلموا) تعليل لفعل الإهلاك، والمراد بظلم القرون إصرارهم على الكفر وإنكار الرسل.

قوله (وجاءتهم رسلهم بالبينات) جملة تفسير لقوله (لما ظلموا) وذلك من رحمة الله أنه لا يأخذ أمة بعذاب حتى يرسل إليهم الرسل بالحجج الساطعة الواضحة، وأراد بهم هود وصالح، وسمى معاجز الأنبياء بينات كناية عن وضوحها وظهورها غير خافية، والباء المقترن بلفظ البينات للملابسة.

قوله (وما كانوا ليؤمنوا) النفي الداخل على الكون المنفي ولام الجحود صيغة شديدة التأكيد، أي: شأنهم الكفر وعدم الإيمان برغم الرسل والمعجزات.

قوله (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي كذلك الإهلاك باستئصال الشأفة جزاء المجرمين، ودلالة الإخبار بالفعل المضارع إيماءة إلى إمكان تجدد العذاب بالمجرمين، والإتيان بصفة المجرمين للفظ القوم لبيان علة الجزاء، وفي الكلام إيماء وتلويح لمشركي مكة.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم) تفيد (ثم) التراخي الترتيبي في الكلام للتذكير بمنن الله تعالى على العرب، ولفظ الخلائف جمع خليفة، وهو ما يأتي بعد متقدم، وهو استعارة لما يورث، أي: كأنه أورثهم الأرض بعد موت من سبقوهم، وتعريف الأرض أراد بها المعهودة الحاضرة المتبادرة إلى الذهن وهي أرض الجزيرة وما جاورها لأن العرب خلفوا أمم عاد وثمود جوارهم في اليمن وطسم وجديس وجرهم، لذلك قال (من بعدهم)، و(من) لتأكيد البعدية.

قوله (لننظر كيف تعملون) اللام للتعليل، وفعل النظر لا ينطبق على الله حقيقة فهو مجاز بمعنى الإدراك والمعرفة والتحقق، لأن النظر أقوى

طرقها، والكلام فيه تهديد شديد، لأن هذا التوريث لا يعني القبول المطلق، بل هو للابتلاء لظهور أعمال الخير أو الشر.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) الكلام احتجاج على المشركين، وفيه عدول من خطاب الحضور إلى الغيبة ليكون سبيلا إلى خطاب النبي ﷺ بأمر القول.

وفعل التلاوة يعني القراءة من استظهار وحفظ، وإضمار فيه الفاعل اتساقا مع سياق الضمائر الغائبة في الآية، والمراد به النبي ﷺ، وضمير الجمع في (عليهم) عائد إلى المشركين. ونسبة الآيات إلى ضمير التكلم (نا) نسبة تعظيم، ولفظ البينات واقعة حالا ومعناها واضحات في الشريعة.

قوله (قال الذين لا يرجون لقاءنا) فعل القول ومقال المشركين جواب الشرط، والصلة المتضمنة إنكارهم للبعث والنشور علة متقدمة على النتيجة في إنكار القرآن.

قوله (ائت بقرآن غير هذا أو بدله) أمر الإيتاء بمعنى: أحضر واجلب، والباء المقترن بلفظ القرآن للتعدية، وتعريف القرآن للعهد الحضوري، ومعنى غيره، أي غير آياته، أو تبديله بمعجزة أخرى، وإنما طلبوا من النبي ﷺ الإتيان بغير القرآن أو تبديله لأن أساس آياته الدعوة إلى التوحيد ونبذ الفحشاء وذلك لا يتوافق وأهواء المشركين للدخول في الإسلام، فكأنهم أرادوا مقابل إيمانهم بالرسول تغيير القرآن وما فيه، لأنهم لا يؤمنون بقدسية القرآن.

واقتراح المشركين على النبي ﷺ دال على جهلهم بعدم التفريق بين مقام الألوهية مصدر المعجزات وبين رسله المؤدين عنه تعالى رسالته إلى عباده.

قوله (قل ما يكون لي أن أبدله) أمر القول تلقين من الله لنبيه ليكون ردا على اقتراحهم، ونفي الكون بمعنى ليس من حقي ذلك، ولا يقع بيدي، ولا أملك ذلك، لأنه مبلغ من الله لا يملك الإتيان بالمعجزة.

قوله (من تلقاء نفسي) في موقع الحال، وتلقاء بكسر التاء مصدر كاللقاء والتبيان استعمل ظرفا، والمراد لا أمتلك السبب الذي يمكنني من جهة نفسي، لأني مبلغ لا متصرف.

قوله (إن اتبع إلا ما يوحى إلي) الفصل لتعليل ما سبق من النفي، وأكد المعنى بأشد أساليب التوكيد بالقصر بالنفي والاستثناء، والاتباع الانقياد وهو مجاز في عدم التصرف كون المتبع مقتفيا أثر ما تقدمه، وإبهام

أسلوب الإيحاء لأن طرقه إعجازية خارقة للعادة، وتعدية فعل الوحي بحرف الانتهاء لأنه متضمن معنى التبليغ.

قوله (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) الفصل لتعليل جملة الاتباع السابقة، والابتداء بـ (إن) للتأكيد، وفعل العصيان كناية عن التغيير بآيات القرآن، وتنكير لفظ العذاب لإرادة تهويله، وإضافته إلى لفظ اليوم ووصفه بالعظم مبالغة فيما تضمنه من عذاب يوم الحساب.

وفي التلقين على لسان النبي ﷺ تقابل في المعنى لمنكري المعاد في قوله تعالى (الذين لا يرجون لقاءنا)، وهذا من التعليم في أدب الأنبياء الرفيع يظهر على ألسنتهم كلما اقترح عليهم أقوامهم اقتراحا دل على جهلهم بمقام الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) التلقين عناية من الله بنبيه وتعليم له، والكلام احتجاج على بطلان اقتراح المشركين في الإتيان بغير القرآن، بمعنى: اقتضت مشيئته سبحانه أن أقرأ عليكم آياته وأعرفكم بكتابه، ولو شاء الله غير ذلك لما قرأت عليكم آياته.

قوله (ولا أدراكم به) أي: ولا عرّفكم الله كتابه، وتفيد (لا) تأكيد النفي، والألف في (أدراكم) للتعدية، والفاعل الله تعالى، وضمير جمع المخاطبين للمشركين، والباء في (به) للتعدية، والهاء عائد إلى القرآن.

قوله (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) الفاء لتفريع التعليل على النفي، والتعليل استدل به على صحة احتجاجه عليهم، فهو قبل بعثته بالنبوة لم ينزل عليه كتاب يحاجهم به، ويتحداهم بنظمه، لأن الأمر بيد الله تعالى.

واللبث طول المكث، والظرفية في قوله (فيكم) أي: بينكم، وتنكير لفظ العمر أراد به التكثير أي: عمرا ممتدا لأربعين عاما، وهي مدة بقائه ﷺ بينهم في مكة قبل أن يبعث بالنبوة، ومعنى قوله (من قبله) أي من قبل نزول الكتاب.

قوله (أفلا تعقلون) الفاء لتفريع النفي، والاستفهام يراد به الإنكار والتقريع، ونفي العقل عنهم، لأن به يتم الإدراك فيمنع المرء من القول بما يجهل.

قوله تعالى ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) الكلام مفرع على ما قبله من نفي لأنه من تتمة التلقين في رد النبي ﷺ على مشركي مكة، والاستفهام إنكاري، أي: لا أحد أشد ظلما، والترديد لحصر فئتي الظالمين

وأشار إليهما بالإفراد: المفتري على الله كذبا والمكذب بآياته، أي: لا أظلم من هذين.

والكلام احتجاج على المشركين وتعريض بهم بوصفهم ظلمة، فظاهرها أنه لا يجيبهم إلى اقتراحهم لأنهم لو فعل ذلك لكان من واحد مما ذكر من الفئتين، ويمكن أن تكون الفئة الأولى من شقي الترديد إشارة للنبي في حال إجابتهم حاشاه، والشق الثاني للمشركين.

قوله (إنه لا يفلح المجرمون) الإخبار من تتمة التلقين، ونفي الفلاح بمعنى نفي الظفر لعموم المذكورين من المكذبين الذين سموا بلفظ المجرمين، والإجرام أشد الذنوب.

قوله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨ ﴾

قوله (ويعبدون من دون الله) إخبار من الله تعالى عن المشركين، وفعل حضور العبادة لاستمرارهم بالشرك وضمير الجمع فيه عائد إلى المشركين، و(من) ابتدائية، ودون الله: أي غيره تعالى.

قوله (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) والأصنام الجامدة التي لا حياة فيها هي التي لا تضر ولا تنفع، وخصت بهذه الصفة لإفادة تشنيع عبادتها وتسفيه عبادها، ولا يعني ذلك تسويغ عبادة من يضر وينفع من دون الله.

قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ومقالهم بأن الأصنام شفعاؤهم لأنهم كانوا كلما خوفوا بعذاب الآخرة ادعوا أن الله أذن لهم بعبادتها وأنه سيشفعها فيهم في الدنيا والآخرة، والعندية في قوله (عند الله) للمنزلة لا للمكان.

قوله (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض) أمر القول للنبي ﷺ رد من الله تعالى على زعمهم، والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ، والمراد: أتعلمون الله بشريك لا يعلمه، وهو يعلم ما في السموات والأرض.

قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) إخبار بمعنى إنشاء التنزيه لذلك فصلت، و(ما) مصدرية بمعنى: إشراكهم، وهو من كلام الله لا من قول النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (وما كان الناس إلا أمة واحدة) أي: كان الناس موحدين في الأصل يجمعهم الاعتقاد الواحد، فجيء بأسلوب النفي والاستثناء للقصر.

قوله (فاختلفوا) الفاء للتفريع، واختلاف الناس يعني تفرقهم في الدين بسبب علماء السوء، بدلالة سياق الآيات حول فساد الاعتقاد في عبادة الأصنام.

قوله (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) أي: لولا وعده تعالى في قوله (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة ٣٦]، لحكم الله بالفصل بين المختلفين فيهلك المبطلين ويحق المحقين في توحيده سبحانه، فلفظ الكلمة مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد الكل، وهو كلامه تعالى الذي تقدم، ومعنى: سبقت: تقدمت، واللام المقترن بفعل القضاء واقعة في جواب (لولا)، والضمير في (بينهم) عائد إلى المختلفين، و(فيما) مكونة من (في) الظرفية المجازية، و(ما) اسم موصول، و(فيه) متعلق بفعل الاختلاف تقدم للأهمية.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) الكلام حكاية من الله عن اقتراح المشركين، وبيان لاجترائهم عليه تعالى بإنزال آية أخرى غير القرآن تضطرهم إلى الإيمان بالله، و: لولا أداة تحضيض بمعنى هلا، والضمير في (عليه) راجع إلى الرسول. وتنكير لفظ الآية لإفادة نوعيتها في كونها غير القرآن، و(من) ابتدائية، وإضافة الرب إلى ضمير النبي إزراء من المشركين واستخفاف، لأنهم أخرجوا أنفسهم من المربوبية.

قوله (فقل إنما الغيب لله) الفاء لتفريع تلقين الرد على الاقتراح، وأورد المقال بلفظ التأكيد بالقصر (إنما) لاختصاص الله بالغيب، واللام لام الملك والاستحقاق، والمراد: أن إنزال المعجزات تكون بعلم غيبي يعلم به الله مصالح العباد ولا يعلمها غيره سبحانه.

قوله (فانتظروا إني معكم من المنتظرين) الفاء لتفريع الأمر على القصر، وأمر الانتظار متضمن معنى التهديد، والإخبار بالجملة الإسمية تعليل لأمر الانتظار أنصف فيه النبي ﷺ خصومه في الكلام حين ساوى نفسه معهم بالانتظار غير أنه ﷺ أضمر فيه تأييده ونصره بالانتظار، بينما انتظار المشركين يكون بإنزال العذاب لهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١ ﴾

قوله (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) تفيد (إذا) الشرط، فعل التذوق استعارة يستعمل في مطلق الإدراكات، وتعريف الناس أراد به كفار قريش، وإن كان المعنى يمكن إفادته للعموم لكن سياق الآيات متصل في الكلام عنهم، و(من) للتأكيد، والضراء تقال للمصيبة وهي صفة لموصوف محذوف للمبالغة، وتنكيرها لإفادة تهويلها فقد قيل إن مجاعة اصابت قريشا سبع سنين بدعاء النبي ﷺ ثم رفعها الله عنهم فازدادوا بغيا، وفعل المس يراد به إصابة بمخالطة، وجملته موقعها الصفة لضراء.

قوله (إذا لهم مكر في آياتنا) تسمى (إذا) الفجائية وهي حرف داخل على جملة الجواب، أغنى عن حرف فاء الجواب، والمكر كما ذكر الراغب: صرف الغير عما يقصده بحيلة. انتهى. ومكرهم يكون باستهزائهم بآيات الله وتكذيبهم بها.

قوله (قل الله أسرع مكرا) لفظ السرعة مجاز في إرجاء المجازاة الذي سمته الآية مكرا للمشاكلة في الكلام، وهو استعارة تمثيلية فهيأة ظاهر التأجيل يوهم المشركين بأنهم مرضيون في أمن من المكاره، بينما هم يزيدون ركوسا في المهلكة، وهي تشبه هيأة الماكر، ومن هنا سمي مكرا.

وفي كنز العمال: روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثوابا البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه. انتهى.

قوله (إن رسلنا يكتبون ما تمكرون) القطع للتعليل، والإخبار المؤكد متضمن معنى التهديد للمشركين، والرسل كناية عن الملائكة الكاتبين، وفعل الكتابة استعارة للتوثيق، وإيراد الأفعال بالمضارع للإيحاء بتجدد الحدث فيها فالملائكة مستمرون بتوثيق مكر المشركين المصرين على تكرير فعلهم.

وفي الكلام تغيير مفاجئ في الخطاب، تمثل في مفاجأة التلقين في قوله بضمير الإفراد الغائب (قل الله أسرع مكرا) رد به على مكر الماكرين، ثم رجع إلى سياقه الذي بدأه بالإسناد إلى ضمير التكلم الجمعي المفيد للتعظيم في الألفاظ: أذقنا، آياتنا، رسلنا، وفيه كذلك عدول من التكلم عن ضمير الجمع الغائب في: الناس، مستهم، لهم، إلى ضمير جمع المخاطبين في: (تمكرون) لأنه أبلغ في إفادة التهديد.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (هو الذي يسيركم في البر والبحر) الكلام في معرض امتنان الله بالنعم ومقابلتها بالجحود والكفران.

القصر بضمير الفصل لإفادة الاختصاص، ولفظ التسيير تكثير في معنى المضي، وفيه دلالة إلهام الناس إجالة الفكر ومراعاة أحواله، لذلك أسند إلى الله على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المسببية، و(في) للظرفية المجازية، وذكر البر والبحر لاستقصاء الامتنان على عباده في كل مكان.

قوله (حتى إذا كنتم في الفلك) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، والفلك هي السفن سميت بذلك لأنها تدور في البحر.

قوله (وجرين بهم بريح طيبة) العطف لربط عدول الكلام بما قبله، أي الفلك تجري بيسر، وفعل الجري يعني السير السريع في البر أو البحر، والريح الطيبة تعني الملائمة، وهي كناية عن سكون البحر وهدوء أمواجه.

وفي الكلام التفات من ضمائر الخطاب في ذكر النعم إلى ضمائر الغيبة التي أريد منها التخلص إلى ذكر المشركين في الآية اللاحقة.

قوله (وفرحوا بها) أي فرحوا بطيب الريح، والفرح ظهور السرور على الوجوه، قوله (جاءتها ريح عاصف) جملة المجيء جواب (إذا)، وضمير الهاء في فعل المجيء عائد إلى الفلك، لأنه جمع غير العاقل يعامل معاملة المفرد المؤنث، والريح شدة هبوب الهواء استعملت في العذاب، وإنما ذكرت الريح مع وجود لفظ العاصف لأنها سبب فيما سيأتي من هيجان البحر.

ولفظ العصف تعني السرعة الشديدة واختص بصفة الريح لذلك لم تلحقه التاء المربوطة، وفيها دلالة المفاجأة، لأنهم لم يكونوا يتوقعون ذلك بدلالة ما تقدم، وهو من تدبير الله لتخويفهم وتذكيرهم بوحدانيته تعالى.

قوله (وجاءهم الموج من كل مكان) تصوير لاعتلاء موج البحر عليهم من كل جهة، وإسناد الموج إلى الفعل على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، وتعريفه للعموم بدليل عموم الكلية.

قوله (وظنوا أنهم أحيط بهم) فعل الظن استعمل بدلالة اليقين، ولفظ الإحاطة استعارة لمعنى الهلاك، أي أخذوا وهلكوا كما يقال: أحيط بالعدو فلا يستطيع الانفلات.

قوله (دعوا الله مخلصين له الدين) الجملة تقع جوابا لـ (إذا)، ولفظ الدعوة من الدعاء، وهو طلب النجاة في هذا المقام من الله، وموقع لفظ المخلصين الحال، وتقديم (له) للاختصاص، وتعريف الدين للعهد يراد به دين الإسلام التوحيدي، ومحله النصب لاسم الفاعل (مخلصين)، والمعنى: أي دعوا الله في حال من التوحيد ونسيان الأصنام، وإنما خلصوا دينهم من الشرك لأن ذلك ديدنهم وقت الشدة.

ومن هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: قوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف. انتهى. وذلك أن النفوس مفطورة على الفزع عند الشدائد والخطوب الطارقة إلى الالتجاء إلى خالقها وبارئها، وشاهد ذلك راكبو السفينة عند تلاطم الأمواج، يجأرون إليه سبحانه اضطرارا لا اختيارا، فدل ذلك على أن العلم به مركوز في النفس، نظير قوله سبحانه: (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) [الإسراء: ٦٧].

قوله (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) الفصل لتضمن معنى فعل الدعوة القول، فالجملة بيان لدعائهم مبدوء بالقسم الداخل على الشرط للعهد على أنفسهم بعد النجاة بأن يكون حالهم الشكر لله دائما، فعبروا بالكون (لنكونن) وليس بالفعل: لنشكرن، زيادة في التشديد على العهد، والإشارة بـ

(هذه) للشدة أو المصيبة دلالة على ظنهم بقرب هلاكهم بالغرق، واللام في (لنكونن) واقعة في جواب القسم للتأكيد، و(من) للتبيين، والشكر تصور النعمة وإظهارها ويكون بالقلب وباللسان وبالجوارح.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣ ﴾

قوله (فلما أنجاهم) الفاء لتفريع تنجية الله للناكرين على قسمهم الذي قدموه.

قوله (إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) و(إذا) الفجائية وجملتها جواب (لما)، وتفيد معنى تعجيلهم البغي في الأرض، والبغي يعنى الاعتداء والظلم، بدلالة تقييده بغير الحق، ولو يقصد بالظلم معنى الشرك لأصبح القيد زائدا بغير فائدة.

قوله (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) الفصل للإنشاء بعموم النداء، وفيه عدول من الغائب إلى الخطاب لإفادة معنى التحذير المباشر وهو أوقع حين يكون بلا واسطة، والقصر بـ (إنما) لإفادة التأكيد والاختصاص، فإن البغي الذي يطلبونه سيقع عليهم خاصة، ودلالة حرف الجر (على) للتمكن والاستعلاء، أي استقرار البغي فيهم، وتمكنه منهم.

وفي الدر المنثور: روي عن النبي ﷺ قوله: ثلاث هن رواجع على أهلها: النكث والمكر والبغى، ثم تلا رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه). انتهى.

قوله (متاع الحياة الدنيا) جملة تعليل للقصر، أي: عملكم وبغيكم متاع زائل قليل، فالمتاع ما ينتفع به على نحو مؤقت.

قوله (ثم إلينا مرجعكم) ثم: للتراخي الترتيبي، وتقديم الجار والمجرور (إلينا) لإفادة اختصاص الرجوع بالله تعالى، والإخبار بالجملة الإسمية متضمنة معنى التأكيد والتهديد.

قوله (فننبئكم بما كنتم تعملون) الفاء للتفريع، والإخبار بالجملة الفعلية كناية عن الجزاء.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ ﴾

قوله (إنما مثل الحياة الدنيا) لما ذكر متاع الدنيا فصّل الكلام في تبيينها بأسلوب التصوير التمثيلي لحال انقضاء الدنيا، فشبهها بهيأة الزرع النضر الذي يكون مصيره الحصد، وابتدأه بالقصر بـ (إنما) لتأكيد معنى وجه الشبه وهو سرعة الانقضاء، على سبيل تنزيل السامع منزلة المنكر لذلك بسبب تعلقه بالدنيا، والصورة من التشبيه التمثيلي المركب الذي يكون كل طرف فيه مكونا من أجزاء عدة، ووجه الشبه يستنتج من مجموع الأجزاء.

قوله (كماء أنزلناه من السماء) أي: كماء المطر النازل من علو السحاب، إشارة إلى ابتداء أولى مراحل الحياة للنبات، و(من) ابتدائية، والسماء تقال لكل ما يعلو، ويراد بها السحاب.

قوله (فاختلط به نبات الأرض) الفاء لتعقيب نزول المطر باختلاطه بنبات الأرض وتغلغل مائه فيها.

قوله (مما يأكل الناس والأنعام) جملة وصفية للنبات مكونة من حرف الجر (من) داخل على (ما) الموصولة مع صلة موصولها، والنبات أصناف منه ما هو يصلح للإنسان ومنه ما يكون للحيوان، والتعريف للعموم.

قوله (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) تفيد (حتى) ابتداء الغاية لبلوغ الانتفاع من الدنيا، و(إذا) للشرط، وإطلاق لفظ الأخذ على الأرض استعارة مكنية تشبيها لبهجتها وألوان نباتها بالمرأة التي تتجمل بالذهب وتلبس أجمل الثياب.

وزخرف الأرض كناية عن مباهجها وطيوبها ولذائذها الحسية، والزخرف هو الذهب.

قوله (وازّيّنت) أصلها: وتزينت، أدمجت التاء بالزاي واستجلبت الألف لتيسير النطق. وفعل التزيين هو التحسين والتجميل، استعارة بالكناية من تشبيه الأرض بالمرأة الفاتنة المظهر.

قوله (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) أي: اعتقد أهل الدنيا أنهم دائمون في هذه الحياة الموصوفة، وفعل القدرة استعارة لمعنى الديمومة والاستمرار في تحصيل ثمراتها، وهي مثل في تصوير الإمهال.

قوله (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا) الجملة موقعها الجواب لـ (إذا) الشرطية، وضمير الفعل (أتى) راجع إلى الأرض، ولفظ الأمر كناية عن قضاء الله وحكمه بإنزال البرد والبَرَد بإتلافها وإهلاكها، والترديد بين الليل والنهار إشارة إلى مشيئة الجلالة في الاختيار، وفي الصورة تلويح وتهديد للمشركين بالاستئصال من الأرض.

قوله (فجعلناها حصيدا) الفاء للتعقيب، وفعل الجعل بمعنى التصيير، والهاء فيه عائدة إلى الأرض، والحصيد للمبالغة في الحصد بمعنى المفعول، أي: المحصودة المقطوعة اليابسة لأنها في غير وقتها، ولو كان حصادا نافعا محمودا لكان في إبّانه كقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) [الأنعام ٤١].

قوله (كأن لم تغن بالأمس) أي لا تشبه حالها السابق، وإنما يغنى المكان بطول اللبث، قال الراغب: غني في مكان كذا إذا طال مقامه فيه مستغنيا به عن غيره. انتهى. ولفظ الأمس ظرف لمطلق المضي من الزمن.

ومن جمال البيان في هذا التشبيه التمثيلي أن الإطناب في أجزائها يصلح لكل حالات الإنسان وأطواره الحياتية وهمته وآماله رفيعة كانت أو ضئيلة.

قوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) أي بمثل ذلك المثل نبين الحجج لقوم يتدبرونها، ولفظ التفصيل مقتض للظهور والتبيين، واللام المقترن بلفظ القوم للتعليل. وفعل التفكر تكلف في معنى الفكر وتكثير له، وفعل المضارع لتجدد تدبرهم في آيات الله واستمراره، وفي الكلام تعريض بالمشركين لأنهم ليسوا من أهل النظر والتأمل.

قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ﴾

قوله (والله يدعو إلى دار السلام) الآية ترغيب بدوام النعيم عند الله بعد التنبيه من زوال لذائذ الحياة الدنيا، والتصريح بلفظ الألوهية لإفادة تعظيم ما يدعو إليه، ولفظ الدعوة معناها عطف النظر بالإقبال على الاستجابة له وهي أعم من النداء، ودعوته سبحانه كناية عن طاعته في تكاليفه من الأوامر والنواهي.

ودار السلام إشارة إلى داره سبحانه إذ من أسمائه السلام، أو كناية عن الجنة فالتحية فيها السلام، أو لسلامتها من الآفات، وإنما سميت بالدار لإفادة معنى الاستقرار.

قوله (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وهدايته لمن يشاء سبحانه قضاها بحسب استعداد العبد في العمل، والصراط أريد به دين الحق المؤدي إلى رضا الله وجنته، ووصفه بالمستقيم زيادة في توصيف سلامة الصراط من الآفات ونجاة سالكيه.

قوله تعالى ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الفصل لأنه استئناف جديد لبيان أهل دار السلام، ولام الجر المقترن باسم الموصول تفيد الاستحقاق، واسم الموصول مجرور محلا خبر مقدم، ومفعول فعل الإحسان محذوف تقديره: أحسنوا العمل، ولفظ الإحسان كما ذكر الراغب: إنعام إعطاء الغير، وهو فوق العدل وذاك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له. انتهى. ولفظ الحسنى صفة تأنيث للمعاني دون الأعيان، والمعنى: للذين أحسنوا العمل المنزلة الحسنى، وفي ذلك المعنى قال الإمام علي عليه السلام: الناس أبناء ما يحسنون، وقدر كل امرئ ما يحسن. ذكر في الكافي والاختصاص. انتهى.

ومعنى قوله (وزيادة) أي: التفضل على الاستحقاق بزيادة المثوبة من الله.

قوله (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) الرهق اللحوق والغشيان، والقتر الدخان الأسود، أي: لا يغشى وجوهم السواد ولا تبدو عليها الذلة، وعن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من عبد اغرورقت عيناه بمائها إلاّ حرّم الله ذلك الجسد على النار، وما فاضت عين من خشية الله إلاّ لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة. ذكره العياشي في تفسيره، ومثله الطبرسي، ونقل نظيره في الكافي عن الصادق عليه السلام. انتهى.

قوله (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) الفصل في الجملة لكمال الاتصال، فهي نتيجة لما تقدمها من جمل، واسم الإشارة للتمييز والايجاز، والإخبار بالجمل الإسمية للتأكيد وثبوت المعاني.

قوله (هم فيها خالدون) جملة تقرير لما تقدمها، وتقديم شبه الجملة (فيها) للاهتمام، والهاء عائدة إلى الجنة، والخلود دوام البقاء.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ ﴾

قوله (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) الواو عاطفة للكلام على الذي قبله يقابله في المعنى في كل صورة منه، والكسب تحصيل النفع للنفس، وهو مظنة العمل لذلك استعمل للإيحاء بجزاء العمل، والسيئة كل ما يسوء الإنسان واستعملت للمعاصي، وتنكيرها لإفادة العموم، وإنما قال (بمثلها) فلم يزد على السيئة كما في الحسنى، لأن الزيادة في الفضل إكرام وفي العقوبة ظلم.

قوله (وترهقهم ذلة) أي: وتغشاهم ذلة، والتنكير للاختصاص، ولم يأت بـ (قتر) كما في الآية السابقة، لأن ما بعدها يغني.

قوله (ما لهم من الله من عاصم) خبر ثان، أو حال، وفي تأكيد النفي معنى شديد للتهديد والتيئيس، والعاصم هو المانع، أي لا مانع لهم من انتقام الله وجزائه، وفيه نفي لشركائهم الذين يدعون لهم الشفاعة والنصرة، و(من) الأولى ابتدائية، و(من) الثانية زائدة لتأكيد نفي العموم.

قوله (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) الكلام بيان لمعنى (وترهق وجوههم ذلة)، والتشبيه تمثيل لذلتهم وهوانهم، فقد شبه سواد وجوههم بقطع الليل المظلم. والقطع جمع قطعة، والليل شدة ظلمة الليل، والمراد بالقطع مدد زمنية حالكة من أجزاء الليل إمعانا في توصيف سواد وجوههم، غشيت وجه كل مشرك بقطعة. وغالبا ما تصف آيات الكتاب الكافرين بسواد الوجه.

قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) الكلام فيها كما الكلام في فاصلة الآية السابقة وتقابلها في المعنى.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (ويوم نحشرهم جميعا) العطف على جملة (والذين كسبوا السيئات) إجمال لحالة المشركين والمؤمنين وتفصيل بإفراد حال المشركين، وقوله (ويوم نحشرهم جميعا) الحشر جمع بقهر لكل الخلائق مؤمنهم وكافرهم من كل مكان.

قوله (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) ثم: للتراخي الترتيبي في الكلام، والقول خص المشركين لأن الآخرة يوم إنصاف المؤمنين وعقاب الكافرين.

ومعنى قوله (مكانكم) اسم فعل أمر تقال على سبيل الوعيد معناه: الزموا مكانكم وانتظروا، وقفوا ولا تتحركوا، كما في قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون).

قوله (أنتم وشركاؤكم) ضمير الشأن تأكيد بإلزام الوقوف، ولفظ الشركاء تخصيص يعني به أصنامهم التي ادعوا شركتها لله، ونسبها إليهم علوا وتنزها لأنهم من اجترحها، وإنما خصها بالوقوف معهم لتكون حجة ظاهرة عليهم وإلا هي لا تضر ولا تنفع.

قوله (فزيلنا بينهم) الفاء للتعقيب، وفعل التزييل يفيد كثرة التفريق، أي: فرقنا بينهم وبين أصنامهم في الوقوف للتمييز في السؤال كل على حدة، وهو سؤال التقريع، ويرى السيد الطباطبائي أن: التزييل هنا بمعنى قطع رابطة الوهم والحسبان التي كانت تربطهم بشركائهم بان بها أن عبادتهم صورة عبادة لم تقع عليهم حقيقة بحال. انتهى.

قوله (وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) وإنما أنطق الله أصنامهم للتبرؤ من المشركين، ولفضح ادعائهم في نسبة أصنامهم ما ليس لها من القدرة والربوبية، لذلك نفت معرفة عبادتهم لها.

قوله تعالى ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) الفاء لتفريع التعليل على النفي، أي: حسبنا حكم الله وشهادته بيننا وبينكم، ونصب لفظ الشهيد على التمييز.

قوله (إن كنا عن عبادتكم لغافلين) إخبار مؤكد لمعنى غفلة الأصنام عن اتخاذها معبودات باعتبار أنها حجارة لا حس لها وليست مكلفة، و(إن) حرف نسخ مخفف من (أنّ) الثقيلة، ذكرها أبو حيان في البحر المحيط: أنها بمعنى النفي، واللام الفارقة في لفظ الغافلين بمعنى: إلا. أه. فيكون الكلام يفيد التأكيد.

قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (هنالك) لفظ الإشارة زيادة في معنى البعد المجازي، أي: في ذلك المكان، وذلك الموقف يوم القيامة.

قوله (تبلوا كل نفس ما أسلفت) أي: تختبر كل نفس ما عملت من خير أو شر، بدلالة لفظ الإبهام في الموصول (ما)، ومعنى أسلفت قدمت وتركت، باعتبار ما يترك الإنسان يأتي بعده.

قوله (وردوا إلى الله مولاهم الحق) لفظ الرد معناه الرجوع، وإضمار الفاعل لإرادة التصريح به فيما بعده وهو اسم الله، ويفيد حرف الجر (إلى) انتهاء غاية ردهم، ولذلك وصفه بأنه (مولاهم الحق) كأنهم كانوا عبيد الشيطان وأطماع أنفسهم، فأضاعوا ربهم الحق، فردهم بيوم المحشر إلى مالكهم الحق، وإنما كان سبحانه حقا لأنه خالقهم وموجدهم والمنعم عليهم، وجملة (مولاهم الحق) بدل من اسم الله.

قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) لفظ الإضلال معناه البطلان، أي: بطل ما كانوا يكذبون من ادعاء الربوبية للأصنام، والإتيان بجملة الموصول لبيان سفه المشركين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض) احتجاج بأسلوب الاستفهام المتضمن معنى التقرير لمسائل اختص بها الخالق وحده، فقوله (من يرزقكم من السماء والأرض) أي: يخلق لكم أسباب الرزق، من مطر نازل من السماء ونبات نابت من الأرض.

قوله (أمّن يملك السمع والابصار) أي: لا أحد يملك أن يعطيكم السمع والأبصار غيره سبحانه، و(أمن) مكونة من: أم المعادلة، واسم الاستفهام (من) الذي يفيد التقرير، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم. انتهى.

قوله (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي: يخرج الإنسان من النطفة أو يخرج النبات من التراب، أو يخرج المؤمن من الكافر.

قوله (ومن يدبر الامر) التدبير هو الإتقان في خلق جميع الأمور في السموات والأرض بحسبان وتنظيم.

قوله (فسيقولون الله) الفاء واقعة في جواب الشرط لتضمن معنى الاستفهام معنى الشرط بتقدير: إن تقل من يرزقكم ومن يملك ومن يخرج ومن يدبر الأمر فسيقولون الله، ومقالهم في الإجابة بلفظ التصريح بلفظ الجلالة إقرار واعتراف منهم باختصاص الله في ذلك كله، لأن الوثنيين يقولون بذلك ولكن يدّعون التوسيط بين الله وبين شركائه ـ كما يزعمون ـ في الأرض، وجعلوا أولئك الشركاء أصناما لها اشكال البشر وسموها بأسماء ابتدعوها.

قوله (فقل أفلا تتقون) الفاء الأولى فاء الفصيحة أفصحت عن محذوف تقديره: إن قالوا ذلك فقل أفلا تتقون، والفاء الثانية في (أفلا) للتفريع، والاستفهام إنكاري يفيد توبيخ المشركين على عدم تجنبهم مخالفة أوامر الله ونواهيه.

قوله تعالى ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾

قوله (فذلكم الله ربكم الحق) الفاء تفريع على ما سبق من إنكار، والجملة نتيجة لما تقدم، وصفة الحق من أسماء الله الثابتة له سبحانه، والآية تجمع بين مقام الألوهية والربوبية، إشارة إلى بطلان عبادة الوثنيين الذين يفصلون بينهما.

قوله (فماذا بعد الحق إلا الضلال) الفاء للتفريع، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، والقصر للتأكيد، والمعنى في غاية الدقة والجلاء، لأن الحق لا

يجزأ ولا يقسم، فطالما أثبت أن الله هو الحق فليس من دون عبادته سبحانه إلا الباطل، وهو وإن كان معنى عاما إلا أنه مرتبط بما ترشح من النتيجة السابقة لأنه أخذ بلازم الحجة.

وفي الآية احتباك بديعي، وهو أن يكون هناك متقابلان فيحذف من كل منهما شيء يدل عليه الاخر، فيكون المعنى: فماذا بعد الحق الذي معه الهدى إلا الباطل الذي معه الضلال.

قوله (فأنى تصرفون) الفاء تفريع بعد تفريع، و(أنى) اسم استفهام بمعنى: من أين، يراد به التأييس من حالهم، والصرف هو العدول من جهة إلى أخرى، والمعنى: كيف تعدلون عن طريق الحق بعد وضوحه وهو صراط الهدى إلى طريق الباطل والضلال.

قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله (كذلك) كذلك: إشارة إلى ما يفهم من معنى الفاصلة في صرف المشركين من الهدى إلى الباطل.

قوله (حقت كلمت ربك) أي: ثبتت بحق ووجبت، والكلمة مجاز مرسل، أي قضاؤه تعالى في نفي الهداية عن الفاسقين وهي أنهم لا يؤمنون، والخطاب في (ربك) لتشريف النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (على الذين فسقوا) حرف الجر مجاز يفيد معنى الاستعلاء والتمكن لكلمة الله وثباتها، ولفظ الفسق خروج عن الإيمان، ولذلك التشديد بالتأييس لأنهم بلغوا وعلموا بآيات الله ولكنهم أصروا على اثم الشرك.

قوله (أنهم لا يؤمنون) جملة تفسير لمعنى كلمة الله التي قضت بثبوت معنى نفي الإيمان عن الفاسقين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) احتجاج إثر آخر لتبكيت المشركين بالاستفهام الإنكاري، لإفادة معنى أن الله تعالى وحده القادر على الخلق في البدء والبعث في النشور، وأضاف لفظ الشركاء ـ كناية عن الأصنام ـ إلى ضمير المخاطبين على سبيل التهكم لأنهم هم من زعموها.

قوله (قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) السؤال ثم الإجابة عليه لتجاهل المشركين، ولإفادة الإطناب في زيادة تبكيتهم، وبدء الخلق وإعادتهم مجاز في إفاضة الوجود على الخلق ثم إماتتهم وبعثهم للرجوع إلى معاد الله، وتفيد (ثم) التراخي الترتيبي في الكلام.

قوله (فأنى تؤفكون) الفاء لتفريع استفهام التوبيخ على الإخبار، والمعنى: فمن أين تصرفون عن الحق إلى الباطل.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) احتجاج ثالث لقن الله به نبيه، وهي حجة عقلية يعتمدها خاصة المؤمنين، لأن الأصل مما يرجى من العبادة الهداية إلى الحق، والله عنده الحق لذلك وجب اتباعه، والمراد من المعبود في العادة أن يكون هاديا لعباده إلى ما ينفعهم، فيرسل الرسل ويبعث معهم المعجزات الدالة عليه سبحانه لإعلام الناس بوجوده وإن كان كل شيء مما خلق ناطق بتوحيده سبحانه، ولكنه لتفضله على عباده ورحمته بهم يرسل لهم الأنبياء والرسل والكتب السماوية لتكون عليهم حجة على حجة، فهل الحجارة وغيرها من الكواكب من الوسائط التي اتخذت آلهة أو من نصب نفسه إلها كالنمرود وفرعون يملكون مثل ذلك؟

والاستفهام يفيد الإنكار، ونسبة الشركاء إلى ضمير أنفس المشركين للاستخفاف بهم.

قوله (قل الله يهدي للحق) أي: الله وحده يهدي إلى الطريق المؤدي إلى الحق في كل شيء من العبادة وقضايا العدل الاجتماعي، والتصريح بلفظ الله يكفي في قصر الهداية عليه، مثلما قصر عليه سبحانه بدء الخلق وإعادته.

قوله (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع) نتيجة مفرعة على ما تقدم، مقررة بأسلوب الاستفهام الإنكاري لمعنى ما تقدمها من اختصاص الله بالهداية.

قوله (أحق أن يتبع) ارتفع (أحق) لأنه خبر المبتدأ (من)، وأحقية الاتباع باعتبار المقايسة لا المقارنة، لأن اتباع الله حق واتباعهم لا معنى له، ولكن التعبير ناظر إلى مقام الترجيح لضمان الإصغاء وقبول الترجيح من غير تهييج عصبية جهالة المشركين، ولفظ الاتباع يراد به معنى العبادة لأنها مقتضاه.

قوله (أمن لا يَهدّي إلا أن يُهدى) معنى (أمن) أم: المعادلة لما قبلها في الاستفهام، و(من) اسم موصول، والضمير فيه للإشارة إلى الأصنام، ومعنى: يهدّي: يهتدي فأدغمت التاء بالدال وأخذت الهاء الحركة المناسبة للإدغام المكسور فكسرت الهاء بعد أن كانت ساكنة، والاستثناء (إلا أن يُهدى) تلميح إلى شدة نفي الحركة والإدراك عن الأصنام، فهي لا تقبل الهداية أصلا لأنها فاقدة للحس فكيف تهدي غيرها؟ وصيغة المفعول للفعل فقال (يُهدى) كونه يهتدي بغيره لا بنفسه، ولا يخلو الاستثناء من التهكم.

قوله (فما لكم) الفاء للتفريع، والاستفهام بـ (ما) يراد به التعجب، واللام المقترن بضمير خطابهم بمعنى: أي شيء عندكم، أو: ما الذي ثبت لكم.

قوله (كيف تحكمون) الفصل لأنه استفهام بعد استفهام وتعجيب بعد تعجيب، والسؤال بالهيأة بيان لقوله (فما لكم)، والحكم الفصل لأن المشركين قطعوا بيقين صحة عبادتهم وأصروا على كفرهم.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) يراد بفعل الاتباع العبادة، والظن هو التخمين ضد اليقين، أي يعبدون عبادة تقليد لآبائهم عن جهل ورثوه، وتنكيره لتحقيره. وصفتهم بالأكثرية لأن القلة منهم أئمة ضلال عرفوا الحق ولكن آثروا الضلال عليه بغيا منهم.

قوله (إنّ الظن لا يغني من الحق شيئا) تعليل لما دل عليه القصر في قوله (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا)، وتأكيد لنفي الاكتفاء بالظن عن اليقين، لأن التخمين والظن لا يستقيم مع العلم، و(من) بمعنى البدل والعوض، وتعريف الحق للعهد لإفادة عبادة التوحيد، وتنكير لفظ الشيء للعموم.

قوله (إن الله عليم بما يفعلون) الفصل للاستئناف بإخبار متضمن معنى التهديد بعلم الله بشركهم ومحاسبتهم عليه.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (وما كان هذا القرآن أن يفترى) الواو للعطف على قوله (قل ما يكون لي أن أبدله) لأنه عود بالكلام في القرآن.

ونفي الكون بمعنى نفي الشأن والاستعداد، أي: لا إمكان أن يفتري القرآن مفتر على الله، لأن وجوده ينافي افتراءه، وهو أسلوب قرآني بليغ كلما أراد نفي السبب من أصله.

وقوله (من دون الله) حال من ضمير الفعل (يفترى)، وفي هذا التعبير بطلان لتهمة المشركين أن القرآن ابتدعه محمد ﷺ وأنه ليس غيبيا، بينما الحال أن نظمه ومعانيه وما حفلت من أحكام إلهية وإخبارات غيبية ماضية من الأحداث ومستقبلة لها أجلّ من أن يأتي بها بشر.

قوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) الاستدراك بعد النفي يفيد الإعراض بمعنى (بل)، والتصديق يعني مصدقا للكتب السابقة عليه وهي التوراة والإنجيل بدلالة الكناية (بين يديه)، والتصديق للكتب السماوية السابقة يكون بالإخبار والأحكام الواردة في القرآن التي توافق ما سبق أو تنسخه فيبين الصادق منها أو الذي حرفته الأيدي غير الأمينة.

قوله (وتفصيل الكتاب) يقتضي التفصيل الشرح والتبيين، وتعريف الكتاب عموم الكتب السماوية، فيكون المعنى: أن القرآن مصدق للكتب التي سبقته مفصلا وشارحا لمجملها، لأن الشرائع واحدة وإنما خاتمتها نسختها لشموليتها وهيمنتها عليها جميعا، وقد مر الكلام في قوله تعالى: (وأنزلنا

إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) [المائدة ٤٨].

قوله (لا ريب فيه) جملة النفي المطلق داخلة في حيز الاستدراك بمعنى: منتفيا عنه الريب، وتفيد (لا) نفي جنس الشك عن صحة نسبة القرآن إلى الله تعالى، فهو لا يمكن أن يكون من صنع بشر، كما أنه محفوظ لا يمكن أن تمسه أيدي التحريف كما حصل مع الكتب التي سبقته لأن الله تكفل بحفظه قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر ٩].

قوله (من رب العالمين) تعليل لنفي الريب لذلك فصلت، وتفيد (من) معنى الابتداء والايجاد، ومعنى رب العالمين المالك الذي أفاض الوجود على العوالم المختلفة.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ ﴾

قوله (أم يقولون افتراه) (أم) منقطعة عما قبلها تفيد معنى (بل)، والذين يقولون هم مشركو مكة، والافتراء افتعال في مبالغة الكذب وتكلفه، والضمير فيه عائد إلى القرآن، والمعنى: بل يقول المشركون إن محمدا افترى القرآن على الله وادعاه.

قوله (قل فأتوا بسورة مثله) أمر القول للنبي ﷺ تشريف وتلقين للحجج على نبيه، ورد منه تعالى على لسان رسوله.

والفاء المقترن بفعل الإتيان لتفريع الأمر على زعم الافتراء، والأمر في فعل الإيتاء للتعجيز والتحدي، والباء في لفظ السورة للتعدية، والسورة إطلاق للجزء وإرادة للكل، مبالغة في تحديهم بإيتاء جزء من مثل سور القرآن وليس السور كلها للقرآن، إمعانا في تعجيزهم، وليس معنى جزئه أنه مخالف لكله بل الأمر كما بينا، والسورة كما قال في المجمع: جملة منزلة، محيطة بآيات الله كإحاطة سور البناء بالبناء. انتهى.

والقيد في قوله (مثله) بقصد التعجيز، أي: مثل القرآن في نظمه ومعانيه، إذ لا يمكن لبشر أن يأتي بغيوب وإخبارات غائبة عن حسه كما جاء بها القرآن، أو أحكام وقوانين حاكمة بهذا الضبط والتصحيح، أو بلاغة فائقة على قدرة أهل اللغة أنفسهم.

قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) معنى الأمر: ادعوا، أي اطلبوا، والاستطاعة تكثير في معنى طلب المساعدة، والمعنى: اطلبوا أي ظهير تتكلفون مساعدته من شركائكم أو من جنكم.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط معناه: إن كنتم صادقين في دعواكم بالافتراء، لأن قولهم بذلك بغي منهم غير قائم على قناعة، بل ادعاء وتأثيم.

قوله تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

قوله (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه) تفيد (بل) الإضراب الانتقالي لإلفات النظر إلى بيان أصل تكذيبهم.

وفعل التكذيب بالتضعيف لإفادة معنى تكثيره، والباء في (بما) لتعدية فعل التكذيب، و(ما) اسم موصول والضمير فيه إشارة إلى القرآن، وفعل الإحاطة استعارة للتمكن من الشيء ومنعه من الفوت والانفلات.

وفائدة جملة الموصول لبيان قلة أناة المشركين وجهالتهم، فهم تعجلوا تكذيب القرآن جهلا منهم قبل أن يعلموا معارفه وعلومه التي تحملهم على التصديق به لو بانت لهم.

قوله (ولمّا يأتهم تأويله) العطف بالواو بمعنى: كذبوا بما لما يأتهم تأويله، أي: تعجل المشركون لجهلهم بتكذيب القرآن قبل أن يتبينوا ما خفي عنهم من أسرار وإنباءات، والكلام نوع ترق في وصف المشركين بقلة الأناة، ولفظ التأويل مأخوذ من الفعل آل وهو الرجوع إلى الشيء، ويطلق على كل ما خفي تفسيره من ظاهره، فيعود واضحا بعد أن كان خفيا بضرب من التأويل.

ولذلك يظهر التأويل لهم ليزيدهم حسرة يوم القيامة قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) [الأعراف ٥٣].

وذكر في المجمع: وقيل: إن من هنا أخذ أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: الناس أعداء ما جهلوا، وأخذ قوله: قيمة كل امرئ ما يحسنه، من قوله عز وجل: (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم)، وأخذ قوله: تكلموا تعرفوا، من قوله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول). انتهى.

قوله (كذلك كذّب الذين من قبلهم) أي: كمثل حالة المشركين في تعجلهم تكذيب القرآن كذبت الأمم السابقة أنبياءها.

قوله (فانظرْ كيفَ كان عاقبة الظالمين) الفاء للتفريع، وأمر النظر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يراد به الترقب وانتظار العذاب النازل بهم، و(كيف) مصدر مجرد من الاستفهام بمعنى الحالة والكيفية التي هلكت بها الأمم المعاندة السابقة الشبيهة بحالة المشركين، وفي هذه الحال لن يكون موضع (كيف) خبرا لـ (كان)، لأنه ليس اسم استفهام، بل معمولا لفعل أمر النظر، وإذا عد استفهاما فعندئذ لا يعمل الأمر فيه.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (ومنهم من يؤمن به) الكلام معطوف على قوله (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه) لبيان أحوال المشركين، وظاهر سياق الآية أنها قسمتهم

فئتين: فئة آمنت بالقرآن وفئة كفرت به، وبغير ظاهر الكلام قسموهم إلى مؤمنين مجاملين على حساب الحق وكافرين معاندين.

و(من) في (منهم) للتبعيض، وضمير جمع الغائبين راجع على المشركين. وفعل الإيمان بمعنى التصديق، والهاء فيه راجعة إلى القرآن.

قوله (ومنهم من لا يؤمن به) وهي الفئة الثانية الكافرة من رأس.

قوله (وربك أعلم بالمفسدين) الواو للعطف وكاف الخطاب في (ربك) مشار بها إلى النبي ﷺ، والإخبار متضمن معنى الوعيد والتهديد، وإشارة لفظ المفسدين تعليل لمن لم يؤمن بالقرآن.

قوله تعالى ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم) الخطاب موجه من الله تعالى لنبيه، وبالنظر إلى سياق الآية فإن معنى الشرط: وإن أصر قومك من المشركين على تكذيب رسالتك فقل لي عملي ولكم عملكم، والتلقين بأمر القول منذر باليأس من هدايتهم لأنه حكم من الله متضمن معنى التهديد والوعيد للمشركين، لأن عمل الرسول ﷺ مؤيد من الله، وعملهم مؤيد من الشيطان، وتقديم شبه الجملة (لي) للأهمية.

قوله (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون) الجملة مفسرة للتي قبلها، ولفظ البراءة بمعنى: كل يحمل وزر عمله، ولا يحمله عنه الآخر، و(من) في (مما) ابتدائية، و(ما) اسم موصول لإفادة عموم حالات الترك والتخلي ولذلك لم يقل: أنتم بريئون من عملي، وأنا بريء من عملكم، كما في التي قبلها.

وقدمهم الرسول ﷺ على نفسه من باب نصفة الكلام وقد تكرر مثل هذا الأدب النبوي كثيرا في القرآن في الحكاية عن أنبياء الله ولاسيما الرسول الأعظم ﷺ نحو قوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل) [الزمر ٣٩]، وقوله تعالى (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون) [هود ١٢١ ـ ١٢٢]، وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل) [الأنعام ١٣٥]، وقوله تعالى حكاية عن النبي شعيب (ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل) [هود ٩٣].

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (ومنهم من يستمعون إليك) فئة أخرى من المعاندين المشركين تحضر مجلس الرسول ﷺ وتصغي إلى آيات القرآن فتزداد عنادا.

وفعل الاستماع تكلف في السمع، يفيد معنى المبالغة في الإصغاء إلى آيات الكتاب من الرسول أو سماع مواعظه، وكاف الخطاب المقترن بحرف الجر في (إليك) يعني بها النبي ﷺ.

قوله (أفأنت تسمع الصم) الفاء لتفريع الإنكار على الإخبار، والاستفهام واقع موقع المبتدأ للخبر المقدم (منهم)، ويراد به النفي والتعجب من عدم إفادتهم النصح، والصُّم جمع الأصم، وهو الذي في أذنه وقر فلا يسمع، وهو استعارة تصريحية عن المعاند الجاهل الذي لا تؤثر فيه المواعظ والحقائق تشبيها له بالأصم الذي لا يسمعها أصلا.

قوله (ولو كانوا لا يعقلون) أي: ولو كانوا جهالا، لأن نفي العقل أريد به ملزومه وهو تأكيد جهلهم الذي هو شأن لهم، قال في المجمع: هذا مثل قول الشاعر: أصم عما ساءه سميع. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (ومنهم من ينظر إليك) تفصيل في بيان المشركين المكذبين، فهذه فئة منهم تبصر عبادة النبي ﷺ وصلاح سيرته فتعلم حقيقته ولكن مكابرتها تمنعها من الإيمان بالنبي ﷺ فهم لم يفيدوا من نعمة البصر فلم يؤثر منظرهم للنبي ببصيرتهم فكانوا مثل من لم يبصر أصلا، لأنهم هم والأعمى سواء.

قوله (أفأنت تهدي العمي) الفاء لتفريع الإنكار على الإخبار، والاستفهام مراد به الإنكار وتوبيخ المشركين، وفعل الهداية للعمي استعارة لتوفيق الإيمان بالتوحيد، والعمي جمع أعمى استعارة تصريحية للكافر تشبيها له بمن لا يبصر.

قوله (ولو كانوا لا يبصرون) تأكيد لعمى بصيرة الكافرين.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (إن الله لا يظلم الناس شيئا) الفصل للاستئناف، والآية نتيجة جامعة للحكم على فئات المكذبين بنحو إطلاق الحكم العام، والإخبار متضمن معنى التهديد لمن تقدم ولمن تأخر ممن يشملهم الحكم، وتعريف الناس للعموم، ولفظ الشيء تنزيه لله من الظلم يفيد أدق العموم ولو كان أدنى منه في العلم لذكر.

قوله (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) والاستدراك بـ (لكن) للإضراب بمعنى (بل)، وإظهار لفظ الناس في موضع الإضمار للتأكيد، وتقديم المعمول (أنفسهم) لاختصاص معنى ظلم الناس لأنفسهم، وهو كناية عن المجازاة على أعمالهم.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (ويوم يحشرهم) الكلام ارتقاء في تصعيد التهديد، ولفظ اليوم يعني به يوم القيامة، منصوب على الظرفية، متعلق متقدم على عامله (قد خسر) لإفادة الاهتمام، وضمير الجمع في فعل الحشر عائد إلى ما ذكر من أصناف المكذبين بالقرآن، ويمكن إرادة عموم المكذبين في حقائق الله.

قوله (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) جملة التشبيه موقعها الحال من الضمير المنصوب في فعل الحشر.

والتشبيه بأنفسهم لو لم يلبثوا في القبور إلا ساعة من النهار لأنهم حشروا جميعا كما كانوا في أشكالهم في عالم الدنيا قبل الموت، فأعادها الله إليهم بعد تفتت أجسادهم وتحولها ترابا إعادة كأنها لم تمكث ذلك الدهر الطويل في القبور سوى زمن قليل، واللبث طول المقام، والاستثناء الملغى بنقضه بالنفي، لإفادة التأكيد بالقصر، ولفظ الساعة مجاز في البرهة القليلة من الزمان، والظرف في قوله (من النهار) صفة للساعة تطلق بغير تقييد، إذ لا فرق لزمن قليل نهارا أو ليلا، والغرض استحضار الأذهان من جهة غلبة معنى الرؤية، والكافرون استقلوا مدة مكثهم في القبور لأنهم علموا ما ينتظرهم من عذاب ليقينهم بقلة انتفاعهم بأعمارهم في الدنيا.

قوله (يتعارفون بينهم) الكلام حال ثان من ضمير النصب في (يحشرهم)، ولفظ التعارف تشارك في معنى العرف، أي: يعرف كل واحد منهم صاحبه الذي كان يعرفه الدنيا، زيادة في تأكيد معنى إعادة أشكالهم بعد طول المكث، وتعريضا بالمنكرين للبعث من القبور، وقد قيل إن هذا التعارف أول البعث، ومع هول المطلع لا يعرف أحد أحدا.

قوله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) الفصل لتعليل الوقوف بيوم المحشر، ولفظ الخسران استعارة لمعنى صفقتهم ببيعهم أنفسهم للشيطان بثمن بخس في عالم الدنيا، والتكذيب بلقاء الله كناية عن إنكار المشركين للمعاد، والإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان علة الخسران.

قوله (وما كانوا مهتدين) أي: خسر الكافرون أنفسهم لأنهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا لانغلاق سبل الهداية إلى قلوبهم بسبب كثرة معاصيهم وقساوة قلوبهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (وإما نرينك بعض الذي نعدهم) الخطاب للنبي ﷺ، والشرط مكون من (إن) الداخلة على (ما)، وجزم فعل الإراءة لأنه فعل لشرط، والنون الثقيلة للتأكيد، ويراد بها رؤية البصر، وفاعلها الله تعالى وكاف الخطاب مفعول الفعل عائد إلى الرسول ﷺ، ودلالة البعض لبيان كمال قدرة الله

على إحلال العذاب بمشركي مكة، ووعد الله ما كان يتوعدهم به الله على لسان رسوله.

والكلام إشارة إلى عذاب الدنيا للمشركين يريه الله لنبيه، كالقحط الذي نزل بهم سبع سنين في مكة إثر دعوة الرسول عليهم، أو القتل الذي نزل بعتاتهم في بدر.

قوله (أو نتوفينك) أو عاطفة تفيد الترديد، وجملة التوفي متضمنة الشرط الثاني بمعنى: وإما نتوفينك، فهي تقابل التي قبلها في المعنى.

قوله (فإلينا مرجعهم) الفاء واقعة في جواب الشرطين، وتقديم المتعلق (إلينا) لإفادة اختصاص رجوع الخلائق بالله، وفي الإخبار دلالة التهديد الشديد، والمعنى الإجمالي: إن عجلنا عذاب المشركين في الدنيا أو أمهلناهم فإلينا مرجعهم ولا يفلتون من قبضتنا.

قوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والإخبار بشهادة الله عليهم متضمن معنى الوعيد، وحرف الجر (على) مجاز استعلاء وتمكن معنى شهادة الله منهم.

والمعنى: سواء نريك يا محمد عذابهم في الدنيا أو في الآخرة فهم راجعون إلينا فطب نفسا فالله شاهد يجازيهم على ما فعلوا.

وفي الكلام التفات من خطاب التكلم (نرينك) إلى الغيبة (ثم الله) لإفادة التعظيم بالتصريح بلفظ الألوهية في الجمع بين الشهادة والحكم التي لا

يجمعها غيره سبحانه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: اتقوا معاصي الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (ولكل أمة رسول) الواو للاستئناف، والجملة إخبار من الله تعالى، بقضائه ببعث رسول لكل أمة تفضلا منه ورحمة، والأمة هي الجماعة التي تشترك في المكان واللغة والعادات، وتنكير لفظ الرسالة يفيد التعظيم. والرسول أعم في المعنى من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، ومن ضابطته أن الرسول نبي أنزل الله تعالى معه شريعته، وبهذا المعنى يتحدد معنى إخبار الآية، أن المقصود بالأمم الأمم التي أرسل رسلها بالشرائع كأمة نوح وأمة إبراهيم وأمة موسى وعيسى عليهم السلام، وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والجملة تمهيد لما سيأتي من تفريع.

قوله (فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) الفاء تفريع، ومجيء الرسول كناية عن بعثته بالنبوة وتبليغه أمته بالوحدانية، وفي الكلام ايجاز بالحذف تقديره: يبعثه ربه بمهمة التبليغ فيؤمن به بعض من أمته ويكفر به بعض وبكلا القسمين يحكم الله بينهم بالعدل، وتقديم الظرف (بينهم) لإفادة التعيين والاهتمام بالحكم بين المتخالفين، وفيه تعجيل للبشارة.

والباء في قوله (بالقسط) للملابسة، والقسط العدل، والظرف محله الحال.

قوله (وهم لا يظلمون) جملة حالية تتضمن تحقيق العدل بنفي الظلم في الحكم بين من آمن وبين من كفر.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (ويقولون متى هذا الوعد) الواو لعطف الكلام على قوله (وإما نرينك)، وضمير الجمع عائد على المشركين، وفعل المضارع لاستمرار القول منهم على سبيل تحديهم واستخفافهم.

وسؤالهم في قوله (متى هذا الوعد) سؤال استبعاد واستبطاء منهم، بمعنى: متى ظهوره، يعنون به إحلال العذاب، ولفظ الوعد يطلق على الخير والشر وإنما يبين معناه السياق، وهو هنا بمعنى الوعيد بعذاب الدنيا.

قوله (إن كنتم صادقين) تعليق الشرط كناية عن إنكار اعتقادهم بالرسول وبالوعيد بحلول العذاب، بمعنى: إن كان حقا فعينوا وقته، وضمير الجمع في (صادقين) إشارة إلى النبي ﷺ والمسلمين.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (قل) الأمر للنبي ﷺ لأنه المختص بالتبليغ ردا على سؤالهم.

قوله (لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله) نفي الملك نفي للسبب، بمعنى: لا أستطيع، وتقديم لفظ الضر على النفع لاتساق الرد على سؤالهم

لأنهم استبطأوا المضرة، وقصر الضرر والنفع على مشيئة الله تعالى إخبار متضمن الرد على سؤال المشركين بالمعنى الأعم وهو من أساليب البديع من المذهب الكلامي، بطريق البرهان، فإن كان الرسول القريب من الله تعالى لا يملك لنفسه أسباب النفع والضرر فمن باب أولى ألا يعلم توقيت معنى خاص كإنزال العذاب، فهذه كلها من مختصات الله تعالى وغيوبه لا يعلم بها عباده إلا إذا شاءت مشيئته.

قوله (لكل أمة أجل) الفصل تعليل لما تقدم، والإخبار متضمن معنى التهديد، ولفظ الأجل توقيت مضروب لا تعدوه أمة إلا بإرادة الله تعالى، وأنتم من جملة الأمم فانتظروا أجلكم.

قوله (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) جملة (إذا) من فعلها وجوابها صفة لـ (أجل)، والتقابل بين نفي الجملتين (يستأخرون) و(يستقدمون) تعني أن أجلهم محدود لا يقبل التغيير، وإيرادها بفعل الاستفعال مبالغة في نفي التأخير والتقديم، وإسناد فعل المجيء إلى الأجل من باب المجاز العقلي للمبالغة، لأن الله تعالى يأمر به، والفاء في (فلا) واقعة في جواب (إذا) الشرطية، ولفظ الساعة البرهة الزمنية القصيرة، وحذف معمول فعل الاستقدام للإيجاز، دل عليه ما قبله، والتقدير: ولا يستقدمون ساعة.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٠ ﴾

قوله (قل أرأيتم) الكلام يقع موقع الجواب الثاني على سؤالهم (متى هذا الوعد)، والاستفهام حقيقي يراد به الاحتجاج على سؤالهم بتخطئتهم، و(أرأيتم) بمعنى: أعلمتم.

قوله (إن أتاكم عذابه) جملة شرطية جوابها محذوف دل عليه الاستفهام (ماذا يستعجل)، والمعنى: إن حل بكم عذاب الله.

قوله (بياتا أو نهارا) بمعنى بغتة وقت نومكم ليلا أو نهارا وقت انشغالكم، واللفظان انتصبا على الحال والعطف على الحال.

قوله (ماذا يستعجل منه المجرمون) الاستفهام إنكاري، ولفظ الاستعجال مبالغة في طلب التعجيل لما يكره، والضمير في (منه) عائد إلى العذاب، ولفظ الإجرام إشارة إلى شدة الذنوب وهو الشرك بالله.

والمعنى: ماذا ينفع المجرمون إن نزل بهم العذاب الذي تعجلوه غير استئصالهم وإهلاكهم، لأن الخلاص منه بالتوبة والندم لن ينفع عندئذ.

قوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ٥١ ﴾

وقوله (أثم إذا ما وقع) الهمزة استفهامية تقدمت لصدارتها على العطف، والاستفهام فيها ليس عن المهلة في (ثم) لأنها ليست للتراخي الزمني بل للتراخي الرتبي، وأصلها (أ إذا) فهو استفهام عن الإيمان وقت حصول العذاب كأنه مجاراة لهم في الكلام في قولهم (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)، ولفظ الوقوع استعارة للعذاب تشبيها له بالشيء المعلق.

قوله (آمنتم به) الجملة جواب (إذا)، والباء في (به) للتعدية، والمعنى: آمنتم بالله أو بالقرآن.

قوله (ء الآن) ظرف زماني منصوب، وهمزة الاستفهام تفيد إنكار إيمانهم عند نزول العذاب بهم، حكاية للسان الحال عن الزمن المستقبل، أو بمعنى: أتؤمنون في وقت حلول العذاب.

قوله (وقد كنتم به تستعجلون) أي: وقد كنتم بالعذاب مكذبين، لأن لفظ الاستعجال كناية عن تكذيبهم لنزول العذاب.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وإضمار الفاعل في (قيل) على تقدير لفظ الجلالة أو الملائكة الموكلين بالعذاب، ولفظ الظلم ـ وإن كان معناه عاما ـ ولكن بحسب السياق

تدل على أهل الشرك، وأمر الإذاقة للاستهزاء بهم، وصفة العذاب بالخلد بمعنى دوامه عليهم وخلودهم فيه.

قوله (هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون) الجملة تعليل لأمر إذاقة العذاب، والاستفهام بمعنى النفي، وأسلوب الإخبار بالقصر بالنفي والاستثناء لإفادة قصر الجزاء على نوع العمل، والباء في (بما) للسبب، ولفظ الكسب يقال في الشر والخير، وسياقه في الكلام عمل الشر.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣ ﴾

قوله (ويستنبؤنك) الواو للعطف على قوله تعالى (متى هذا الوعد)، وفعل الإنباء بإضافة السين والتاء بمعنى طلب النبأ، وهو الحدث المهم، وفاعله المشركون، والمخاطب الرسول ﷺ.

قوله (أحق هو) الفصل لأن حكاية استنباء المشركين متضمنة فعل القول، والاستفهام منهم على جهة الإنكار والاستهزاء، وضمير الفصل عائد إلى العذاب المفهوم من قوله تعالى حكاية عنهم (متى هذا الوعد).

قوله (قل إي وربي) أمر القول تلقين من الله وتشريف لنبيه بالرد على المشركين، وحرف الجواب (إي) بمعنى (نعم)، يقع بعده القسم، والواو للقسم، والمعنى: نعم وحق الله.

قوله (إنه لحق) الإخبار المؤكد بـ (إن) واللام الواقعة في خبرها زيادة في ثبوت المعنى، والهاء في حرف النسخ راجع إلى الوعد، وكونه حقا بمعنى أنه ثابت لا تبديل فيه ولا تغيير.

قوله (وما أنتم بمعجزين) الواو عاطفة على جملة جواب القسم، والمعنى: لستم بفائتين العذاب فهو لاحق بكم لا ريب، فيكون معنى جملة النفي المؤكد جواب عن استفهامهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به) أي: تتمنى كل نفس أشركت وظلمت حكم عليها بالعذاب أن تفتدي حالها بكل ما تملك من كنوز الأرض، والفدية دفع المال عوضا عن فك الأسر، والافتداء تكلف ومبالغة في معنى الفداء، وظلم النفس بمعنى شركها بالله، والضمير في (به) عائد على المال المفهوم في معنى (ما).

قوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لفظ الإسرار بمعنى الإخفاء، وضمير الجمع فيه عائد إلى معنى (كل نفس). ولفظ الندامة كناية عن الحسرة مما تمنوا ورأوا من عذاب ظنوا أنه لم يكن واقعا بهم، وفي

المجمع: عن الصادق عليه السلام قوله: إنما أسروا الندامة وهم في النار، كراهية لشماتة الأعداء على أنفسهم. انتهى.

قوله (وقضى بينهم بالقسط) فعل القضاء بمعنى الفصل والقطع في الحكم بينهم بالعدل في حال من نفي إيقاع الظلم عليهم، لأن الحكم مجازاة على أعمالهم. والظرف (بينهم) بمعنى: قضي فيهم، فهو قضاء ايقاع العقاب، وليس قضاء نزاع واختلاف بين واحد وآخر، لأن الكلام عن المشركين وهم صنف واحد.

قوله (وهم لا يظلمون) جملة حالية، لأن العدل لا يستقيم معه الظلم.

قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٥ ﴾

قوله (ألا إن لله ما في السماوات والأرض) لما ذكرت الآيات تفصيل الوعيد بالمكذبين، أعقبتها بذكر كمال سلطانه ـ سبحانه ـ في ملكه فلا أحد يمنع من عقاب من يستحق العقاب، و(ألا) أداة استفتاح للتنبيه إلى العناية بالاهتمام بما بعده، والكلام إخبار بالقصر بملك الله تعالى لكل ما في مملكته سبحانه من السموات والأرض.

قوله (ألا إن وعد الله حق) استهلال آخر للعناية والتنبيه لذلك وقع الفصل، والإخبار بأحقية وعد الله كناية عن المعاد وإحقاق الحق بإنزال العذاب بمن استحقه.

قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الواو عطف داخل على الاستدراك، في إثبات أكثرية أهل الشرك الجاهلة بمقام الألوهية.

قوله تعالى ﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٥٦ ﴾

قوله (هو يحيى ويميت) الآية في مقام الاحتجاج على ما ذكر من ملكه سبحانه في الآية السابقة، لذلك فصلت، وضمير الفصل (هو) يفيد القصر واختصاص الله بفعل الإحياء والإماتة التي لا يجمع معنى تقابلها سواه تعالى.

قوله (وإليه ترجعون) عطف واختصاص ثان برجوع الخلائق إليه وحده دون سواه سبحانه يوم البعث والنشور.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٧ ﴾

قوله (يا أيها الناس) خطاب عام لجميع المكلفين مستثنى منه المشركون، وفي الكلام رجوع إلى الحديث عن القرآن وكرائمه.

قوله (قد جاءتكم موعظة) قد: حرف تحقيق يفيد التأكيد، لأن الكلام نزّل المخاطبين منزلة الشاكين، ولفظ المجيء كناية عن التبليغ، والموعظة كناية عن القرآن وآياته الشريفة، والوعظ هو كلام فيه نصح وتحذير، وإسناد المجيء إلى الموعظة مجاز عقلي بعلاقة المسببية.

وقوله (من ربكم) يفيد حرف الجر (من) معنى الابتداء والإيجاد، وإضافة لفظ الرب إلى كاف جمع الناس لإفادة عبوديتهم التسخيرية.

قوله (وشفاء لما في الصدور) الواو للعطف على (موعظة)، ولفظ الشفاء استعارة مكنية لزوال المرض تشبيها لما في القلوب من درن الشرك وأوساخه ثم حذف المشبه به وأشير إلى ما يخصه وهو لفظ الشفاء، والعرب تسمي القلوب الصدور وبالعكس وتنزل الإدراكات والإحساسات فيها، وفي كلها تريد معنى النفس.

قوله (وهدى ورحمة للمؤمنين) وكون القرآن هدى لما فيه من آيات داعية إلى التوحيد والإيمان، وكونه رحمة لما فيه من بركات وخير عميم للمؤمنين به، والجمل كلها صفات للقرآن الكريم وقعت منكرة لإرادة التعظيم.

وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة

شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه، وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾

قوله (قل بفضل الله وبرحمته) لما وصفت الآية السابقة القرآن هدى ورحمة للمؤمنين، فرعت عليه الكلام فيهم، وفي الكلام تقديم المتعلق على عامله (فليفرحوا) للاهتمام به، وأصل الكلام: فبذلك فليفرحوا بفضل الله وبرحمته، ولفظ الفضل هو الزيادة فيما ينفع، والباء المكررة تفيد السبب لنزوله.

قوله (فبذلك) الفاء للتفريع عن السبب، والباء تفيد السبب، ولفظ الإشارة للتمييز والتعظيم، واختلف في تفسيرات الفضل والرحمة في معان متقاربة كالقرآن والإسلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والجنة.

ويمكن أن يكون المراد بالفضل والرحمة العطية الخاصة التي يكون بها سعادة الدنيا والآخرة، فقد فُسّر الفضل بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وفسرت الرحمة بعلي عليه السلام، كمصداق للآية، وهو ما روي في المجمع عن الباقر عليه السلام قوله: فضل الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحمته علي بن أبي طالب عليه السلام. انتهى.

قوله (فليفرحوا) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر بسبب تقديم الظرف كقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) [المطففين ٢٦]، وأمر الفرح استبشار للمؤمنين بسعادة العاقبة، والفرح إظهار السرور على الوجه.

قوله (هو خير مما يجمعون) ضمير الفصل عائد إلى اسم الإشارة (ذلك)، وخير بمعنى أفضل، و(من) في (مما) ابتدائية، و(ما) اسم موصول، ولفظ الجمع بمعنى كسب المال، وأصله الضم بعضه إلى بعض، وضمير واو الجماعة عائد إلى المسلمين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) الكلام احتجاج لقنه الله نبيه، وفعل النزول يوحي بالرفعة لمقام الألوهية فيما يهب الله للناس من رزق، أو يكون بمعنى أصل الرزق وهو إنزال المطر الذي ينتج منه النبات يأكل منه الإنسان والحيوان.

وتفيد اللام في (لكم) الغاية أي: لأجلكم، ولأجل أن تنتفعوا بها، ولا تفيد التعدية لأن فعل الإنزال يتعدى بـ (على) أو بـ (إلى)، ولذلك قدم لفظ الحرام على الحلال بمعنى أنزله حلالا لتنتفعوا به وهم حرموه، و(من) زائدة لتأكيد العموم، ولفظ الرزق عام يشمل عطايا الله كلها.

قوله (فجعلتم منه حراما وحلالا) الفاء للتفريع، والجعل تحويل، والهاء في (منه) عائد إلى الرزق، والمراد: ما أوّلوا رزق الله إلى تقسيمين جعلوا أنفسهم مهيمنين على أحكامه تعالى: حراما وحلالا، إشارة إلى الذبائح التي جعلت للأصنام فأحلّوا بعضها وحرّموا الآخر وهو الأنعام كالوصيلة والسائبة والحامي وغيرها.

قوله (قل ء الله أذن لكم أم على الله تفترون) الاستفهام يفيد إنكار فعلهم وتوبيخهم عليه، والافتراء تكذيب على الله بإسناد إباحة الحرام إليه تعالى لأنهم ادعوا مثل ذلك قال تعالى: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) [الأعراف ٢٨]، وإظهار لفظ الجلالة لتعظيم الفرية.

قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ ﴾

وقوله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) الكلام إيعاد من الله تعالى للمشركين على افتراءاتهم السابقة.

والاستفهام بـ (ما) يراد منه التعجيب والتهديد، والافتراء زيادة في معنى التكذيب، وتعريف الكذب لتفظيع أمره وتقبيحه في الذهن، وخصوصية ذكر يوم القيامة تهويل باعتبارها آخر انتقالات الإنسان والمحطة الدائمة التي يكون فيها خالدا إما في النعيم أو في الجحيم، والآية وإن أبهمت غير أن

سياقها في إيراد التكذيب دل على التهديد بعذاب الجحيم، والمعنى: ماذا يظن المكذبون على الله أن تكون عاقبتهم يوم القيامة.

قوله (إن الله لذو فضل على الناس) الفصل لوقوع الكلام موقع التعليل، لأن الله تعالى لم يعاجل المكذبين بعذاب الدنيا، بل أرجأهم إلى يوم القيامة، والإخبار المؤكد بالجملة الإسمية المبدوءة بـ (إن) واللام في خبرها تأكيدات لمعنى فضل الله تعالى على الناس.

قوله (ولكن أكثرهم لا يشكرون) الواو عاطفة، والاستدراك التفات بذكر جحود أغلب الناس لفضل الله وعطاياه.

قوله تعالى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله (وما تكون في شأن) الخطاب للنبي ﷺ تسلية له، ولفظ الشأن هو الحال والأمر الذي يتفق ويصلح، ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور. قاله الراغب. انتهى.

وفي المجمع أثر عن الصادق عليه السلام قوله: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديدا. انتهى.

قوله (وما تتلوا منه من قرآن) لفظ التلاوة يعني القراءة من حفظ واستظهار للقرآن، والضمير في (منه) أي من الله، و(من) الثانية زائدة لتأكيد عموم القرآن.

قوله (ولا تعملون من عمل) زيادة في حصر كل عمل شمل به النبي ﷺ والمسلمون عامة، والجار والمجرور (من عمل) موقعه المفعول لـ (تعملون) ليشمل كل عمل صغيرا كان أو كبيرا.

قوله (إلا كنا عليكم شهودا) استثناء من عموم الأحوال، وجملة (كان) مقصورة على ما تقدم، والأسلوب قصر بالنفي والاستثناء، أي: اختصاص الله تعالى بالاطلاع على كل صغيرة وكبيرة مما يصدر من العبد، وبدأ بذكر نبيه أولا تدرجا إلى ذكر من دونه. ولفظ الشهادة تعني الحضور الذي هو مظنة العلم والاطلاع، من المجاز المرسل بعلاقة السببية، وضمير الجمع في (كنا) عدول في الكلام من الغيبة إلى ضمير التكلم الجمعي للإشارة إلى كثرة الشهود، قال في الميزان: فإن لله شهودا على أعمال الناس من الملائكة والناس والله من ورائهم محيط، والعظماء يتكلمون عنهم وعن غيرهم للدلالة على أن لهم أعوانا وخدمة. انتهى.

قوله (إذ تفيضون فيه) (إذ) للظرفية المجازية متعلقة بما قبلها، والإفاضة زيادة في الخوض في العمل بنوع اندفاع فيه واهتمام، وهو من ذكر الخاص بعد عموم ما ذكر من أعمال، والهاء في (فيه) راجعة إلى العمل.

قوله (وما يعزب عن ربك) الواو عاطفة، ولفظ العزوب معناه الابتعاد، ويستعمل مجازا للخفاء، ولفظ الرب دلالته المالك الذي ملك كل شيء ولا يخفى عليه شيء، وإسناده إلى الكاف تشريف للنبي ﷺ.

قوله (من مثقال ذرة) تفيد (من) زيادة تأكيد عموم النفي، والمثقال اسم آلة من الفعل ثقل لمعرفة مقدار ثقل الشيء، والذرة أصغر شيء مما لا يرى، تطلق على النملة الصغيرة، ويطلق على الهباءة مما يظهر ضوء الشمس من غبار دقيق.

قوله (في الأرض ولا في السماء) أي في هذه المملكة العريضة التي لا يحدها حد، وتقديم الأرض على السماء لأن غرض الكلام مسوق في أعمال الناس الذي موطنه الأرض.

قوله (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) أي: لا يغيب عن علم الله ما صغر من مثقال ذرة وما كبر، زيادة في معنى الاستقصاء.

قوله (إلا في كتاب مبين) حصر وقصر، والكتاب المبين كناية عن علم الله الذي سجل فيه ما كان ويكون، ولفظ الكتاب استعارة لثبات علم الله الذي لا يتغير ولا يتبدل، والمبين هو الظاهر الواضح الذي لا خفاء فيه ولا احتمال.

وفي الآية التفات في طبيعة الخطاب لنكات بلاغية، بدأه بخطاب الحضور إلى النبي ﷺ تسلية له فقال: (وما تتلو)، ثم انتقل إلى خطاب الجمع شاملا النبي ﷺ والمسلمين فقال: (وما تعملون)، لأنه متضمن معنى شمول

شهادته على جميع خلقه، ثم رجع إلى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فقال: (وما يعزب عن ربك)، للعناية بنبيه لأنه أصل التلقي وعنه تأخذ الأمة.

قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ﴾

قوله (ألا) أداة استهلال للكلام يراد منها التنبيه والاهتمام لما يأتي بعدها.

قوله (إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) إخبار بالبشارة لما خصهم الله بلفظ الولاية، وهي استعارة لقرب الشيء من الشيء نسبا أو قرابة أو صداقة أو منزلة، ولذلك يطلق على طرفي الولاية، فالله ولي المؤمنين لأنه يلي أمرهم ويدبر شؤونهم، والمؤمنون حقا أولياء الله لأنهم يعبدونه ويطبعونه، لذلك خصتهم بأن قلوبهم خالصة لحب الله لا تخاف ملكا ضائعا ولا تحزن على شيء سوى فوات الطاعة لله وتمحض عبادته، ذلك شأنهم في الدنيا، أما في الآخرة فهم في أمن وأمان.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد سئل عن الآية: إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا، ودركهم لها فوتا، أعداء ما سالم الناس، وسلم ما عادى الناس، بهم علم الكتاب وبه علموا،

وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرون مرجوا فوق ما يرجون، ولا مخوفا فوق ما يخافون. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله (الذين آمنوا) الآية متصلة بما قبلها في صفة أولياء الله، وهي من باب التفصيل بعد الإجمال، فخصهم بذكر الإيمان بالله وبالورع عن معاصيه.

قوله (وكانوا يتقون) العطف للإيجاز بمعنى: والذين كانوا يتقون، والتعبير بمضي الكون دلالته: ديدنهم وشأنهم تقوى الله، وحالهم في المستقبل كحالهم في الماضي في ملازمتهم التقوى.

قوله تعالى ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تقديم (لهم) لاختصاص الكلام في أولياء الله، ولفظ البشرى مبالغة في البشر وهو السرور البادي على بشرة المبشَّر. وتخصيصها لهم في الدنيا والآخرة تفسير للمبالغة في لفظ البشارة، والإخبار بالجملة بالإسمية بأسلوب القصر إشعار في ثبات وعد السرور لهم.

وقيل: إن البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، وقيل: ما يبشر به عند الاحتضار، وقيل: هي محبة الناس له، والذكر الحسن، وفي البحر

المحيط، في الخبر عن الرسول ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس: فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن. انتهى.

قوله (لا تبديل لكلمات الله) أي: لا تغيير لوعد الله، تطييبا للموعودين بالبشارة، فلفظ التبديل يعني انتقال أحد طرفيه مبدل ومبدل منه من موضع إلى آخر، وسمى وعده سبحانه بالكلمات لأنها بها تعلم فهو من باب المجاز المرسل بعلاقة السببية.

قوله (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك التبشير، عبر عنه بلفظ الإشارة للبعيد تعظيما له وتمييزا، وجيء بضمير الشأن (هو) لإفادة معنى قصره بالفوز العظيم، وأل الفوز قصر ثان، وسماه عظيما لشدة وقعه المفرح على النفس.

قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (ولا يحزنك قولهم) الواو عاطفة، وتفيد (لا) النهي، ولفظ الحزن ما يبدو على الإنسان من كآبة وتقطيب، والمقصود بـ (قولهم) قول المشركين في تكذيب النبي ﷺ وادعائهم بأن القرآن مفترى، أو بقولهم (متى وعد الله) على سبيل الاستهزاء، والكلام تسلية وتعزية للنبي ﷺ فيما كان من المشركين من طعن بنبوته واعتزاز بآلهتهم.

قوله (إن العزة لله جميعا) الفصل لتعليل النهي، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن) متضمن معنى تهديد المشركين بالكفاية بالله تعالى

واستغنائه عنهم، ولفظ العزة معناه الغلبة، والتعريف فيها لإفادة جنسها، أي كل أنواع العزة وأقواها ملك لله تعالى، وقوله (جميعا) حال يراد بها تأكيد مضمون الجملة.

قوله (هو السميع العليم) علة ثانية لذلك فصلت، والضمير (هو) يفيد قصر صفتي المبالغة في السمع والبصر عليه سبحانه، فهو السميع لكل ما يسمع من المسموعات، وهو العليم بكل ما دق وخفي، وخصوصية ذكرهما باعتبار قوة الإدراك تكون بهذين على العرف.

قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

الآية في مقام معنى غلبة الله تعالى، زيادة في تأييس الكافرين من النصر على نبيه.

قوله (ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض) إخبار من الله بملكه لكل ذات عاقلة في مملكته سبحانه، فذكر السموات والأرض لاستيعاب أمكنة الموجودات جميعها، والإطناب في إعادة اسم الموصول (من) الثانية وحرف الجر (في) دون الاكتفاء بواو العطف لإفادة التأكيد، وأدخل في ملكه ما يعبدون من أصنام مجاراة لهم في إنزالهم أصنامهم منزلة العاقل لأنهم كانوا يصورونها بهيأة البشر.

قوله (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) الواو عاطفة على ما تقدم، والجملة معطوفة نتيجة للجملة الأولى، وأما (ما) فقد اختلف في معناها بين النفي والسؤال والموصولية، بتفسيرات واحتمالات كثيرة بعضها يعقد التركيب، وأميل إلى ترجيح السؤال تحقيرا للمتبع ـ كما ذكر الشيخ الطوسي ـ بمعنى: أي شيء موهوم يتبع المشركون شركاء من دون الله، ولفظ الاتباع كناية عن العبادة والانقياد، واسم الموصول إشارة إلى المشركين، ولفظ الشركاء كناية عن أصنامهم التي يسمونها شركاء ولذلك تنزه القرآن عن وصفها بذلك، فأطلقها على لسان حالهم.

قوله (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) أي: وما يتبعون إلا الظن لأنهم يقلدون أسلافهم، وفعل الخرص معناه الكذب، وجملة قصر اتباعهم في الظن، ووجودهم في الخرص دليل على أن المراد بالجملة السابقة السؤال، لأنه كالجواب عنه.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

الآية في مقام الاحتجاج على المشركين بذكر دلائل التوحيد.

قوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) ضمير الفصل (هو) للقصر والتأكيد، والجعل تصيير وتحويل، فالليل مادة مجعولة من الله بقدرته بحركة منتظمة للأرض حول نفسها يكون منها الليل في نصف، والنهار

من نصفها الآخر، واللام في فعل السكون للتعليل، والسكون هو طمأنينة النفس وهدوؤها وهجوعها في الليل بعد يوم عمل شاق.

قوله (والنهار مبصرا) إسناد لفظ الإبصار إلى النهار من باب المجاز العقلي بعلاقة الزمانية، مبالغة في اتساع ضياء الشمس في وقت النهار.

قال في البحر المحيط: وفي الكلام بيان عجيب فقد ذكر علة الليل وحذفها من النهار، وذكر وصف النهار وحذفه من الليل، وكل من المحذوف يدل على مقابله، والتقدير: جعل الليل مظلما لتسكنوا، والنهار مبصرا لتحركوا في مكاسبكم وطلب معايشكم. انتهى.

قوله (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) الفصل لأنه إخبار ابتدائي جامع لكل ما تقدم، والابتداء بحرف النسخ لتأكيد الكلام، و(في) للظرفية المجازية، واسم الإشارة لتمييز ما تقدم من ذكر الليل والنهار، واللام المقترن بلفظ الآيات للتأكيد واقعة في خبر (إن)، والآيات حجج وعلامات دالة على قدرة الله وانفراده بالوحدانية، واللام في (لقوم) للتعليل، وخصهم بالسمع لأنهم الأجدر بتدبر معاني الآيات في حال إلقائها على مسامعهم.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله (قالوا اتخذ الله ولدا) ضمير الجمع في لفظ القول راجع إلى أمم مختلفة، كالنصارى الذين قالوا إن المسيح عيسى ابن الله، وبعض اليهود الذين ادعوا عزيرا ابن الله من باب التعظيم له لا الحقيقة كما فعل النصارى، أو العرب قالوا الملائكة بنات الله، ومن هنا يبدو موقع اتصال الآية بما سبقها لأفانين أحوال المكذبين.

قوله (سبحانه) لفظ يفيد معنى التنزيه لله تعالى في أن يكون له ولد أو شريك لأن ذلك لا يليق بعظمته، ويفيد التعجيب مما يقولون.

قوله (هو الغني) الفصل لأنه علة لنفي الولدية، والقصر بضمير الفصل لتأكيد غناه سبحانه عن هذا النقص الذي هو من شأن المخلوق لا الخالق، وتعريف لفظ الغني قصر ثان.

قوله (له ما في السماوات وما في الأرض) الكلام علة ثانية، وتقديم الجار والمجرور (له) لاستحقاقه سبحانه في ملكه للسموات والأرض التي تدل على عظمة خلقه لها بغناه عن اتخاذ الولدية.

قوله (إن عندكم من سلطان بهذا) تفيد (إن) معنى (ما) النافية، والعندية بمعنى نفي الملك، و(من) زائدة لتأكيد عموم النفي، ولفظ السلطان معناه الدليل، والباء في (بهذا) للملابسة، ولفظ الإشارة القريب يريد به قولهم الآنف الذكر في صدر الآية.

قوله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) الهمزة استفهام يفيد إنكار وتوبيخ ما يدّعون ويتقولون بغير علم، والمراد إثبات مبلغ جهلهم في كونهم يدعون

أمرا جهلا من دون دليل، وفي التصريح بلفظ الجلالة إشارة إلى شدة فريتهم ونقص فهمهم.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله (قل إن الذين يفترون على الله الكذب) الآية في مقام التهديد والوعيد، من الله تعالى بلسان نبيه بأسلوب الإخبار المؤكد بتثبيت الحكم في المشركين وإن كان إطلاقه عاما، والافتراء على الله تقوله بما يقل كادعائهم الشركاء له في مقام الربوبية، أو تحليلهم ما حرم أو تحريمهم ما حلل ونحو ذلك مما كذبوا عليه سبحانه.

قوله (لا يفلحون) الجملة محلها الخبر لـ (إن)، ونفي الفلاح مضمونه ثبوت الخسران لهم.

قوله تعالى ﴿ مَتَاعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله (متاع في الدنيا) الفصل لأن الكلام في مقام جواب عن سؤال من يسأل: كيف تنفي الإفلاح عنهم وهم في الدنيا متنعمون؟ فأجيب: ذلك متاع في الدنيا، ولفظ المتاع استعارة تصريحية لترف المشركين وعملهم شبهه

بالشيء الزائل المنتقل، ولفظ الدنيا صفة لموصوف حلت محله بحكم كثرة الاستعمال وأصلها الحياة الدنيا.

وقوله (ثم إلينا مرجعهم) تفيد (ثم) معنى التراخي الرتبي في الكلام، وتقديم (إلينا) يفيد قصر الرجوع عليه وحده ـ سبحانه ـ دون سواه تأكيدا للمعاد الذي ينكره المشركون.

قوله (ثم نذيقهم العذاب الشديد) ثم: تفيد التراخي الرتبي، وفعل الإذاقة استعارة لمخالطة ألم نار العذاب بهم، وتعريفه للعهد وهو عذاب النار يوم القيامة، ووصفه بالعظم لشدة إيلامه.

قوله (بما كانوا يكفرون) الباء سببية، أي بما كان من شأنهم من الكفر بالله ورسوله، والمراد تحقيق العدل فيهم بمجازاتهم على أعمالهم.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾

قوله (واتل عليهم نبأ نوح) الأمر بالتلاوة للنبي ﷺ ليخبر قومه ـ أهل مكة ـ من أمر قصة نوح لينزجروا ويتعظوا، وحرف الجر (على) مجاز بمعنى الاستعلاء والتمكن، بمعنى اتل تلاوة تتمكن من قلوبهم وتستولي على

مسامعهم، والمراد بـ (نبأ نوح) ما تضمنت قصته مع قومه من وعظ واعتبار عظيمين، ومرت قصته عليه السلام في أكثر من موضع.

قوله (إذ قال لقومه يا قوم) يوحي الابتداء بنداء نوح لقومه برفق الخطاب لاستمالة قلوبهم وأسماعهم. وقومه لا اسم يعرف بهم إلا به لأنهم أمة واحدة في الأرض لم تسبقهم أمة.

قوله (إن كان كبر عليكم مقامي) أي: إن كان عظم قيامي فيكم واعظا، ولفظ المقام معناه الإقامة في المكان.

قوله (وتذكيري بآيات الله) جملة معطوفة من باب ذكر الخاص بعد العام، بمعنى: إن كان عظم عليكم تذكيري إياكم بآيات الله.

ولفظ التذكير يريد به كلامه لهم عن دلائل التوحيد لوعظهم وزجرهم عن عبادة غير الله.

قوله (فعلى الله توكلت) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، وتقديم المتعلق لإفادة الاختصاص، ويريد بذلك الإعراب عن عدم اكتراثه بكيدهم لأنه مفوض أمره إلى الله متوكل عليه.

قوله (فأجمعوا أمركم) الفاء لتفريع الأمر على الشرط، أي: تهيأوا، واستعدوا، على سبيل تحديهم وتعجيزهم، ولفظ الإجماع كناية عن توحيد الكلمة على أمر واحد بعد تفرقها بكثرة الآراء.

قوله (وشركاءكم) أي: وأعدوا أصنامكم واستعينوا بها على ردي، وهو تهكم بهم وبأصنامهم.

قوله (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، أي: لا يكن حالكم معي وصحبتكم لي غما وهما، ولفظ الغمة إحساس ثقيل يمس القلب وهو الكرب، وأصله من غم علينا الهلال فهو مغموم إذا التمس فلم ير، أو من الستر، وهو واحد في المعنى، لأنه إذا كان مستورا فهو غير مكشوف فلا يرى.

قوله (ثم اقضوا إلي) تفيد (ثم) التراخي في الرتبة، والمعنى: انفذوا قضاءكم نحوي بسرعة، وأظهروه إلي.

(ولا تنظرون) أي: لا تمهلوني وعاجلوني في عقابي، ولفظ الإنظار هو الإرجاء والتأخير، والنهي مراد به التحدي.

قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ ﴾

قوله (فإن توليتم) الفاء تفريع على ما سبق، وأراد بالتولي الإعراض عما جاء به إليهم من أوامر التوحيد ومواعظه.

قوله (فما سألتكم من أجر) الفاء في جواب (إن)، ونفي فعل السؤال بمعنى نفي الطلب من المشركين، و(من) زائدة لتقوية نفي العموم، والأجر يريد به

المقابل العوضي، والمراد: أنه نصحهم لوجه الله ولم ينصحهم ليكسب أجرا منهم، فوبال توليهم يعود عليهم، ولا يخسر به شيئا، لأن أجره يأخذه من الله وليس منهم، مع الإشارة إلى الاختلاف بين الأجرين.

قوله (إن أجري إلا على الله) تعليل لنفي الأجر منهم، وإخبار بالقصر بالنفي والاستثناء لإفادة ثبوت المعنى وقصر الثواب على الله وحده دون سواه.

قوله (وأمرت أن أكون من المسلمين) الواو عاطفة على جواب الشرط على تقدير: فإن توليتم فأمرت أن أكون من المسلمين، والجملة إخبار بأن يكون أول الطائعين المنقادين إلى أمر الله، وقد سمي التوحيد ودين الحق بالإسلام في مختلف خطابات الأنبياء، والتعبير بالكون بمعنى أن يكون ديدني وشأني الإسلام.

قوله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله (فكذبوه) الفاء لتفريع التكذيب على الشرط، وفي تضعيف الفعل دلالة مبالغة قوم نوح في فعله، والهاء فيه عائد إلى النبي نوح عليه السلام.

وقوله (فنجيناه ومن معه في الفلك) الفاء للترتيب الذكري، وفعل الإنجاء بالتضعيف تكثير لمعنى رعاية الله لنبيه في الخلاص من غرق الطوفان، وتقديمه على فعل الإغراق للإشعار بأهميته وبعث المسرة في نفوس

المسلمين المستمعين، و(في) للظرفية المجازية، والذين مع نوح هم خاصته وأولاده عدا الكافر، والفلك السفينة.

قوله (وجعلناهم خلائف) أي: أي: وجعلنا الناجين ممن مع نوح وارثين لمن سبقهم، على سبيل المجاز الاستعاري، لأنهم خلفوا قومهم في البقاء، والخلائف جمع خليفة وهو من يعقب السابق.

قوله (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي: قوم نوح غرقوا بفيضان الماء، والصلة علة لغرقهم.

قوله (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الفاء للتفريع، ولفظ الأمر يراد به نظر مشاهدة كأنه نزل خبرهم منزلة المشاهد، والمخاطب به النبي ﷺ والمراد به قومه، و(كيف) للحال مجردة من الاستفهام، والعاقبة الختام، والمنذرون القوم الذي خوفوا بالعذاب.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٧٤ ﴾

قوله (ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم) يفيد العطف بـ (ثم) التراخي الرتبي، والبعث هو الإرسال بعد هجوع، وفيه إشارة إلى أن المدة طويلة بين نوح وبين إرسال الرسل، وتنكير لفظ الرسل لإرادة الكثرة الممتدة ـ بحسب السياق ـ من زمن نوح إلى زمن موسى عليهما السلام لأنه ذكر بعده في الآيات اللاحقة.

قوله (فجاءوهم بالبينات) الفاء للتعقيب، أي: فبلغوهم، فالمجيء استعارة بمعنى التبليغ، والجمع على سبيل الإجمال، لأن كل رسول جاء قومه على حدة، والباء للملابسة ولفظ البينات كناية عن المعجزات الظاهرة على توحيد الله.

قوله (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) الفاء للتفريع، والنفي مؤكد بشدة، استعمل فيه نفي الكون، واللام المقترن بفعل الإيمان تسمى لام الجحود، والباء في (بما) للسبب، وتكذيبهم إنكارهم لآيات الله ومعجزاته، ومعنى الظرف (من قبل) أي: من العلم السابق لله عنهم بتمردهم، أو يكون مقطوع عن الإضافة، أي: من قبل الهلاك، أشير إلى مبادرتهم في تكذيب أمر لم يتبينوا فائدته ونفعه لهم، وهو توحيد الله، والمعنى: لم يكونوا مستعدين لتقبل الإيمان لتكمن الجهل منهم، وإيراد هذا التفصيل ليطلع الله نبيه تأسيا له، وأمته علها ترعوي، لأن التجارب واحدة والأشكال مختلفة.

قوله (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) لفظ الإشارة للتمييز، أي بذلك المثال من الطبع في انغلاق الفكر وسواد النفس نطبع الله على قلوب المعتدين.

ولفظ الطبع استعارة للمنع، فالأحكام القبلية في النفوس تمنع انسراب الهداية إليها، لأنها مؤمنة بالتقليد الأعمى الموروث مكتفية به، وخص القلوب بالذكر على عادة استعمالها في اللغة للنفوس والإدراكات الباطنية، وسماهم معتدين لأنهم تجاوزوا حدود أمرهم.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قوله (ثم بعثنا من بعدهم) تفيد (ثم) التراخي في الرتبة، وضمير الجمع في الظرف عائد إلى نوح ومن بعده من الرسل الذين ذكرهم القرآن كإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم من الذين لم يقصصهم إلى زمن موسى عليه السلام.

قوله (موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا) وموسى وهارون من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبيا بني إسرائيل زمن الفرعون الذي كان يستعبد نساءهم ويقتل رجالهم، والملأ أشراف قوم فرعون من القبط، والباء المقترن بلفظ الآيات للملابسة، وإضافتها إلى ضمير التكلم الجمعي لتعظيمها.

قوله (فاستكبروا) الفاء للتفريع، ولفظ الاستكبار مبالغة في معنى تكبر فرعون وملئه، لأنهم لم يتعودوا من يعارضهم ويرشدهم.

وقوله (وكانوا قوما مجرمين) جملة إخبار عن كون الإجرام راسخا في نفوسهم لشدة تجبرهم وطغيانه. والكلام لا يخلو من تعليل لاستكبارهم.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

قوله (فلما جاءهم الحق) الفاء تفريع على إجرام فرعون وقومه، ومجيء الحق مجاز عقلي بعلاقة المسببية، والمراد المبالغة في ثبوت معنى معجزته وأنها ليست أوهاما تخييلية كالسحر بل حقا ثابتا.

قوله (من عندنا) ابتداء تشريفي من الله لرسالة موسى عليه السلام.

قوله (قالوا إن هذا لسحر مبين) ضمير الجمع في (قالوا) عائد إلى فرعون وملئه، والإخبار منهم متضمن معنى الإنكار بأشد التأكيد لمعجزات موسى عليه السلام برسالته ودعوته.

قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝٧٧ ﴾

قوله (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) قول موسى استفهام إنكاري واللام المقترن بلفظ الحق للمجاوزة بمعنى (عن)، أي: أتقولون عن الحق، وسمى معجزاته كقلب العصا ثعبانا وإخراج يده بيضاء حقا باعتبار ثباتها ونفي الإيهام عنها. ومفعول القول محذوف مفهوم من السياق تقديره: أتقولون هذا القول. وفعل المجيء بمعنى التبليغ.

وقوله (أسحر هذا) الاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ من موسى لقولهم، وتعريض بجهلهم لعدم تمييزهم بين الصادق الحقيقي والباطل الموهم.

قوله (ولا يفلح الساحرون) معطوفة على جملة (أسحر هذا)، ونفي الإفلاح عن الساحرين تحقير لهم وإبطال لفساد السحر يراد به تأكيد أحقية معجزته وأنها ليست بسحر.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ ﴾

قوله (قالوا أجئتنا لتلفتنا) أي: قوم فرعون قالوا مستفهمين منكرين، والخطاب لموسى لأن أصالة النبوة فيه، وعلى يديه تمت المعجزات، واللام المقترن بفعل الالتفات للتعليل، وفعل الالتفات مجاز، أي: لتصرفنا، وتحول وجهتنا من اعتقاد إلى آخر.

قوله (عما وجدنا عليه آباءنا) حرف التجاوز في (عما) لأن فعل الالتفات متضمن معنى التحول، و(ما) اسم موصول، ولفظ الإيجاد معناه العلم المترسخ في قلوبهم، إشارة إلى عبادة آبائهم الأصنام وهم ساروا عليها مقلدين، وتقديم الظرف للاهتمام، ولفظ الآباء أريد به الأجداد لأنه يطلق عليهم كما يطلق على الآباء القريبين.

قوله (وتكون لكما الكبرياء في الأرض) الجملة معطوفة، لأنها علة ثانية من قولهم، وضمير التثنية يعنون به موسى وهارون التفاتا منهم عن خطاب الواحد، لأن هارون كان واقفا مع موسى مشاركا له في التبليغ.

ولفظ الكبرياء مأخوذ من التكبر ويراد به الغلبة في الملك لأنه مقتضى منه، وغالبا ما يوصف الملوك بالكبر، فكأنهم اتهموهما بأنهما يريدان تكوين دولة لبني إسرائيل مكان دولة آل فرعون، وتعريف الأرض يقصد بها أرض مصر.

قوله (وما نحن لكما بمؤمنين) الجملة ترشحت نتيجة لما تقدم، والإخبار فيها منفي مؤكد بالجملة الإسمية لدلالته على ثبوت المعنى وتمكنه من نفوسهم، والباء الزائدة لتأكيد نفي الإيمان.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ٧٩ ﴾

قوله (وقال فرعون) إخبار موجز عما جرى بين موسى وفرعون، واتهام فرعون لمعاجز موسى بالسحر.

قوله (ائتوني بكل ساحر عليم) ضمير الجمع في فعل الإتيان عائد إلى خدمة فرعون والمتصرفين بين يديه، وإنما وصف الساحر بصيغة المبالغة من العلم زيادة في معنى المهارة في حرفته.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ٨٠ ﴾

قوله (فلما جاء السحرة) الفاء للترتيب الذكري، ومجيء السحرة بمعنى إحضارهم من كل مكان، وتعريفهم مراد بهم السحرة الذين وصفهم فرعون بكثرة العلم والتقانة في حرفتهم.

قوله (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) وأمر موسى بالإلقاء لثقته بربه على جهة التحدي والاستخفاف بهم، وكذلك الإبهام في (ما) أراد به: ألقوا ما بدا لكم، فإنه شيء لا يلتفت إليه.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

قوله (فلما ألقوا) الفاء لترتيب الكلام، والإلقاء طرح الشيء من اليد إلى الأرض، وكان السحرة قد ألقوا العصي والحبال، وطوي ذكرها لأن الغرض من الذكر أخذ العظة والاعتبار من عناد المستكبرين.

قوله (قال موسى ما جئتم به السحر) ولفظ المجيء يراد به الإظهار والإحضار لأنه مستلزم منه، والتعريف في السحر أراد به السحر المعهود الحاضر في الذهن من معنى الإيهام والتخييل وخفة اليد وخداع العين، والمراد من الإخبار توهين أمر السحر وتحقيره.

قوله (إن الله سيبطله) الفصل للابتداء، والإخبار بالتصريح بلفظ الجلالة لبيان القدرة والعظمة لإلقاء الرعب في نفوسهم، ولفظ الإبطال يعني به محقه بإظهار زيفه وكشف توهيمه.

قوله (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) الفصل تعليل لقوله (إن الله سيبطله)، والإخبار المؤكد بنفي الصلاح عن عمل المفسدين مستلزم الأمر بتركهم ورفع التأييد عنهم، ووصفهم بالمفسدين باعتبار أن السحرة يضلون عقول الناس بإيهامهم وتسخيرهم فيما يؤمرون.

قوله تعالى﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله (ويحق الله الحق) أي: يثبته، والتصريح بلفظ الألوهية دون الإضمار لإفادة تعظيم الأمر في النفس.

قوله (بكلماته) الباء للسبب، أي: بكلمات الله، والكلمات استعارة للإيجاد قال في الميزان: من المحتمل أن يكون المراد بالكلمات في الآية أقسام الأقضية الإلهية في شؤون الأشياء الكونية الجارية على الحق فإن قضاء الله ماض وسنته جارية أن يضرب الحق والباطل في نظام الكون ثم لا يلبث الباطل دون أن يفنى ويعفى أثره ويبقى الحق على جلائه. انتهى.

قوله (ولو كره المجرمون) الواو تفيد الحال، و(لو) وصلية، والجملة في موقع الحال، أي: في حال كراهة المجرمين، وكنى بها عن فرعون وقومه، وخصوصية ذكر الإجرام من بين أوصافهم مع فعل الكراهة لأن فيه معنى القطع فكأنهم قطعوا سبيل الحق على أنفسهم وبنوا على ذلك بنيانهم فهم على كراهية من ظهور الحق، ولذلك نسب الله كراهة ظهور الحق إليهم بما

هم مجرمون في قوله: (ولو كره المجرمون) وفي معناه قوله في أول الآيات: (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين). قاله الطباطبائي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

قوله (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) تفيد الفاء التعقيب لأن الإيمان حصل بعد الإلقاء ولم يتأخر عنه، وحصر الإيمان بموسى بذرية قومه تمييزا لهم عن قوم فرعوم وملئه لأنهم أصروا على الإعراض عنه بحسب السياق، ومعنى (آمن) صدق بدلالة لام التبيين في (لموسى) تمييزا له من فعل الأمن الذي يتعدى بنفسه، أي: جعله في أمن.

قوله (ذرية من قومه) أي: بعض من بني إسرائيل، وضمير الهاء في (قومه) عائد إلى موسى، لأن الكلام في بداية دعوته، فآمن به الأبناء من قومه قبل الآباء، وذلك لأن أشراف بني إسرائيل كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون على أنفسهم، ثم آمنوا به كلهم، وكانوا ستمائة ألف.

وفي الآية طي لذكر خرور السحرة وإيمانهم وافتضاح فرعون وتوعده لهم، لأن سياق الكلام في تصوير إعراض فرعون عن دعوة موسى وصلا له بسيرتهم في المدينة مع النبي محمد ﷺ في آخر الآيات كما سيأتي.

قوله (على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم) تفيد (على) معنى (مع) واستعملت هنا لإفادة تمكن خوف فرعون منهم واستقراره في نفوسهم، مثل قوله تعالى (وآتى المال على حبه)، والظرف واقع حالا، والمعنى: أنهم آمنوا في حال من خوف فرعون، ومعنى (وملأهم) أي: ملأ الذرية، فهم آمنوا من دون علم كبار بني إسرائيل، فخافوا ملامتهم لعلمهم بمؤاخذة فرعون لهم وعقابه لجميعهم فعل الجبابرة في أخذ الكل بجريرة الفرد من القبيلة، والمصدر المؤول (أن يفتنهم) تعليل للخوف، والمقصود به عقابهم بتسليط العذاب عليهم للتخلي عما يعتقدون.

قوله (وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين) جملة معطوفة واقعة موقع الحال، وعلة لخوفهم، والإخبار بالإسمية ومؤكداتها من (إن) واللام الواقعة في خبرها لإفادة تأكيد معنى طغيان فرعون وتجبره.

ولفظ العلو استعارة للغلبة والاستبداد، وتعريف الأرض يعني بها المعهودة في الذهن وهي أرض مصر، ولفظ الإسراف تجاوز للحد، والمراد وصفه بأنه معتد كثير القتل والتعذيب، وجملة الإخبار مبينة لسبب خوف أولئك المؤمنين من فرعون.

وفي الآية مسلاة للرسول ﷺ بقلة من آمن لموسى ومن استجاب له مع ظهور ذلك المعجز الباهر، ولم يؤمن له إلا ذرية من قومه، وخطاب موسى عليه السلام لمن آمن بقوله: يا قوم، دليل على أن المؤمنين الذرية كانوا من قومه.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤ ﴾

قوله (وقال موسى يا قوم) العطف لجملة على جملة، ونداء موسى لقومه بإضافتهم إلى نفسه فيه ترقيق واستعطاف، وحذف الياء من المنادى للتخفيف.

قوله (إن كنتم آمنتم به) الشرط لتهييج الصبر في نفوس قومه، وخطاب موسى ﷺ لمن آمن بقوله: يا قوم، دليل على أن المؤمنين الذرية كانوا من قومه، وخاطبهم بذلك حين اشتد خوفهم مما توعدهم به فرعون من قتل الآباء وذبح الذرية.

قوله (فعليه توكلوا) الفاء في جواب (إن) الشرطية، وتقديم المتعلق على عامله لإفادة الاختصاص أي: على الله لا على غيره توكلوا، والتوكيل التسليم وتفويض الأمر إليه.

قوله (إن كنتم مسلمين) شرط ثان متمم للشرط الأول، لأنهم حرزوا الإيمان فجاء بالإسلام لأنه من كمال الإيمان، لذلك فرق بينهما لتنبيههم إلى العمل بتحقيق صفة الإسلام بهم ليتحقق محض التوكل على الله، فيكون ترتيب الكلام: إن كنتم آمنتم بالله، ومسلمين له فعليه توكلوا.

قوله تعالى ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

قوله (فقالوا على الله توكلنا) الفاء للتعقيب في دلالة على سرعة استجابتهم لموسى، فقولهم إيجاب منهم وتأكيد على إيمانهم وإسلامهم، استعمل به القصر نفسه (على الله توكلنا)، في دلالة على تخليهم من مصانعة فرعون والخوف منه.

قوله (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) فطلبوا شيئين في دعائهم: الأول يتعلق بسلامة دينهم، بأن لا يكونوا سنة لغيرهم في الكفر بالله والتخلي عن الإيمان بسبب ما يسلطه عليهم فرعون من تعذيب وتقتيل، فيقال على سبيل الفتنة: لو كانوا على صواب من دينهم ما مسهم السوء، والفتنة مجاز مرسل بعلاقة السببية، أي: لا تجعلنا سببا في حصول الكفر الذي سمي فتنة.

قوله تعالى ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

وهو الطلب الثاني، فقد سألوا سلامة أنفسهم من بطش فرعون، ولإخلاصهم في دعائهم قدموا الأهم فيما كان عندهم وهو سلامة دينهم، وأخروا سلامة أنفسهم.

قوله (ونجنا برحمتك) فعل التضعيف زيادة في معنى الخلاص والنجاة من قبضة فرعون، والباء للسبب وإضافة الرحمة إلى كاف الخطاب للفظ الجلالة إشارة إلى منته ـ سبحانه ـ عليهم لا دلا بإيمانهم، وصفة الكفر والظلم مع الإتيان بلفظ القوم لإفادة ترسيخها لقوم فرعون، وتأخير الطلب الخاص في مصلحتهم تأدب في الدعاء.

قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

قوله (وأوحينا إلى موسى وأخيه) الواو لعطف قصة على قصة، والإيحاء يكون بتكليمه من الله تعالى بلا واسطة أو بوحي من عند الله، واشتراك موسى وأخيه هارون في لفظ الإيحاء لأنه متعلق في تدبير الأمة.

قوله (أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) أي: اجعلا قومكما متبوئين بيوتا، ولفظ التبوء زيادة في معنى اتخاذ أماكن السكن، وخصوصية أن تكون البيوت بمصر لأن قومهما كانوا مستذلين يسكنون في فساطيط وأخصاص معزولة أشبه بحياة البدو، فأمرهما الله أن يدبر شؤونهم الاجتماعية ويسكنهم بيوتا لائقة بعباده.

قوله (واجعلوا بيوتكم قبلة) لفظ القبلة بمعنى الجهة المقابلة، والمعنى: أمرهم أن يجعل بيوتهم متقابلة، لأن ذلك أدعى إلى سهولة اجتماعهم للتبليغ والصلاة ونحوه.

قوله (وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) والأمر بإقامة الصلاة باعتبار أنهم امة موحدة تصلي على شريعة إبراهيم، وقد كان هذا الأمر قبل نزول التوراة، ولفظ البشارة مؤذن بالاستجابة لدعائهم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله (وقال موسى ربنا) النداء يفيد الدعاء أورد بضمير الجمع لأنهما اثنان، ولذلك لا يجوز نداء الله بأداة النداء (يا) لأنها تفيد الانتباه إلى إقبال المدعو على الداعي وهذا لا يجوز على الله، لذلك يستعمل (ربنا) مجازا في الدعاء بلا (يا) النداء.

قوله (إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا) إخبار يراد به التمهيد لطلبه في سلب النعمة من فرعون، وإسناد الإيتاء إلى الله تأدب منه ومعرفة بالله لعلمه بأن ذلك منه سبحانه على سبيل غواية فرعون وإمداده ليركس في الهلاك وقومه، والزينة يراد به الذهب والرياش وضخامة البناء ونحوه، والأموال ما يقوم عليه سلطانهم من ثروات كانوا قد عرف الفراعنة بها، وقد أظهرت الآثار المكتشفة اليوم في مصر عن تصور حجم ترفها في أهراماتهم وتوابيتهم.

قوله (في الحياة الدنيا) الجملة مظروف الإيتاء وسعة سلطان فرعون وقومه.

وقوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) أعاد فيه لفظ صيغة (ربنا) زيادة في الاستعطاف والتأدب في حضرة الجلالة ولإبعاد الاعتراض، واللام في فعل الإضلال تسمى لام العاقبة والصيرورة، كقول الشاعر:

وللمنايا تربي كل مرضعة وللخراب يجدّ الناس عمرانا

والجملة تبيين لما مهد من كلام، وهو إضلال الناس عن التوحيد، وإضافة السبيل إلى كاف الخطاب المتعلق بلفظ الجلالة تهييج لعطف الله واستجابته.

قوله (ربنا اطمس على أموالهم) تكرار (ربنا) لأنه تجديد للطلب بعد ذكر العلة، والطمس هو المحو بإفنائها لأنها من ذهب وفضة، أو بمعنى زوالها وإفسادها لأن بعض المال أنعام وأراض، وحرف الجر (على) مجاز لتمكن الطمس بتسليطه على أموالهم.

قوله (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا) ولفظ الشدة بمعنى اجعلها قاسية لا تلين للموعظة فترق للإيمان بك فيكون ذلك سبيلا للعفو عنهم، والفاء في (فلا يؤمنوا) فاء السببية.

قوله (حتى يروا العذاب الأليم) تفيد (حتى) ابتداء الغاية بمعنى: إلى أن، ورؤية العذاب قيد للإيمان بمنزلة نفيه عنهم لأنه لا ينفع إيمان مع نزول الموت فيهم.

وهذا الدعاء من موسى عليه السلام بعد اليأس التام من إيمان فرعون وقومه، وهو في موقفه يشبه دعاء نوح عليه السلام على قومه الكافرين.

قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨٩ ﴾

قوله (قال قد أجيبت دعوتكما) استجاب الله دعوة موسى وهارون، وأكده بحرف التحقيق لتأكيدها، وأورد فعل الإيجاب بالفعل المبني للمعلوم زيادة في معنى تحقيقه، والتثنية في (دعوتكما) مع أن الداعي واحد هو موسى عليه السلام، لأن أخاه هارون كان معه حاضرا يؤمّن على دعاء أخيه، أي يقول: آمين، وقيل: إن الدعوة لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة، وأعلما أن دعاءهما صادف مقدورا.

قوله (فاستقيما) الفاء لتفريع الأمر على الإخبار، وأمر الاستقامة كناية عن المضي بطريق الصلاح والثبات فيه.

قوله (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) نهي لموسى وهارون عن الاستماع إلى الجاهلين، وفيه تلميح إلى جهل قومه وما سيطلبون من اقتراحات باطلة، والإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان علة النهي.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ﴾

قوله (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) الآية تفسير واستجابة لدعاء موسى وهارون ودعاء بني إسرائيل، فقطع بهم البحر بعد أن أمر موسى بفلقه ليتخذ طريقا يبسا فيه فيعبر قومه، وطوي ذلك الكلام لأن السياق لا يريد هذا التفصيل، وتعريف البحر للعهد الحضوري يراد به ما يسمى اليوم بالبحر الأحمر.

قوله (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) الفاء للتعقيب، والإتباع السير من وراء، أي: لحقهم، ولفظ البغي والعدوان واقعة حالين من فعل الاتباع، وإنما وصف بذلك لأنه أراد إرجاعهم قهرا إلى التسخير والعبودية.

قوله (حتى إذا أدركه الغرق) تفيد (إذا) معنى تسريع الحدث لذلك تسمى الفجائية، وفعل الإدراك استعارة بالكناية عن إحاطة موج البحر به وإغراقه.

قوله (قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) إقرار منه واعتراف بالتوحيد، وإنما لم يصرح بلفظ الألوهية استكبارا منه وطغيانا، أو بجهل منه بمقام الله، فيعرفه بما عبد به بنو إسرائيل.

قوله (وأنا من المسلمين) إخبار بالإسمية والقصر، زيادة في معنى استسلامه، ولفظ التسليم مقصود به المعنى اللغوي وليس الاصطلاحي.

قوله تعالى ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله (ء الآن) همزة الاستفهام لإنكار توبة فرعون، لأنها لم تأت عن اختيار منه بل عن إلجاء بعد أن استيقن الموت، والظرف (الآن) مبني يستعمل للزمن الحاضر.

قوله (وقد عصيت قبل) الواو تفيد الحال، والجملة موقعها الحال بمعنى: ء الآن في استيقان نزول الموت بك تتوب في حال كنت عاصيا قبل ذلك.

قوله (وكنت من المفسدين) حال ثانية لأنها معطوفة على الحال، أي: من قوم شأنهم الإفساد، وذلك أبلغ في لزوم الصفة بهم.

قوله تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

قوله (فاليوم ننجيك ببدنك) الفاء تفريع، ولفظ اليوم يعني يوم غرقه بدلالة لام العهد فيه ويراد به جزء من النهر، وإنجاؤه ببدنه أي يخرجه ميتا إلى اليابسة، ولا يخلو فعل التنجية من تهكم به، فلفظ البدن يعني الجسم الخالي من الحياة.

قوله (لتكون لمن خلفك آية) الجملة لتعليل إنجائه ببدنه، أي: يكون شأنه شأن عبرة لمعتبر من الطغاة الذين يأتون من بعده، والآية هي العلامة، وفي تنجيته وإلقائه على الساحل الغربي لمصر بصورته أحمر كأنه ثور ليكون دليلا على هلاكه لأن بني إسرائيل اعتقدوا أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق، وليكون عظة وعبرة للفراعنة الذين يأتون من بعده.

قوله (وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) الواو للاستئناف الإخباري، والإخبار تلويح بالجزاء للمعرضين الغافلين عن كمال آيات الله الداعية إلى الهداية.

و(من) للتبيين، و(عن) حرف تجاوز تقدم مع مجروره للأهمية، واللام المقترن بلفظ الغافلين واقعة في جواب (إن) للتأكيد، والغفلة النسيان ويراد بها الترك والإعراض.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قوله (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق) الواو استئناف، والقسم والتأكيد في (لقد) للإخبار بأمر مهم، والتبوء كناية عن تمكين الله لهم الأرض الطيبة بفتح فلسطين بعد عقاب صحراء التيه، وسماها مبوأ صدق من إضافة الموصوف إلى الصفة أي: ما يستلزم منه من النعم والخيرات.

قوله (ورزقناهم من الطيبات) أي: من المآكل المستلذات من الحلال، ومن أطايب الثمرات.

قوله (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) الفاء للتفريع، ولفظ الاختلاف كناية عن تفرق الكلمة، وهو ثناء من الله لهم ـ قبل أن يجيئهم العلم ـ على بقائهم شاكرين للنعمة موحدين لله ـ لا يشبهون في العبادة أهل مكة المجاورين لحرم بيت الله ـ (حتى جاءهم العلم) إشارة إلى نزول التوراة المبشرة بنبي آخر الزمان، أو نزول القرآن وبعث النبي ﷺ وهم ما يرجحه السياق، فاختلفت الكلمة وتغير المزاج ودب التحريف في التوراة ونمت البغضاء في نفوسهم حسدا وبغيا، و(حتى) حرف ابتداء غايته (جاءهم العلم).

وعلى هذا يكون ضمير الجمع في (اختلفوا) عائد إلى الذين بوأهم الله وهم بنو إسرائيل، في حين في (جاءهم) عائد إلى أبنائهم وذراريهم يهود المدينة زمن النبي ﷺ، وفي الكلام وصل القديم بالجديد، وربط بلاغي محكم بين المسافات الزمنية لأحوال اليهود وانحرافهم بجملة واحدة من غير شائبة تكلف أو قطع.

قوله (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الفصل للابتداء، والإخبار مؤكد متضمن معنى التهديد والوعيد.

وسياق إيراد قصة قوم موسى مع فرعون شبيه بما أرادت السورة عرضه من أحوال النبي ﷺ مع قومه، يمكن تلخيص صورته على النحو الآتي:

أولا: موقف فرعون من الإعراض والطغيان شبيه بموقف عتاة قريش وموقفهم المكذب المتعنت من النبي ﷺ.

ثانيا: المستضعفون من المؤمنين في مكة يشبهون المستضعفين من بني إسرائيل في ظل قسوة فرعون وبطشه.

ثالثا: هجرة قوم موسى من أسر فرعون موقف متكرر عند المسلمين في هجرتهم إلى الحبشة والمدينة.

رابعا: عاقبة فرعون وهلاكه تشبه عاقبة طغاة قريش وإهلاكهم.

خامسا: تصوير قلق الشخصية اليهودية واضطرابها ملموس مكرور في الجحد والبغي والحسد متواصل في جنسهم من عهد موسى عليه السلام إلى زمن البشارة بالنبي ﷺ، وتحريفهم التوراة ومنع علمائهم من الإيمان بالدين الجديد.

ومن ذلك نجد الآيات التي ذكرت أحوال موسى عليه السلام وقومه تعمدت طي ما لم يتناسب وسياق الغرض الذي من أجله جيء بها وهي تطييب نفس النبي ﷺ وأخذ أمته العظة والاعتبار من قصص الماضين، ولذلك أثر في مستدرك الحاكم وغيره عن الرسول ﷺ تحذيره لأصحابه وأمته بصيغة الإخبار من اتباع سنة بني إسرائيل فقال: لتتبعن سنن من قبلكم باعا فباعا وذراعا فذراعا وشبرا فشبرا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه معهم.. قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذا. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

الآية والتي بعدها أسلوب في خطاب النبي ﷺ ظاهره مخاطبته ودلالاته التعريض بأهل الكتاب، لأن طلب إشهادهم على صحة ما جاء في القرآن من أخبار مما لا مرية فيه، ومناسبة هذا الأسلوب الرفيق بأهل الكتاب لأن الخصومة لم تكن مشتدة معهم بعد، فالسورة مكية في أوائل البعثة.

قوله (فإن كنت في شك) الخطاب للنبي ﷺ، و(في) للظرفية المجازية، والشك بمعنى الريبة.

قوله (مما أنزلنا إليك) أي: مما أنزل إليك من المعارف الإلهية التي لا يمكن نكرانها، وأريد بها القرآن العظيم، و(من) في (مما) ابتدائية، و(ما) اسم موصول.

قوله (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، أي: فاسأل العلماء منهم من اليهود والنصارى، ولفظ الكتاب يراد به التوراة والإنجيل.

قوله (من قبلك) أي: من الذين سبقوك زمنيا، والخطاب للنبي ﷺ.

قوله (لقد جاءك الحق من ربك) تأكيد بحقية رسالة النبي ﷺ وثبات دعوته، كأن الفصل فيها لوقوعها جوابا لسؤال مفترض من الجملة السابقة لأمر السؤال تقديره: فإذا سألتهم ماذا يكون؟ فأجيب: لقد جاءك الحق من ربك.

قوله (فلا تكونن من الممترين) الفاء لتفريع النهي على الإخبار، ولفظ الامتراء التوقف في الشيء، والشك فيه، والآية تعرض بهذا الأسلوب من أخبار الأمم واحوالها من المؤمنين والكافرين حججا كثيرة تدعم نبوة محمد ﷺ، وليس المراد أن الرسول متردد شاك ،حاشاه، وتلك الأخبار مما توافق الكتب السماوية السابقة للقرآن ولا تنكرها، لأن يد التحريف مست البشارات الخاصة بمحمد ﷺ في كتبهم لا أغلب الأخبار التي تتوافق الكتب حولها، قال السيد الطباطبائي: ومن لطيف الإشارة أن الله سبحانه لم يذكر في القصص المذكورة في هذه السورة قصة هود وصالح لعدم تعرض التوراة الموجودة عندهم لقصتهما وكذا قصة شعيب وقصة المسيح لعدم توافق أهل الكتاب عليها وليس إلا لمكان أن يستشهد في هذه الآية بما لا يمتنعون من تصديقه. انتهى.

وقيل الخطاب للسامع غير الرسول، وكثيرا ما يأتي الخطاب في ظاهره لشخص، والمراد غيره، وعن ابن عباس قال: والله ما شكَّ طرفة عين، ولا سأل أحدا.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥ ﴾

قوله (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) أخّر النهي عن التكذيب ترقيا في الخطاب، لأنه أعقد من الامتراء، والتكذيب بالآيات مفض إلى الاستكبار لأنه يأتي عن عناد مع العلم بالحق، فالآيات لا تسمى آيات إلا إذا كانت علامات واضحات ظاهرات للعيان، وجملة الموصول وتفصيل صلتها لبيان تعليل النهي، والخطاب من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

قوله (فتكون من الخاسرين) الفاء فاء السببية، والجملة نتيجة عما تقدم، ولفظ الخسران استعارة بالكناية عن زوال رأس المال بنقصانه أو ذهابه جميعا، تشبيها للإيمان بالمال.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ ﴾

قوله (إن الذين حقت عليهم) الفصل والابتداء تعليل لخسران الكافرين، ومعنى (حقت): ثبتت، ويفيد (على) معنى الاستعلاء والتمكن.

قوله (كلمة ربك) استعارة لقضاء الله فيهم بالوعيد واللعن، مجاز مرسل لقوله تعالى في وعده الثابت (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [البقرة ٣٩].

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾

قوله (ولو جاءتهم كل آية) الكلام متصل بما قبله، أي: لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا الموت فلا ينفعهم إيمانهم الاضطراري وقت المعاينة، كما صنع فرعون حين أدركه الغرق.

قوله (حتى يروا العذاب الأليم) معنى (حتى): إلى أن، ورؤية العذاب كناية عن حلوله بهم، مجاز لنزول الموت بهم باعتبار ما سيكون، ووصف العذاب بالأليم مبالغة في المؤلم.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾

قوله (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها) الفاء للتفريع، والأداة (لولا) للتحضيض، وفيها دلالة التوبيخ لدخولها على فعل المضي، بمعنى: هلا آمن أهل القرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الإيمان نافعا لهم في هذه الحال، والجملة في معنى النفي بمعنى: ما آمنت قرية.

وفي ذكر لفظ القرية تعريض بأهل مكة، فإنهم من أهل القرى، يوشكون أن يكونوا على سنن من سبقوهم في الكفر وسوء العاقبة.

قوله (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) من الاستثناء المتصل، الذي يوحي بأن استثناءهم ليس مخالفا لجنس ما عمل قبلهم من اهل القرى سوى أنهم بادروا بالتوبة لما توقعوا من نزول العذاب بهم، وبذلك فإن معاملة الله إياهم ليست مخالفة لما عامل به غيرهم من أهل القرى وأن ليست لقوم يونس خصوصية وبذلك لا يكون استثناؤهم استثناء منقطعا.

وقوم يونس: هم أهل نينوي، كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم النبي يونس فأقاموا على تكذيبه سبع سنين، وتوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام ـ وقيل بعد أربعين يوما ـ فخصوا من بين الأمم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب، فهم دنا منهم العذاب ولم يباشرهم كما باشر فرعون، فقد علم منهم صدق النيات بخلاف من تقدمهم من الهالكين.

ولفظ الكشف استعارة للإزالة، وأضاف الخزي إلى العذاب من باب إضافة الصفة إلى موصوفه، وخزيه باعتبار فضيحة الموت على صفة الكفر، فهو خزي ما بعده خزي لأنه مفض إلى عذاب دائم في الآخرة.

والتقييد في قوله (في الحياة الدنيا) موقعه الصفة للفظ العذاب لإفادة ما يعقبه من عذاب دائم في الحياة الآخرة.

قوله (متعناهم إلى حين) لفظ الامتاع من الاستلذاذ بلذائذ الحياة المؤقتة من الغرائز المختلفة، وحرف الجر (إلى) يفيد الانتهاء إلى غاية محددة،

و(الحين) هو الأجل، والمعنى: استبقيناهم متمتعين بلذائذ الدنيا إلى آجالهم الطبيعية.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

قوله (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) الواو عاطفة، والمعنى: أن مشيئته سبحانه لم تشأ أن تنفي مبدأ الاختيار عن الإنسان، ولو شاءت فليس ذلك مما يعجز، ولآمن أهل الأرض كلهم، ولكن بناء نظام الحياة أقيم بحسب مشيئة الله على الاختيار، وليس الاضطرار ليكون ذلك أدعى إل تحقيق العدل في المجازاة على الثواب والعقاب، وتعريف الأرض للجنس، ولفظ الكل للتأكيد، ونصب لفظ الجميع على الحال تأكيد على تأكيد.

قوله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الاستفهام للإنكار، والفاء للتفريع على ما سبقها، وضمير الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: ليس باستطاعتك إكراه الناس على الإيمان، وقد قدر لهم الكفر بسبب استعدادهم لتقبله، وفي دلالة التركيب (حتى يكونوا مؤمنين) استحالة الإيمان لمن شأنهم لا يسمح بتقبله، ولفظ الناس كناية عن أهل مكة.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

قوله (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) الواو للحال، ومعنى نفي الكون أي: لا يحق لها، أو لا تملك أن تؤمن إلا بالاستعداد لتقبل الإيمان، ذلك الاستعداد والشأن الواقع تحت قدرة الله ومشيئته، ولفظ الإذن بمعنى إذن التكوين.

قوله (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) الجملة ترق بالتصريح عن إمكان الإيمان، يقابل معنى الجملة السابقة، والرجس كناية عن الكفر، و(على) مجاز في الاستعلاء والتمكن، والصلة علة لمفعول الجعل الأول.

قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾

قوله (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) الخطاب يراد به الوعظ لجميع الأمة، وأمر النظر يراد به نظر الاعتبار ونظر البصر.

قوله (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) تفيد (ما) الاستفهام المجازي المراد به الإنكار والأسف والتيئيس، أي: وماذا تعالج الحجج وأمارات العذاب للكافرين؟ والمعنى استواء الكافرين في الحالين: تقديم الحجج والآيات، أو إنذارهم بأمارات العذاب، والإتيان بلفظ القوم ونفي الإيمان عنهم لإفادة ترسيخ الصفة فيهم.

قوله تعالى ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قوله (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) الفاء للتفريع، وحرف الاستفهام مجاز بمعنى النفي، والقصر بالنفي والاستثناء للقصر والتأكيد، والمستثنى كناية عن الأمم الماضية التي قضت بعذاب الاستئصال، ولفظ الأيام يطلق على ما يتضمن ظرفها من أحداث عظيمة.

قوله (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) الأمر بلفظ الانتظار لإفادة التهديد، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر بمعنى: إن كنتم تنتظرون فانتظروا، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن) لبيان يقين الرسول، وقد أجرى النبي النصفة في الكلام فيما بينه وبينهم، وأبهم في نتيجة الانتظار، وهو يعلم أن عاقبة انتظاره التأييد من الله، وعاقبتهم الهلاك والإفناء.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

قوله (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) العطف بـ (ثم) تفيد التراخي الرتبي، والوعد من الله بالنجاة للرسول والمؤمنين من فعل الانتظار.

قوله (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) أي مثل حالة النجاة تلك، ونصب لفظ الحق على المفعولية للتأكيد بتقدير: حق علينا حقا، وحرف الاستعلاء في (علينا) بمعنى التوجب والفرض، وحذف الياء من فعل التنجية للتخفيف، والضمير عائد إلى ياء الجلالة.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

قوله (قل يا أيها الناس) الأمر للنبي ﷺ تلقين وتشريف، والخطاب عام لأهل مكة، يراد به الاهتمام لما بعده.

قوله (إن كنتم في شك من ديني) تفيد (في) الظرفية تلبسهم في الشك، والشك نقيض اليقين، ويقاس بالثبات والصدق في الطريقة والسلوك، و(من) ابتدائية، وإضافة الدين إلى ياء النبي يراد به دين التوحيد للتشريف والاعتزاز.

قوله (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، وهو جواب صريح في اليقين بالله وعبادته دون سواه، فقد كانوا يطمعون في دينه بأن ينصرف عنه، وفائدة الإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان تعليل النفي، والإتيان باسم الموصول للعاقل بسبب استجلاب فعل

العبادة المتضمنة شعور العقل والإحساس، والمراد التعريض بعبادة الأصنام، لأنها بلا حياة.

قوله (ولكن) وتفيد الإضراب عما قبلها وتأكيد ما بعدها.

قوله (أعبد الله الذي يتوفاكم) تأكيد للنفي السابق بطريق الإيجاب، وجاء بصفة التوفي دون سواها من صفات الله تعالى لأن في ذلك الإخبار تهديدا لهم، لأن الموت حقيقة لا تنكر وأمره بيد الله الخالق، وقد سبقه مثل ذلك التلويح في الآيات السابقة.

قوله (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أي: من المؤمنين في مضي شأنه الثابت.

قوله تعالى ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٥ ﴾

قوله (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) أي: استقم للدين ولا تحد عنه، وفعل الإقامة استعارة بالكناية عن صرف العقل كلية إلى طلب الدين، واللام في لفظ الدين للعلة بمعنى لأجل دين التوحيد، ونصب لفظ الحنيف حال من ضمير (أقم).

قوله (ولا تكونن من المشركين) عطف ونهي مؤكد بنون التوكيد عن الإشراك بعبادة الله.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ ﴾

قوله (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) جملة معطوفة، صريحة المعنى بالنهي عن عبادة الأصنام، فهي الموصوفة بذلك كناية عن عدمية الحياة فيها، والنواهي خطاب للنبي ﷺ لتبليغ الأمة، والإتيان بجملة الموصول لتعليل النهي، وخص ما لغير العاقل بسبب الإتيان بصفة عدمية النفع والضر لعبادة غير الله.

قوله (فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين) الفاء للترتيب الذكري، والفاء الثانية واقعة في جواب الشرط، والإتيان بالحرف (إذن) لإفادة السؤال المقدر: فإن فعلت فماذا يكون.

و(من) للتبيين، والإتيان بلفظ الظلم باعتبار أن الشرك والظلم واحد في عبادة غير الله، فمن يفعل ذلك يكن من زمرتهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧ ﴾

قوله (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية تفسير للنهي عن دعوة ما لا ينفع ولا يضر، فالله هو المنفرد بالحول والقوة والضر والنفع.

ولفظ المس يطلق على الأذى الداخلي للإنسان كالضرر والبلاء والمرض، والكشف استعارة للإزالة، وأسلوب النفي والاستثناء بحبس كشف الضر على الله وحده لإفادة الاختصاص.

قوله (وإن يردك بخير فلا راد لفضله) جملة معطوفة على ما سبقها، تقابلها في المعنى، فاستعمل المس للضر لأنها أخص من لفظ الشر وألطف، واستعمل الإرادة للخير لأنها أدل على الحصول وقت الطلب وأنسب للخير، وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لأن الضر مستعمل بمعنى الشر.

ولم يستعمل الاستثناء في إرادة الخير كما استعمله في مس الضر لأن إرادته قديمة لا تتغير، فلذلك لم يجيء التركيب: فلا راد له إلا هو، بينما المس من حيث هو فعل صفة فعل يوقعه ويرفعه بخلاف الإرادة فإنها صفة ذات، وسمى الخير فضلا إشارة إلى أن الخيور من الله تعالى تصدر عنه تفضلا وامتنانا.

قوله (يصيب به من يشاء من عباده) اتساع في معنى الخير والفضل، ولفظ الإصابة تقتضي التعيين، ومن للتبعيض، وإضافة لفظ العباد إلى ضمير الغيبة للفظ الجلالة للعناية والتشريف.

قوله (وهو الغفور الرحيم) إخبار منه تعالى بقصر صفتي الغفران والرحمة به سبحانه، وهما دالتان على عدم المؤاخذة فالأولى تعني صفحه عن الذنب، والثانية تعني رحمته التي تسبق غضبه جل وعلا.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ ﴾

قوله (قل يا أيها الناس) إعادة النداء لمراعاة العناية والاهتمام بما يأتي بعده.

قوله (قد جاءكم الحق) كناية عن الدين والقرآن والنبي ﷺ فكلها حق ثابت لا يتغير.

قوله (من ربكم) تفيد (من) الابتداء، وإضافة لفظ الرب إلى كاف جمع المخاطبين العائد إلى عموم الناس للإشارة إلى عبوديتهم له سبحانه عبودية تسخير لا تخيير.

قوله (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) الفاء للتفريع، ولفظ الاهتداء زيادة في معنى طلب الهدى، وجواب الشرط بالقصر بـ (إنما) لتأكيد النفع العائد إلى المهتدي.

قوله (ومن ضل فإنما يضل عليها) جملة تقابل التي قبلها في المعنى والمبنى، ومعنى الاستعلاء في (عليها) عود ضرر الضلال على نفس الضال.

قوله (وما أنا عليكم بوكيل) جملة حالية مضمونها التهديد الشديد، لأن النبي موكل بالتبليغ وليس عليه هدايتهم أو ضمان نجاتهم، والضمير (أنا) عائد إلى النبي ﷺ، وتقديم (عليكم) على عامله تأكيد لنفي الوكالة، والباء زائدة لتأكيد النفي، والوكيل هو المفوض الضامن.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾

قوله (واتبع ما يوحى إليك) جملة معطوفة، ولفظ الاتباع دلالة على اقتصار الرسالة على التبليغ والطاعة، وحرف الجر مع ضمير المخاطب (إليك) بمعنى ما ينتهي إليك ويبلغك، وهو تأكيد للمعنى السابق في الفاصلة.

قوله (واصبر حتى يحكم الله) الواو لعطف أمر على أمر، والأمر بالصبر مشعر بتحمل المشاق المقبلة في حمل الدعوة يما يوحى إليه، والوعد بحكم الله بشارة له واطمئنان.

قوله (وهو خير الحاكمين) الإخبار مشعر بالعاقبة الحسنى، ودال على معاقبة الظالم. والله العالم.

المحتويات

تفسير سورة التوبة

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾ ١-٢

﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ...۝٢ ﴾ ٢-٣

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ ...۝٣ ﴾ ٣-٥

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ ...۝٤ ﴾......... ٥-٦

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ...۝٥ ﴾ ٦-٨

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ ...۝٦ ﴾.......... ٨-٩

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ...۝٧ ﴾ ٩-١٠

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا ...۝٨ ﴾............ ١٠-١١

﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ ...۝٩ ﴾ ... ١٢

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ ﴾ ١٢-١٣

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ ...۝١١ ﴾ ١٣-١٤

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى ...۝١٢ ﴾ ١٤-١٥

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ...۝١٣ ﴾ ١٥-١٦

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ ...۝١٤ ﴾..... ١٧

﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ ﴾ ١٨

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ ...١٦ ﴾ ١٨-١٩

﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم ...١٧ ﴾ ٢٠-٢١

﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ...١٨ ﴾ ٢١-٢٢

﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ ...١٩ ﴾ ٢٢-٢٤

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ...٢٠ ﴾ ٢٤-٢٥

﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ ﴾ ٢٥-٢٦

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾ ٢٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ...٢٣ ﴾ .. ٢٦-٢٧

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ...٢٤ ﴾ ٢٧-٢٩

﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ ...٢٥ ﴾ ... ٢٩-٣٢

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...٢٦ ﴾ ٣٢-٣٤

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ ﴾ ٣٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ...٢٨ ﴾ ٣٥-٣٦

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ...٢٩ ﴾ ٣٦-٣٨

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ...٣٠ ﴾ ٣٨-٤٠

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴿٣١﴾ ﴾ ٤٠-٤٢

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن ...﴿٣٢﴾ ﴾ ٤٣-٤٤

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ...﴿٣٣﴾ ﴾ ٤٤-٤٥

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ ...﴿٣٤﴾ ﴾ ٤٥-٤٧

﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ ...﴿٣٥﴾ ﴾ ٤٨-٤٩

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ...﴿٣٦﴾ ﴾ ٤٩-٥٢

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ ...﴿٣٧﴾ ﴾ ٥٢-٥٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ ...﴿٣٨﴾ ﴾ ٥٤-٥٦

﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا ...﴿٣٩﴾ ﴾ ٥٦-٥٧

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ...﴿٤٠﴾ ﴾ ٥٧-٦١

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ...﴿٤١﴾ ﴾ ٦١

﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ ...﴿٤٢﴾ ﴾......... ٦٢-٦٣

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ...﴿٤٣﴾ ﴾...... ٦٣

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ ...﴿٤٤﴾ ﴾ ٦٤

﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ...﴿٤٥﴾ ﴾ ٦٤-٦٥

﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ...﴿٤٦﴾ ﴾ ٦٥

﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ...﴿٤٧﴾ ﴾ ٦٥-٦٦

﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ...﴿٤٨﴾ ﴾ ٦٦-٦٨

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ ...﴿٤٩﴾ ﴾ ٦٨-٦٩

﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ ...﴿٥٠﴾ ﴾ ٦٩-٧١

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ ...﴿٥١﴾ ﴾ .. ٧١-٧٢

﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ ...﴿٥٢﴾ ﴾ ٧٢-٧٣

﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ ...﴿٥٣﴾ ﴾ ٧٣-٧٤

﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ ....﴿٥٤﴾ ﴾ ٧٥-٧٦

﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا ...﴿٥٥﴾ ﴾ ٧٦-٧٧

﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ٧٧-٧٨

﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ... ٧٨

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ ...﴿٥٨﴾ ﴾ ٧٩

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ...﴿٥٩﴾ ﴾ ٧٩-٨٠

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ ...﴿٦٠﴾ ﴾ ٨١-٨٣

﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ ...﴿٦١﴾ ﴾ ٨٣-٨٤

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن ...﴿٦٢﴾ ﴾ ٨٤-٨٦

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ ...﴿٦٣﴾ ﴾ ٨٦-٨٧

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا ...﴿٦٤﴾ ﴾ ٨٧-٨٩

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ ...﴿٦٥﴾ ﴾ ٨٩-٩٠

﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ...﴿٦٦﴾ ﴾ ٩٠-٩١

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ ...﴿٦٧﴾ ﴾ ٩١-٩٢

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ...﴿٦٨﴾ ﴾ ٩٢-٩٣

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا ...﴿٦٩﴾ ﴾ ٩٣-٩٥

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ...﴿٧٠﴾ ﴾ ٩٥-٩٧

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ ...﴿٧١﴾ ﴾ ٩٧-٩٨

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴿٧٢﴾ ﴾ ... ٩٨-١٠٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ...﴿٧٣﴾ ﴾ ١٠٠-١٠١

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ ...﴿٧٤﴾ ﴾ ١٠١-١٠٣

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ...﴿٧٥﴾ ﴾ ١٠٣-١٠٤

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ١٠٥

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ ...﴿٧٧﴾ ﴾ ١٠٥-١٠٦

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ ... ١٠٦-١٠٧

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ...٧٩ ﴾ ١٠٧-١٠٨

﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن ...٨٠ ﴾ ... ١٠٨-١٠٩

﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ ...٨١ ﴾ ١٠٩-١١٠

﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ ﴾ ١١١

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ ...٨٣ ﴾ ١١٢-١١٣

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ...٨٤ ﴾ ١١٣-١١٤

﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم ...٨٥ ﴾ ١١٤-١١٥

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ...٨٦ ﴾ ١١٥-١١٦

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ ... ٨٧ ﴾ ١١٦-١١٧

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ ...٨٨ ﴾ ١١٧-١١٨

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ...٨٩ ﴾ ١١٨

﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ ...٩٠ ﴾ ١١٨-١١٩

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا ...٩١ ﴾ ١١٩-١٢٠

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ ...٩٢ ﴾ ١٢١-١٢٢

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ ...٩٣ ﴾ ١٢٢-١٢٣

﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ ...٩٤ ﴾ ١٢٣-١٢٥

﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ ...٩٥ ﴾ ١٢٥-١٢٦

﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ...٩٦ ﴾ ١٢٦-١٢٧

﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...٩٧ ﴾ ١٢٧

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ...٩٨ ﴾ ١٢٨

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ...٩٩ ﴾ ... ١٢٩-١٣٠

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ...١٠٠ ﴾ ١٣٠-١٣١

﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ ...١٠١ ﴾ ١٣١-١٣٢

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ...١٠٢ ﴾ ١٣٣

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ ...١٠٣ ﴾..... ١٣٣-١٣٤

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ...١٠٤ ﴾....... ١٣٤-١٣٥

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ...١٠٥ ﴾.......... ١٣٥-١٣٦

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ ...١٠٦ ﴾ ١٣٦-١٣٧

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ...١٠٧ ﴾ ١٣٧-١٣٩

﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ ...١٠٨ ﴾.... ١٣٩-١٤١

﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ ...١٠٩ ﴾....... ١٤١-١٤٢

﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن ...١١٠ ﴾............. ١٤٢

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ...﴾ ﴿١١١﴾ ١٤٥-١٤٣

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ...﴾ ﴿١١٢﴾ ١٤٧-١٤٦

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ...﴾ ﴿١١٣﴾ ... ١٤٨-١٤٧

﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ ...﴾ ﴿١١٤﴾ ١٤٩-١٤٨

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ ...﴾ ﴿١١٥﴾ ... ١٥٠-١٤٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا ...﴾ ﴿١١٦﴾ ١٥١-١٥٠

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ...﴾ ﴿١١٧﴾ ... ١٥٣-١٥١

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ...﴾ ﴿١١٨﴾ ١٥٤-١٥٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ ١٥٥

﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن ...﴾ ﴿١٢٠﴾ ١٥٨-١٥٥

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا ...﴾ ﴿١٢١﴾ ١٥٨

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن ...﴾ ﴿١٢٢﴾ ١٦٠-١٥٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ...﴾ ﴿١٢٣﴾ ١٦٠

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ ...﴾ ﴿١٢٤﴾ ١٦١

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ...﴾ ﴿١٢٥﴾ ١٦٢

﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ ...﴾ ﴿١٢٦﴾ ١٦٣-١٦٢

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ ...١٢٧﴾..... ١٦٣-١٦٤

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا ...١٢٨﴾....... ١٦٤-١٦٥

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ ...١٢٩﴾ ١٦٥-١٦٦

تفسير سورة يونس

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ ١٦٧-١٦٨

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ...٢﴾ ١٦٨-١٧٠

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ...٣﴾ ١٧٠-١٧٣

﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ ...٤﴾... ١٧٣-١٧٥

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ...٥﴾ ١٧٥-١٧٦

﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...٦﴾ ١٧٧

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ...٧﴾ ١٧٨-١٧٩

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ ١٧٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم ...٩﴾ ١٧٩-١٨٠

﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ ...١٠﴾ ١٨٠-١٨١

﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ ...١١﴾.... ١٨١-١٨٣

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ ...١٢﴾ ١٨٣-١٨٤

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ ...﴿١٣﴾ ﴾ ١٨٥-١٨٦

﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ ...﴿١٤﴾ ﴾......... ١٨٦-١٨٧

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ ...﴿١٥﴾ ﴾ ١٨٧-١٨٩

﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم ...﴿١٦﴾ ﴾....... ١٨٩-١٩٠

﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ ...﴿١٧﴾ ﴾............ ١٩٠-١٩١

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ...﴿١٨﴾ ﴾ ١٩١-١٩٢

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا ...﴿١٩﴾ ﴾ ١٩٢-١٩٣

﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ...﴿٢٠﴾ ﴾........ ١٩٣-١٩٤

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ ...﴿٢١﴾ ﴾.... ١٩٤-١٩٦

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ...﴿٢٢﴾ ﴾....... ١٩٦-١٩٩

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ...﴿٢٣﴾ ﴾ ١٩٩-٢٠٠

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ ...﴿٢٤﴾ ﴾..... ٢٠٠-٢٠٣

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ ...﴿٢٥﴾ ﴾ ٢٠٣-٢٠٤

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ ...﴿٢٦﴾ ﴾..... ٢٠٤-٢٠٥

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ...﴿٢٧﴾ ﴾ ٢٠٥-٢٠٦

﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ ...﴿٢٨﴾ ﴾ ٢٠٧-٢٠٨

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ ...(٢٩) ﴾ ٢٠٨

﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ...(٣٠) ﴾ ٢٠٨-٢٠٩

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ ...(٣١) ﴾ ٢٠٩-٢١١

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ...(٣٢) ﴾ ٢١١-٢١٢

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٣٣) ﴾ ٢١٢

﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ...(٣٤) ﴾ ٢١٣

﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ ....(٣٥) ﴾ ٢١٣-٢١٥

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ...(٣٦) ﴾ ٢١٦

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ...(٣٧) ﴾... ٢١٦-٢١٨

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ...(٣٨) ﴾........... ٢١٨-٢١٩

﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ ....(٣٩) ﴾ ٢١٩-٢٢١

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ ...(٤٠) ﴾ ٢٢١-٢٢٢

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ ...(٤١) ﴾ ٢٢٢-٢٢٣

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ ...(٤٢) ﴾ ٢٢٣-٢٢٤

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ (٤٣) ﴾ ٢٢٤

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (٤٤) ﴾.......... ٢٢٥

﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ ...﴿٤٥﴾ ﴾....... ٢٢٥-٢٢٧

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ...﴿٤٦﴾ ﴾ ٢٢٧-٢٢٨

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم ...﴿٤٧﴾ ﴾ ٢٢٨-٢٢٩

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ٢٢٩-٢٣٠

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ ...﴿٤٩﴾ ﴾ ٢٣٠-٢٣١

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ ...﴿٥٠﴾ ﴾ ٢٣١-٢٣٢

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾......... ٢٣٢-٢٣٣

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا ...﴿٥٢﴾ ﴾ ٢٣٣

﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ ....﴿٥٣﴾ ﴾ ٢٣٤

﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ...﴿٥٤﴾ ﴾............ ٢٣٥-٢٣٦

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ...﴿٥٥﴾ ﴾ ٢٣٦

﴿ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ٢٣٦-٢٣٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ......﴿٥٧﴾ ﴾ ٢٣٧-٢٣٨

﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾... ٢٣٩-٢٤٠

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ ....﴿٥٩﴾ ﴾....... ٢٤٠-٢٤١

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ...﴿٦٠﴾ ﴾ ٢٤١-٢٤٢

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ ...﴿٦١﴾ ﴾........ ٢٤٢-٢٤٤

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ٢٤٥

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ٢٤٦

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا ...﴿٦٤﴾ ﴾...... ٢٤٦-٢٤٧

﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾.... ٢٤٧-٢٤٨

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ...﴿٦٦﴾ ﴾.. ٢٤٨-٢٤٩

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ ...﴿٦٧﴾ ﴾ ٢٤٩-٢٥٠

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا ...﴿٦٨﴾ ﴾ ٢٥٠-٢٥٢

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ٢٥٢

﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ...﴿٧٠﴾ ﴾.... ٢٥٢-٢٥٣

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ ...﴿٧١﴾ ﴾........ ٢٥٣-٢٥٥

﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ ...﴿٧٢﴾ ﴾ ٢٥٥-٢٥٦

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ ...﴿٧٣﴾ ﴾............. ٢٥٦-٢٥٧

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ...﴿٧٤﴾ ﴾ ٢٥٧-٢٥٨

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ...﴿٧٥﴾ ﴾................. ٢٥٩

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ ﴾ ٢٥٩-٢٦٠

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .. ٢٦٠-٢٦١

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ...﴿٧٨﴾ ﴾...... ٢٦١-٢٦٢

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ ٢٦٢

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.......... ٢٦٢-٢٦٣

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ ...﴿٨١﴾ ﴾.......... ٢٦٣-٢٦٤

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ٢٦٤-٢٦٥

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن ...﴿٨٣﴾ ﴾......... ٢٦٥-٢٦٦

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ ...﴿٨٤﴾ ﴾ ٢٦٧

﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ٢٦٨

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ ٢٦٨-٢٦٩

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ... ﴿٨٧﴾ ﴾ ٢٦٩-٢٧٠

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ...﴿٨٨﴾ ﴾ ٢٧٠-٢٧٢

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ .... ﴿٨٩﴾ ﴾ ٢٧٢

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ ...﴿٩٠﴾ ﴾ ٢٧٣-٢٧٤

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ ٢٧٤

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ ...﴿٩٢﴾ ﴾........... ٢٧٤-٢٧٥

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ...﴿٩٣﴾ ﴾ ٢٧٥-٢٧٧

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ...﴿٩٤﴾ ﴾ ٢٧٨-٢٧٩

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ ٢٨٠

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾........ ٢٨٠

﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ٢٨٠-٢٨١

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ...﴿٩٨﴾ ﴾... ٢٨١-٢٨٣

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ ...﴿٩٩﴾ ﴾.............. ٢٨٣

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ...﴿١٠٠﴾ ﴾ ٢٨٣-٢٨٤

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ ...﴿١٠١﴾ ﴾....... ٢٨٤

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ ...﴿١٠٢﴾ ﴾ ٢٨٥

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا ...﴿١٠٣﴾ ﴾........ ٢٨٥-٢٨٦

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ ...﴿١٠٤﴾ ﴾ ٢٨٦-٢٨٧

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾...... ٢٨٧

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ ...﴿١٠٦﴾ ﴾...... ٢٨٨

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ ....﴿١٠٧﴾ ﴾...... ٢٨٨-٢٩٠

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا ...﴿١٠٨﴾ ﴾.... ٢٩٠-٢٩١

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾......... ٢٩١